380

HARLEQUIN

روايات أحلام

وحيدة معه

سارا وود

www.elromancia.com

مرمورية

وحيدة معه

ـ فلنعقد اتفاقية : سأبقى بشرط أن تمنحني الحق بمتابعة عملي . والا سأرحل !

نظر إليها كارها أن يقدم لها أية خدمة . ولكنها كانت تعلم أن شغفه بابنه سيجلب لها النصر .

قال : "موافق . ولكن فلنجعل ذلك واضحا : إنه لشهر واحد فقط !"

لم تستطع كاترين تصديق أن صاحبة الملك الراحلة تركت منزلها الفخم إلى هذا الشخص السيء الأخلاق زكريا تايلنت . نعم ، إنه وسيم الشكل . بل رائع : لكنه أوضح أنه لا يريد كاترين على أرضه .

رغم هذا ، أحبته ... لكن زاك قدر أنهما لا يمكن أن يجدا السعادة مع بعضهما البعض . وكان على كاترين وعلى ابن زكريا الصغير أن يثبتا أنه مخطئ !

لبنان :	2500 ل.ل	البحرين :	1 دينار
سوريا :	75 ل.س.	السعودية :	10 ريال
الأردن :	1.5 دينار	مصر :	8 جنيه
الكويت :	750 فلس	المغرب :	15 درهم
الإمارات :	10 دراهم	تونس :	2 دينار
قطر :	10 ريال	عمان :	1 ريال

ISBN 9953-15-334-5

روايات أحلام

تصدر عن شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م
المدير المسؤول: آمال سابا الهاشم

حقوق النشر والطباعة والتوزيع باللغة العربية
محفوظة لشركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
بترخيص خطي من Harlequin Enterprises II B.V

كل الحقوق محفوظة، بما فيها نسخ الكتاب بكامله أو جزء منه بأي شكل من الأشكال
تم نشر هذه الطبعة بالاتفاق مع شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل العلامات التجارية استعملت
بترخيص من شركة Harlequin Enterprises II B.V.

كل شخصيات هذه الرواية وهمية. أي شبه بين هذه الشخصيات وأشخاص
حقيقيين أحياء كانوا أم أمواتاً هو محض صدفة

العنوان الأصلي لهذه الرواية باللغة الإنكليزية:
In The Billionaire's Bed
First published in Great Britain 2003
Harlequin Mills & Boon Limited
© Sara Wood 2003
Translation © Dar El-Farasha - 2006
ISBN 9953 - 15 - 334 - 5

شركة دار الفراشة للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م. طريق المطار - سنتر زعرور -
ص.ب: 8254/ 11 هاتف/ فاكس: 450950-1-961- بيروت - لبنان
Email: info@darelfarasha.com - http:www.darelfarasha.com

أعزائي القراء

لأننا عوّدناكم دائماً على أجمل الروايات العاطفية... ولأننا نعرف أن قراءنا لا يرضون بأقل من الأفضل... ولأن هدفنا دوماً المحافظة على واحة حب تخفّف من وطأة الآلام والهموم في عالمنا... لهذا، اخترنا أن تكون هديتنا إلى قرائنا في بداية هذا القرن هي انضمامنا إلى أسرة هارلكوين Harlequin العالمية.

لماذا هذا الاختيار؟

لأن شركة Harlequin هي رائدة الروايات الرومنسية في العالم أجمع، وهي تتعاون مع أفضل الروائيات في هذا المجال، وتصدر شهرياً أكثر من ٧٠ عنواناً جديداً.

ستظل روايات أحلام على سابق عهدها من حيث اختيار القصة الشيّقة والأسلوب الرفيع واللغة السليمة... والتغيير الذي ستلاحظونه هو في زيادة عدد الروايات شهرياً، وتنوع الموضوعات لتناسب جميع الأذواق، وسيكون لمشاركتكم باختيار المواضيع المفضلة لديكم وبأسماء الروائيات اللاتي أحببتموهن، الدور الأساسي.

بكل إخلاص
أسرة أحلام

www.elromancia.com

سارا وود

قضاء مرحلة الطفولة في «بورتسماوث» كان يعني لسارا وود، العيش في الطبيعة، وصنع طائرات الورق واللعب والمرح. دفع الفقر بسارا إلى مزاولة مهنتي التعليم والطباعة على الآلة الكاتبة، وذلك إلى حين أطلق لها حب الكتابة حرية التعبير عن نفسها دون قيود.

تعيش سارا وود اليوم حياة زوجية سعيدة ولها ولدان: ريتشارد، متزوج هادىء، رصين، يعمل سائقاً لناقلات البترول. وسيمون صائغ الفضة الجوّال الذي يهوى صحبة الجميلات.

تقيم سارا حالياً في ريف كورنوول في انكلترا حيث يعادل حبها للكتابة عشق الاهتمام بالحدائق مما يسمح لها باستعادة ذكريات الطفولة السعيدة.

١ ـ حظ أم معجزة؟

ـ مرحباً!.

حاولت كاترين أن تبدو مرحة لكنها فشلت، وعندما أسندت مركبها الصغير إلى جانب مركب توم الفسيح أدركت من وجوه أصدقائها أن الإشاعات التي سمعتها في مدينة سكونبري صحيحة.

نهض توم وستيف ونك ودادلي من أماكنهم في مقدمة المركب والتعاطف باد على وجوههم بشكل ملحوظ، ما جعل الأمور أكثر سوءً.

عليها الآن أن تواجه حقيقة أن جزيرة تريزانتن قد بيعت، وأن مستقبلها المباشر سيكون بين يدي صاحبها الجديد.

التفتت تنظر خلفها بلهفة بالغة، إلى الجزيرة الرائعة الجمال البادية من بعيد. إنها لا تملك حقاً قانونياً في الذهاب إلى هناك. لقد دأبت على استخدام المرسى في الثلاث السنوات الماضية، إلا أن هذا لم يكن ذا أهمية بالنسبة إلى صاحبة الملك المتسامحة إديث تريزانتن. لكن منذ وفاة إديث لم تعد واثقة من وضعها.

تلقت الأيدي الحبال التي ألقتها، أما هي فجمعت تنورتها الطويلة وتركت الفتيان يجذبونها إلى السطح. أفلت شعرها الأسود المربوط فأعادت ربطه بمهارة، وقد شحب وجهها الحلو الرقيق بشكل غير عادي.

قال توم يحييها: «كنا نتحدث عنك».

هزّت رأسها مستفسرة وهي تجلس على السطح. ولم يضيّع ستيف وقتاً في الوصول إلى الموضوع: «أتعلمين أنه أصبح للجزيرة مالك جديد؟».

شعرت كاترين بانقباض في قلبها، وقالت: «هذا ما ظننته، وهو يعني أنني

قد أصبح في مشكلة. ما هي معلوماتك؟ هل انتقل المالك الجديد إلى البيت؟ لم أر سيارة على المنحدر حين جئت».

- نقلت الأمتعة بواسطة شاحنة، واستلمت البيت امرأة لندنية متسلطة ذات شعر أشقر فاقع وزينة وجه كثيفة. جاءت تلك المرأة في سيارة رياضية صفراء اللون، خيالية الجمال.

كانت تأمل أن يشتري الجزيرة شخص يعشق الطبيعة، فلا أحد يرغب بالعيش في مثل هذه العزلة القروية إلا شخص كهذا. عاشق الطبيعة لن يزعجه وجود مراكب صغيرة مخصصة للنزهات بل سيعتبرها شاعرية. لكن المالكة الجديدة لا تبدو من هذا النوع مطلقاً. علّقت قائلة: «لا يبدو لي أنها شخص لطيف».

وافقها توم بقوله: «نعم، إنها ليست مثلنا أو مثل أديث، إنها من النوع المسيطر. لقد أدخلت أمتعتها إلى المنزل وألقت خارجاً بكل المؤونة الموجودة هناك، وهي تصرخ ساخطة لأن الجزيرة لا تحتوي على عشب القمح. أرشدها أحدهم إلى أحد الحقول، وعندما ذهبت إليه، أخذت تهاجم صاحبه، ونعتته بالفلاح الجاهل. هذا كل ما نعرفه عنها».

وراح توم يضحك، فابتسمت ثم تنهدت باستسلام. بدا لها أن الجزيرة ستتغير حتماً، وكذلك منزل أديث. لكن ماذا عنها هي؟ جالت بنظراتها الكئيبة على سطح المركب القرمزي اللون المليء بصناديق الأزهار والمداخن والمعدات الخاصة بالمركب. بدا مركبها تقليدي الطراز ومريحاً للغاية، وهو حل مثالي للعيش والعمل في منطقة غالية. طوال سنيها الست والعشرين، لم تشعر بما تشعر به الآن من افتقاد الأمان.

فجأة، قال ستيف منبهاً: «السيارة الصفراء قادمة على الطريق».

واتجهت أنظار الجميع إلى حيث أشار.

كان اللون الأصفر من الوضوح بحيث بدا صارخاً على بعد نصف ميل. أخذوا ينظرون إلى السيارة وهي تعلو وتهبط على الطريق الوعرة ببطء، فيما راح قلب كاترين يعلو ويهبط هو أيضاً. عندما تعود إلى الجزيرة وترسي مركبها

ستكون المالكة الجديدة في المسكن.

وقفت وهي تشعر بالارتجاف. ربما سيُسمح لها بالبقاء. كانت إديث قد سمحت بأن تزرع قطعة أرض بالخضار، وكانت تسرّ لرؤية دجاجات كاترين وهي تجول بحرية في الجوار. ربما ستكون المالكة الجديدة مثلها.

قالت كاترين مصممة على الكفاح: «شكراً لهذه المعلومات. من الأفضل أن أعرّف بنفسي ثم أرى ما سيكون عليه الأمر، إذ لا فائدة من التسكع في الأنحاء وأنا أتخيّل ما سيحدث لي».

قال ستيف وهو يقف وقفة المحارب، نافخاً بسخرية: «هل نذهب معك للمساندة؟».

فابتسمت شاكرة. لقد ساعدها الجميع في أيامها الأولى عندما كان العمل في المركب لغزاً بالنسبة إليها. فهؤلاء الفتيان يتحدرون جميعاً من أسر فقيرة، لكن قلوبهم طيبة ولطالما قدموا لها يد المساعدة.

وضعت يدها على ذراع ستيف، وقد بدت قصيرة القامة بجانبه. ولاحظت كمّ كنزته المليئة بالثقوب... وفكرت في أنها ستحيك له كنزة قبل حلول فصل الشتاء، إذا بقيت هنا.

ردّت قائلة: «سأخبرك عندما أحتاج إلى مساندتك، ولكن أولاً، سأحاول التقرب منها».

فقال توم بجفاء: «تقربي إليها بما تحب، قدمي لها باقة من عشب القمح».

أطلقت ضحكة صغيرة مرتجفة: «يا للحظ الحسن!».

سألها ستيف: «ماذا لو قالت لك إن زبائنك لا يمكنهم أن يستعملوا الجسر، أو طلبت منك الرحيل؟».

أخذت نفساً عميقاً، جميعهم يعلمون أن ذلك سيقضي عليها، وآلمتها هذه الفكرة. سيكون في ذلك نهاية لحياتها الشاعرية الراضية، وسوف تضطر إلى العيش في شقة كالكهف في حي تسيطر فيه الجرائم. وتملكها الذعر. إنشاء مركز جديد للزبائن يستغرق سنوات.

وأجابت: «لن يبقى لي خيار سوى الرحيل».

وعندما عادت تتسلّق إلى ظهر مركبها وتنطلق، هتف الفتية لها بعطف: «حظاً سعيداً».

فأجابت بصوت مختنق: «شكراً».

ركزت ذهنها على المهمة الدقيقة التي ستقوم بها، ثم استدارت بالمركب بما يساوي ثلاث نقاط موجهة إياه إلى حيث يأخذ النهر بالاتساع. أخيراً دفعت المركب في خط مستقيم متجهة إلى حيث تقيم، في آخر الجزيرة. وقلبها يخفق توتراً، كأنها في منافسة للحصول على كأس العالم.

حظاً سعيداً! تأوهت كاترين، ذلك أن ما سمعته عن المالكة الجديدة، يشير إلى أنها بحاجة إلى معجزة.

٢ - الفردوس الضائع

لم يلاحظ زكريا تايلنت أزهار عصا الراعي الزرقاء التي تغطي أرض الغابة. وفي الواقع، لم يلاحظ حتى وجود الغابة نفسها أو السياج المغطى ببراعم شهر أيار البيضاء، والذي تزدان جوانبه بنبات وردي متعرش.

بدا رجلاً مدينياً، بدءاً من طريقة قص شعره الأسود حتى حذائه الأسود اللامع. بقي زكريا، أو زاك كما يلقبونه، غافلاً عن أي من هذه المشاهد القروية الممتعة.

-إنها منطقة ريفية جميلة، لكنها، مع الأسف، مليئة بهؤلاء الفلاحين الأجلاف. إنهم كثيبو المظهر. أنظر إلى ذلك الأحمق.

قالت سكرتيرته الخاصة ذلك متهكمة، وهي تنحرف بالسيارة لتتجنب رجلاً كان يسير على الطريق.

شخر زاك ساخراً. ودون أن يرفع بصره عن شاشة الكمبيوتر النقّال الموضوع على ركبتيه، تابع قراءة سلسلة من الأرقام في هاتفه الخلوي.

فقالت جين الأنيقة بصوت كهديل الحمام: «لقد اقتربنا يا زاك. أليس المنزل مثيراً؟».

أبقى مكالمة هونغ كونغ بالانتظار، ونظر إلى سكرتيرته بجدة، فمنحته هذه ابتسامة حارة أثارت اضطرابه. قابل ابتسامتها بنظرته المعتادة الخالية من المشاعر، فيما بدت عيناه الرماديتان باردتين منيعتين. وفكّر أنه لا ينبغي للرجل أن يجمع بين العمل والمتعة أبداً. تساءل بكآبة، عما يجعل النساء اللواتي يعملن معه يتصورن أنفسهن مغرمات به، وذلك دون أي تشجيع منه. أجابها باختصار: «إنه مجرد منزل للاستثمار، من حجارة وطين».

www.elromancia.com

رمقته بنظرة هي مزيج من الشوق والخبث معاً، وقالت: «آه! إنه أكثر من ذلك. إن له ميزات حقيقية، فهو بيت يصلح لأسرة».

وساد صمت ذو معنى ازداد اثناءه ضيقه، إلا أنه لم يعلّق بشيء، فأسرعت جين تقول: «إنه طبعاً يحتاج إلى تحديث يجعله عصرياً، وإلى تأمين تسهيلات أفضل حوله. لكن ميزاته كثيرة، فهو فسيح للغاية، كما أن غرفه ذات تهوئة جيدة، وهي تصلح لأن تضع فيها تحفك الجميلة وأثاثك... كما أن المساحة المحيطة به تصل إلى النهر...».

فقال مقاطعاً مديحها: «هذا ما تقولينه أنت».

ثم أخذ يجيب على مكالمة هاتفية وهو يفكر في أنه قد يعلن قريباً عن حاجته إلى سكرتيرة جديدة، بينما كان ينهي معاملة مالية رابحة في أسواق هونغ كونغ.

سأله جين بعد أن انتهى من المكالمة: «هل لديك فكرة عن السبب الذي جعل السيدة تريزانتي تترك لك منزلها في وصيتها؟».

فأجاب بأسلوبه المختصر المعتاد: «لا نسب ولا قرابة».

كانت تلك مفاجأة له. إنه حتى الآن لا يملك فكرة عن سبب تفضيل أديث له، فهو ليس من الطراز الريفي. ولكي يتجنب ملامح جين الحالمة المقلقة، نظر إلى الخارج من خلال النافذة.

أثار انتباهه جمال الطبيعة، وتفجر الاخضرار في الأنحاء.

كانت جين تقود السيارة على ضفاف النهر، أما النهر نفسه فبدا هادئاً إلى درجة أنه ظهر بلون السماء الزرقاء. تذكر زاك أن أديث حدثته مراراً عن جمال هذا النهر طالبة منه أن يزورها، لكن انشغاله الدائم منعه من ذلك.

كانت أديث من زبائنه الجيدين، وكانت بمثابة أم له. زمّ شفتيه محاولاً السيطرة على الذكرى المؤلمة لوفاة أمه منذ سبعة عشر عاماً، وذلك بعد أشهر قليلة من وفاة أبيه بالسكتة الدماغية. انتابه حزن قوي إثر فقدانهما، وكان حينذاك في الثامنة عشرة من عمره. قبل ذلك، كان والداه يعملان بمشقة لتحسين مستقبله، وكان هو يبقى في المنزل منذ عامه الخامس، وقد اعتاد العناية بنفسه. ومع أنه لم يكن يراهما كثيراً، إلا أنه شعر فجأة بأنه أصبح وحيداً في

الحياة، بعد وفاتهما. وربما هذا هو سبب ولعه بأديث. لم يكن ينشىء عادة علاقات حميمة مع زبائنه، مفضلاً تكريس نفسه لتنظيم أمورهم المالية والمحافظة على مصالحهم. لكن أديث كانت مختلفة. كانت تتصرف كأمه بتعنيفها الدائم له لمبالغته في عمله المحموم، إلا أنها كانت تضحكه أيضاً بغرابة سلوكها أثناء اجتماعهما الشهري. وهو نادراً ما يضحك في خضم حياته الحافلة بالعمل.

- أرجو أن يعجبك المنزل.

قالت له جين هذا بشيء من التوتر وهي توقف سيارتها الصفراء في منطقة صغيرة مغطاة بالإسفلت بجانب النهر. ثم تابعت تقول: «ليتك تفقدته قبل أن تطلب نقل أغراضك إليه».

- لم يكن لديّ ما يكفي من الوقت مع تلك السلسلة المعاقبة من الاجتماعات في الولايات المتحدة. أنا واثق من أنك نظمت كل شيء بصورة جيدة.

ردّ عليها بجفاء وهو ينزل من السيارة، ثم يجيل نظراته حوله ليرى المنزل.

أدهشه أنه لم يرَ شيئاً سوى النهر الهادىء، حيث تسبح بطات سوداء على جبينها لطخات بيضاء، بالإضافة إلى مجموعات من الأشجار والأجمات والحقول الممتدة في الجزيرة القريبة. وباستثناء زقزقة الطيور، كان المكان هادئاً موحشاً.

سألها وقد شعر بالغربة في هذا المكان: «أين هو المنزل؟».

ترنحت جين قليلاً على كعبي حذائها العالي، وقد بدت أناقتها أيضاً متنافرة مع هذا المكان، فقد كانت ترتدي سترة رسمية، تنورتها الضيقة أضيق من العادة كما أدرك زاك فجأة...

أشارت جين إلى الجسر الضيق الذي يصل ضفة النهر بالجزيرة بوداعة ولطف، وقالت: «المنزل يقع بعد الجسر».

فتح زاك فمه، وضغط على صدغه النابض ألماً، وصاح: «فوق...».

وما لبث أن سيطر على الصدمة بسهولة، ليقول: «لا أظنك تخبرينني أن المنزل يقع في جزيرة؟».

نظرت جين إليه بذعر، ثم قالت: «زاك، لا بد أنك قرأت صك الملكية العقارية! منزل تريزانتن وجزيرة تريزانتن. . .».

حملق فيها باستغراب. كيف أمكنها أن تظن أن هذا المنزل مناسب؟ وأجاب: «لا! هذا من ضمن عملك الذي استخدمتك لأجله؛ أن تختصري كل شيء، وتشيري إلى الأمور الهامة الحاسمة. وأظن أن الجزيرة تُعتبر من الأمور الهامة. أليس كذلك؟ أين هو طريقها؟».

فقالت بصوت خافت: «ليس لها طريق. علينا أن نسير من هنا. . .».

– علينا ماذا. . . ؟ لا أصدّق ذلك! أتتوقعين أن أوقف سيارتي المازيراتي في العراء عندما أحضرها إلى هنا، لكي يخربها أي متسكع همجي؟.

ردّت بتوتر: «لا أظن أن المنطقة من هذا النوع».

– بل كل منطقة هي من هذا النوع!

تمتم بذلك وقد زال الآن سحر منزل أديث من نفسه. بإمكانه أن يتصور حاله إذا ما انغرزت سيارته هنا في يوم ممطر، ومعه ابنه الضجر. هنا، لا يستطيع أن يدخل من المرآب الملحق بالمبنى إلى المنزل الدافىء. يا لجهنم! ماذا عليه أن يفعل الآن؟ لقد وعد سام بمنزل تحيط به حديقة.

أضاف قائلاً: «لا أستطيع السكن هنا. عليّ أن أبحث عن منزل آخر».

– ليس بإمكانك القيام بذلك. هل نسيت؟.

فتأوه وهو يتذكر الشرط غير العادي الذي يبدو الآن حماقة، مع أنه بدا مقبولاً حينذاك.

(. . . أورث زكريا تايلنت بيتي وجميع محتوياته، وذلك ليعيش فيه سنة على الأقل. وإن لم يفعل، عليه أن يعطي البيت لأول شخص يراه عندما يضع قدمه على أرض الجزيرة).

أمر لا يصدّق! وفقاً لهذا الشرط، بإمكان بائع الحليب أن يملك عقاراً يساوي مليوني جنيه! هذا إذا كان هناك بائع حليب في هذه البراري المقفرة، كما أخذ يفكر حانقاً.

زمجر بهدوء: «لا بأس. سآتي في العطل الأسبوعية فقط، وأخيّم خارجه».

إنه لا يستطيع أن يخيّب أمل سام. ولكن ليس هذا ما كان في ذهنه على الإطلاق. إنه يريد أن يكون قريباً من محلات بيع الطعام، والسينما، وحدائق الحيوان. بأي شيء آخر تسلي صبياً في الثامنة؟

فجأة، انتابته فورة من الغضب فقال: «جين! ما الذي تفعله تلك القوارب القذرة هناك، بحق جهنم؟».

دفعه شعوره البالغ بالخيبة إلى تنفيس غضبه في أي شخص وأي شيء.

تابعت جين تكشيرته التي قادتها إلى مجموعة من القوارب عند آخر النهر، فأجابت: «إنها مراكب. . . أظن أنه يُسمح لتلك المراكب بالرسوّ هناك».

توترت شفتا زاك. تلك المراكب تشكل خطراً، ووجودها لن يشعره بالأمان. أخذ ينعم النظر في المنطقة ببطء، فازداد تجهماً. لقد غفلت جين أيضاً عن إخباره بأن المنزل يقوم في أرض خلاء. وازداد توتره.

لقد اقترف غلطة فظيعة بتوكيله شخصاً آخر لأمر هام كهذا.

وبّخ نفسه لسماحه لجين بأن تعالج الأمور، لكنه يملك ما يكفي من الذكاء ليدرك أنه لا يستطيع الآن أن يقوم بالكثير.

لا بأس! سوف يستخدم المنزل في العطلات الأسبوعية إلى أن تمر السنة المطلوبة. لكنه لن يرتاح حتى يصبح هناك ممرات جيدة وحواجز آمنة تحمي ابنه من الوقوع في النهر.

بالطبع، لا يمكنه أن يسكن بشكل دائم في الجزيرة، حيث، لا يعلم إلا الله، متى يقفز شخص من قاربه ثم يسلبه كامل مجموعته الفنية.

قال لها: «اطلبي إرسال سيارتي بأسرع وقت ممكن، سأعالج الأمر بنفسي. الغي مواعيدي كلها حتى إشعار آخر، وسأراسلك عبر الإنترنت لأطلعك على التحسينات التي أراها ضرورية، قبل أن أعرض البيت للبيع. أثناء هذا الوقت ابحثي لي عن منزل ملائم، يمكنني أن أسكن فيه آمناً على مقتنياتي الثمينة. وليكن في مدينة بالقرب من المطاعم والمسارح والملاعب الرياضية. هل فهمت؟ أعطيني المفاتيح!».

ومد يده، وما لبث أن لاحظ اقتضابه، فقال: «من فضلك».

بينما كانت جين تبحث في حقيبتها باضطراب راح زاك يفكر أنها كانت سكرتيرة جيدة، لكنها منذ رأت «منزل تريزانتن» بدا في عينيها بريق لا يبشر بالخير. لا بد أنها تفكر بتأسيس أسرة وهي تضعه نصب عينيها. لكنه واثق من أنه لن يتورط مرة أخرى في علاقة عاطفية مع امرأة أبداً.

كبح دافعاً يحثه على الغضب والتذمر لفشل خطته، إذ من غير المحتمل أن يوافقه ابنه على القدوم معه إلى هذا الريف الجهنمي. أمسك بجهاز الكمبيوتر النقال، وودع جين باقتضاب ثم سار على الجسر وهو يتساءل بشيء من اليأس عما إذا كان سيكسب يوماً حب ابنه.

كان يعتمد على هذا المنزل ليساعده في الوصول إلى هذا الهدف. والآن فقط، أدرك مدى أهمية حب ابنه له بالنسبة إليه. لطالما تحدث مع أديث عن عدم اكتراث ابنه به، لكنه لم يحدثها قط عن مبلغ ألمه لهذا، حتى إنه لم يعترف به لنفسه.

شعر بألم ثقيل في قلبه، فتوتر فمه، والتهبت عيناه. وأقسم على أن يجعل ابنه يحتضنه يوماً ما، بدلاً من معاملته الباردة المتحفظة هذه له.

يمكنه أن يمضي حياته من دون نساء. كل النساء اللواتي قابلهن كن يظهرن الانبهار والجشع، ما إن يعرفن هويته. بالإضافة إلى ذلك، لم تستطع امرأة من اللواتي واعدهن أن تتعود على حقيقة انشغاله الدائم المحموم، حتى طليقته. لكنه يريد أن يؤمّن مستقبل ابنه. والرجل لا يصبح غنياً، أو يبقى غنياً إذا هو أنفق نقوده على النساء.

سار في الطريق الموحلة وقد ساء مزاجه للغاية لانهيار أحلامه. أخذ يحني رأسه بين الحين والآخر تجنباً لاصطدامه بأغصان أشجار التفاح، وهو يفكر أن مثل هذه المشاكل ما كانت لتحدث معه لو أنه يسير على الرصيف.

لم يفهم لماذا ظنت أديث أنها تسدي له خدمة بإرغامه على العيش هنا مدة سنة. كيف أمكنها أن تسمي هذا المكان فردوساً؟

ذلك ما كان يتساءل بشأنه، متعجباً متذمراً، عندما رأى المرأة...

٣ - ليتها تعلم!

كانت تسير أمامه عبر بستان فاكهة، فجمد زاك مكانه لرؤيتها، وكأنما سمعت هي صوت اقترابه، فالتفتت إلى الخلف ببطء لتواجهه. بدا وجهها من الحلاوة والرقة حداً جعله يتساءل إن كان يتخيل. بدت رشيقة، صغيرة الحجم، وكأنها خرجت من لوحة مرسومة في القرون الوسطى.

وبما أنه لم يتعوّد على التخيلات، حاول أن يفهم سبب هذا الانطباع الذي تملكه. أهي تنورتها المحكمة على جسمها والتي تتسع عند الركبتين؟ أم البلوزة العاجية اللون التي تلف جسمها النحيف؟ أو ربما هو الشعر الأسود الطويل المنسدل متموجاً على ظهرها؟.

ضاقت عيناه دهشة. فتلك المرأة عقدت شعرها، عند أعلى رقبتها، بحبل من النبات الأخضر مجدول بعقد من الأزهار الحقيقية.

لا بد أنها صبية غريبة الطباع! كشر وهو يفكر أنها قد تكون واحدة من ركاب تلك القوارب الضيقة، جاءت تتجسس. رفع يده بحركة غريزية، وتحسس بإصبعه ندبة على جبينه.

بعد تجربتين بغيضتين من سطو وسلب، اشتركت في إحداهما امرأة، بعد أن حولت انتباهه بقصة باكية، تعلّم أن يشكك في الغرباء المتسكعين. حتى بالنسبة إلى صبية ضئيلة الجسم، قادمة من القرون الوسطى كهذه الفتاة.

في لندن هناك قواعد ذهبية يجب اتباعها: لا تنظر مباشرة إلى عيون الغرباء، إياك أن تضع ساعة ثمينة في معصمك، سر بسرعة في كل مكان، واقفل أبواب سيارتك أثناء القيادة، ابق محرك سيارتك مشتغلاً أثناء وقوفك عند الإشارة الضوئية، وكن متنبهاً طوال الوقت. هكذا يطول عمرك في المدن الكبرى!

- أنت في أملاكي! .

قال هذا مزمجراً بصوت خافت، متعمداً إظهار نبرة تهديد.

لم تتغير ملامحها الوديعة المسالمة، وبقيت ساكنة، هادئة للغاية، وكأنها تنتظر منه أن يقترب. ولدهشته، هذا ما فعله. مع أن العادة جرت أن يتقدم الناس نحوه، وليس العكس.

عندما تقدم نحوها، مدّت إليه يداً صغيرة لتصافحه قائلة: «أنا كاترين ليغ. مرحباً بك».

جاء صوتها رقيقاً حلواً. وقبل أن يدرك ما يفعل، كان يأخذ يدها الناعمة الرقيقة بيده ليصافحها قائلاً: «وأنا زاك تايلنت».

أتراه لاحظ مبلغ توترها؟ سحبت يدها من قبضته الحازمة الثابتة ووضعتها خلف ظهرها، كي لا يرى ارتجافها. سألته بحيرة: «هل... قلت إن هذه جزيرتك؟».

فأجاب وقد ظهر التوتر على فمه، وبان السخط عليه، وكأن هذا أمر لا يعجبه البتة: «هذا ما يبدو».

وازداد تقطيباً، ولمعت عيناه غضباً.

-آه! .

أخذت كاترين تفكر في حالته هذه، وقررت أن التعامل مع المرأة الشقراء الشعر سيكون أفضل من التعامل مع هذا الرجل النكد الطباع، المتذمر. لا بد أن المرأة هي زوجته. فلتنتظر إذن لتتحدث إليها. وسألته ببشاشة: «هل أنت وحدك؟».

أخذ يتفحص الأرض، وكأنه ينتظر أن يثب عليه قاطع طريق في أية لحظة. وأجاب بهدوء: «نعم. أنا وحدي. وأنت؟ ماذا تفعلين هنا؟».

- جئت لأتحدث مع زوجتك.

- أحقاً؟

لأمر ما، بدا غير مقتنع. تابعت النظر إليه بلطف، وتملكها الارتياح وهي ترى عبوسه يخفّ قليلاً. لاحظت الندبة الطويلة على جبينه وتساءلت عن

سببها، ثم عادت تقول: «هل هي في المنزل؟ هل يمكنني أن أراها؟».

- لا!

كيف لشخص مثله أن يكسب الأصدقاء، ويؤثر في الناس؟ إنه حقاً أكثر الرجال فظاظة وغلظة! .

- سأعود إذن عندما تكون في المنزل.

- لا انتظري!

صاح بذلك عندما رآها تستدير لتنصرف. فالتفتت تنظر إليه بعينين متسعتين دهشة، ولاحظت رقة في عينيه. إلا أنها، عندما نظرت ثانياً، رأتهما صارمتي النظرات جامدتي الإحساس، فأدركت أن ما رأته فيهما ما هو إلا لمعان الضوء. وقال بحدة: «بل ستتكلمين معي، وسنرى إن كان لديك عذر مقنع لوجودك هنا».

فقالت بدهشة، رافضة أن تستاء بسبب فظاظته: «لديّ عذر مقنع طبعاً».

- تعالي إذن إلى البيت بدلاً من الوقوف هنا في الأوحال.

ومن دون أن ينتظر جواباً، سار أمامها وقد تلطخ حذاؤه اللامع بالوحل.

ترددت لحظة، ثم تبعته، شاعرة وكأن مغناطيساً يجذبها. سارت وهي تعجب لقدرة هذا الرجل على السيطرة، وفكرت أن ذلك لم يحصل معها من قبل.

بدا واضحاً بأن زاك رجل بالغ التشكيك. إنه من النوع الذي يظن أن كل شخص يحاول أن يعرقل أمور الآخرين. ولهذا ينظر إليها وكأنها تضمر له شراً.

من سلوكه هذا، أدركت أنه يفضل أن يكون متحفظاً، فهو ليس من النوع الذي يخدم الآخرين.

أخذت تتأمل بقلق جسمه المشدود وهو يسير أمامها بسرعة، ثم وهو يلقي عبر هاتفه الخلوي أوامر سريعة متقطعة إلى شخص ما، وكأن كل ثانية وكل كلمة هي ثمينة بحيث لا يمكن تضييعها بدعابة أو هزل.

أسرعت خلفه، بقلب مكتئب، عبر حديقة أديث الرائعة، والتي أصبحت الآن ملك زاك. وتساءلت متى تبدأ ذات الكعبين المرتفعين وزوجها العابس بجز

كل ورقة نبات من هذه الجنة. أو ربما يفكران في استبدالها بأعشاب اصطناعية.

شعرت بالأسى على مستقبل الجزيرة الكئيب. رفعت رأسها المنحني، وأخذت تصغي إلى تغريد الطيور فوق الأشجار، ومنها طائر «أبو الحن» الصغير الذي كان يفرغ قلبه تغريداً على شجرة بلوط. كان اليمام يرسل هديلاً حافلاً بالشوق والحنين فوق أغصان شجرة توت، كما كانت تُسمع أحياناً جلبة في مياه النهر، وذلك حين يبدأ ذكر البط في مغازلة أليفته.

كانت، هي وزاك، يسيران بين أشجار الأضاليا التي تنعقد فوق رأسيهما كأذرع ممتدة تعانق إحداها الأخرى، والتي تتهيأ أزهارها للتفتح بعد أسابيع قليلة، لتملأ الدرب بعباءة من الألوان.

عطر زنابق الوادي خطف أنفاسها، أمّا زاك، فعلى الرغم من أن أذنه ظلت مشغولة بالهاتف، إلا أنه أبطأ في مشيته لكي يستمتع بجمال الحديقة.

لاحظت كاترين أنها تحبس أنفاسها، وانتظرت حتى وصل إلى الفسحة التي تتوسط الغابة، وسرّها أن يقف لحظة وينظر حوله. لكن سرورها كان قصيراً، ذلك أنها عندما تقدمت ووقفت بجانبه بهدوء، أدركت أنه غير مهتم بما حوله البتة.

- يمكنك أن تبيع.

وكان يعطي إرشاداته وهو يحك رقبته، ثم تابع يقول بنبرة آمرة: «اطلعني على خطتك الاستثمارية في الشرق الأقصى قبل آخر النهار».

يا له من بربري! انتابها شعور بالسخط بسبب قلة إحساسه، فشعرت بالنفور منه. إنهما من عالمين مختلفين. على أي حال، ربما تكون هذه آخر مرة تستمتع فيها بهذا المنظر المألوف للغابة الذي يمتد أمام نظرها، لذا، فهي تريد أن تحتفظ بهذه المتعة قدر إمكانها.

احتلت زهرة «عصا الراعي» الزرقاء الفسحة الغزيرة العشب، فجعلتها تبدو كبحر متموج عندما يحرك النسيم الأزهار الزرقاء. وقد انحنت الأغصان المثقلة ببراعم أشجار التفاح والكمثري. وعلى جانبي الممر المؤدي إلى المنزل،

انتشرت أشجار الكرز اليابانية، التي منحت المنزل مشهداً رائعاً. أما الأوراق المتناثرة من أشجار الكرم فأحاطت بالمنزل بشكل مثير، فبدت كتلك الأوراق المختلفة الألوان التي تنثر في الجوّ أثناء الأفراح.

بدا المنزل فخماً قديم الطراز، تغمره أشعة الشمس. ما جعل جدرانه العسلية اللون تلمع في أشعة الشمس وكأنها مغمورة بسائل الذهب.

نظرت كاترين إلى زاك وقد تملكتها البهجة، لترى تأثير ذلك الجمال عليه. فإذا به ما يزال عابساً، وكان يطلب رقماً جديداً على الهاتف ليقول: «تيم، بالنسبة إلى ذلك الاعتماد المالي...».

تملكها اليأس، وفكرت بأسى في أن ذلك الاعتماد المالي لن يكون بالتأكيد عطاء خيرياً لصيانة أسيجة المناطق الريفية الرائعة الجمال.

عجبت لأن زاك لم ير شيئاً مما حوله. لم يرَ ألوان أزهار «الأضاليا» التي تبهر الأنظار، ولا «أصابع الست»، أو «البنفسج» وغيرها... إنه أعمى وأصم إلا في ما يتعلق بعمله. فهو لم يسمع شيئاً من تغاريد الطيور الحلوة التي تملأ الجزيرة، وكان أكثر اهتماماً بإجراء المعاملات من أن يلاحظ مزيج الروائح العطرة التي يثيرها النسيم كلما تحرك.

جنة أديث ضاعت فيه سدى، كما أخذت كاترين تفكر بحزن وهو يتابع السير بخطوات واسعة، بدلاً من البقاء متمهلاً يقظاً إلى جمال العالم الطبيعي حوله. وتملكها الحزن. إنه لن يحب هذا المكان أبداً بقدر حبها هي له...

إلا أنها شعرت بشيء من التعزية، ذلك أنه لم يسر فوق أزهار «عصا الراعي» مباشرة، بل دار حولها. إنه إذن ليس متبلّد الأحاسيس تماماً. ومع ذلك، أدركت أنه في النهاية لن يتبع طريقة أديث في إنشاء الحدائق والاهتمام بها. من الواضح أن زاك وزوجته لديهما آراء مخالفة لسواهما في الأولويات وتقدير الأمور، وهما من الأشخاص الذين يعيشون حياة المدينة السريعة.

أدركت كاترين، بالغريزة، أنهما لن يستحسنا طريقة تحصيلها معيشتها، ولن يتعاطفا مع امرأة اختارت أن تعيش في مركب.

بدت على وجهها الكآبة. ربما يجدر بها أن تتقبل فكرة أن تطرد من المكان،

ما يضطرها إلى الطواف على الأنهر والخلجان للبحث عن مرسى خالٍ يمكنها أن تدفع أجره. وسيكون عليها بعد ذلك أن تعمل بجهد مرة أخرى، لكي تحصل على زبائن جدد. عضت شفتها محاولة أن تمنع نفسها من أن تصرخ غضباً وإحباطاً وأخذت تتساءل بشراسة عما جعل هذا الرجل يمتلك منزل «تريزانتي مانور» إذا كان لا يعجبه كما هو واضح. . .

وإذ امتلأت أذناها بشؤون المعاملات التجارية، ما أفسد السلام في هذه الحديقة السحرية، أخذت تسير بصمت نحو المنزل الذي تحب. آلمها التفكير أنها لن تغادر الجزيرة وأصدقاءها فقط، بل أن هذا الرجل وزوجته سيتجاهلان مبلغ السحر والمتعة المتوفران فيها.

عليها أن تحاول إقناعه بأن من مصلحته أن يكون هناك أناس قرب المنزل، يهتمون به ويرعونه. لكنها، في أعماقها، لم تكن مقتنعة بجدوى ذلك. وتنهدت. .

ليت أديث تعلم فقط أن هذا الرجل وزوجته سوف يدنسان جزيرتها الجميلة!.

٤ . لقاء عاصف

قال زاك متذمراً: «لمَ كل هذه المفاتيح؟».

وأخذ يقلّب حزمة المفاتيح الضخمة في يده، محاولاً أن يجد مفتاح الباب الرئيسي. فقالت له: «إنه يشبه هذا؟».

وأمسكت بمفتاح معلق في حبل حول وسطها، وأرته إياه للمقارنة.

تصلّب جسمه، وصرخ بها وكأنها اقترفت، أو على وشك أن تقترف، جريمة: «ألديك مفتاح؟».

فقالت بهدوء: «كنت أحضر غالباً لرؤية المالكة السابقة، ولهذا أعطتني مفتاحاً لأدخل».

ضاقت عيناه وحدّق إليها بحدة: «هل دخلت إلى البيت بعد موتها؟».

نظرت إليه باستياء، وأجابت بترفع: «أتعني أنني تسللت لكي أسرق شيئاً؟ أوانٍ نحاسية مثلاً؟ أو مدفأة رخامية أو اثنتين؟ أو ربما سلماً؟».

لم يبد عليه التأثر لجرأتها، وقال: «هذا أمر كثير الحدوث، وإن كنت لا أظنك ستعترفين بالسرقة».

وقاحته تلك أثارت سخطها، فجذبت نفساً عميقاً كي لا تضربه. . فهي لا تؤمن بالعنف. ثم قالت: «لم أسرق شيئاً، وفي الواقع، لم أضع قدمي في هذا البيت منذ وجدت أديث في سريرها. . .».

وبدت في صوتها رجفة تكشف عن مبلغ ألمها من ذلك الاكتشاف.

- أنت التي وجدتها؟

وبدا على وشك أن يقول شيئاً. . . ربما كلمة تعاطف. ثم، حسب ظن كاترين، امتنع في الوقت المناسب عن القيام بأي تصرف فيه رائحة الإنسانية.

وبدلاً من ذلك، شخر بصوته ثم قال: «ليس لي إلا أن أصدقك حالياً».

لكن عينيه أطالتا النظر إلى فمها المرتجف، وقد ظهر عليه التفكير العميق.

قالت كاترين وقد توترت شفتاها بغضب نادراً ما كانت تبديه: «يمكنك أن تسأل عني في الأنحاء، لتعلم أن ليس في جسمي عظم غير أمين».

لكنها شعرت بالضيق وهي تراه يتفحص جسدها، وكأنه يريد أن يرى مبلغ أمانة عظامها. جعل فحصه الحاد هذا لها وجهها يحمر خجلاً، فخفضت ناظريها لتتجنب نظراته النفاذة. فقال زاك بحدة: «لا تظني أنني لن أفعل هذا».

فحملقت فيه بتمرد مرة أخرى قائلة: «ألا يمكنك أن تقرأ الوجه؟ ألا يمكنك أن تدرك أي نوع من الناس أنا؟».

أجفل الرجل فجأة، وانطوى على نفسه. وجعلتها برودته البالغة وصلابته ترتجف.

- من عادتي ألاّ أثق بأحد إلا بعد برهان قوي على أمانته.
- لا بد أن من الصعب عليك اكتساب الأصدقاء.

فاشتعلت عيناه غضباً، وقال مزمجراً: «أريد مفتاحك هذا».

أخرجت، والازدراء في عينيها، المفتاح من الفلينة التي أنقذت مفاتيحها من الغرق مرتين.

لا بأس، يبدو أنها أفسدت الأمر، لكنها لن تخاف منه. إذا كان تحدّيها لهذا الشخص المتوحش يعني اضطرارها للرحيل، فسوف تفعل ذلك بطيبة خاطر.

لم تكره أحداً قط من قبل، فهي تستطيع أن ترى دوماً نواحي طيبة في أولئك الذين تتعرف إليهم، لكن هذا الرجل لا يملك ميزة طيبة على الإطلاق. مع هذا فهو يملك جزيرة أديث.. تغلّبت على تعاستها، ورفعت رأسها متحدية، ثم دفعت إليه المفتاح بعنف، وقد تصلب جسمها سخطاً وقالت: «خذه. لن أكون بحاجة إليه بعد الآن».

فتمتم وهو يأخذ المفتاح من يدها: «هذا هو الصواب».

دفعت شعرها إلى الخلف، وجذبت نفساً غاضباً. شعرت بأنها موشكة على أن تنفث ناراً وكبريتاً فتذيب زاك تايلنت هذا مكانه! وقالت بحدة: «نعم لن أكون بحاجة

إليه لأنك لست أديث بجلالها وتهاوإشراقها. وهكذا، لا أظنني سأدخل المنزل لألعب معك الورق، أو لأرقع ملاءاتك أو أرسم قوس قزح في الحمام».

بدا الذهول عليه لانفجارها هذا، فقطب حاجبيه، وأخذ يتأمل عينيها المتمردتين اللتين استدارتا باضطراب حين شعرت بصدمة قوية في قلبها. ضغطت كاترين على صدرها بيد مرتجفة، وقد تملكتها الحيرة.

ظهرت في عيني زاك لمحة من مشاعر دافئة خففت من توتر ملامحه، سرعان ما زالت. ولكن أثناء تلك الومضة المختصرة، عندما أضاءت ذبذبات الحياة ناراً في عينيه الرماديتين وارتفعت زاوية فمه الحازم، شعرت كأنما أطاحت بها صاعقة.

مرّت لحظات انحبست فيها الأنفاس، وبدا كأن شيئاً ساخناً في أعماقهما قد ربط بينهما، وأوقعها لهبه في المهلك. فجأة، استدار زاك على عقبيه بغضب عنيف لكي يضع المفتاح في القفل بقوة وحشية. بينما وقفت هي مرتجفة تحدّق برعب في ظهره العريض القوي.

ما الذي يحصل بينهما؟

خطر ببالها فجأة أن السبب هو الانجذاب الجسدي.. وانكمشت شاعرة بالحقارة. إنه أمر غير متوقع على الإطلاق، لقد اكتشفت لتوها تلك العاطفة المشبوبة الكامنة تحت مظهر زاك الصخري الخارجي. والأفظع من ذلك كانت مشاعرها الخاصة. يا إلهي! إنه رجل متزوج.

كيف أمكنها أن تشعر بالانجذاب نحوه.

ذلك الغليان في دمها، والإحساس بالحرارة والإثارة الخطرة.. ذلك كله جعل الجو بينهما مشحوناً بتيار كهربائي. إنه شيء لم تعرفه قط من قبل. ولم تكن تعتقد أبداً أن قوة كهذه موجودة أصلاً، وأنها يوماً ما، قد تمتلكها هي.

أما الحب، كما كانت تتصوره حالمة، فهو مشاعر رقيقة دافئة. ومع الحب يأتي الفرح بالاتحاد النهائي مع الشخص الذي وثقت به أخيراً، وشغفت به أكثر من أي شخص آخر. ولا بد أن الاتحاد بين شخصين يبدو حلواً رائعاً، لأنه اجتماع بين العقل والجسد والروح.. وهل أروع من شخصين يعبران عن

حبهما الكامل لبعضهما البعض؟.

لكنها فوجئت بتأثير جاذبية زاك البدائية. لم تتوقع قط أن تشعر بمثل هذا الدافع الطبيعي الخشن والبدائي، الذي لا علاقة له بالحب. شعرت بالمذلة لإحساسها هذا، ومع معرفتها بأنه متزوج، بدت حقيرة للغاية. على أي حال، إن دل ذلك على شيء، فهو يدل على براءتها وقلة خبرتها، كما فكرت ساخرة.

ما أسخف أن يؤثر على مشاعرها بينما هو لا يدري شيئاً من هذا، و أن تستطيع نظرة عفوية منه أن تقلبها رأساً على عقب!

قرأت مرة أن الرجل قد يشعر بالانجذاب إلى أية امرأة جميلة، حتى لو كان متزوجاً. وافترضت أنه سينتبه إليها في الوقت المناسب.

آه، كم ترثي لزوجته! لا بد أنه عاشق هائل. لكن كيف يستطيع أن يلائم بين اتصالاته إلى نيويورك وبين تبادل الأسهم في لندن واهتمامه بزوجته؟ أتراه يأخذ معه هاتفه الخلوي إلى السرير؟ استرخت ملامحها بابتسامة عريضة وهي تتصوّر ثورة زوجته عندما تقاطعها مخابرة هاتفية في اللحظة الحاسمة.

خنقت ضحكة خافتة، وتملكها الارتياح وهي ترى اعتدال خفقات قلبها بعد تسارعها إلى حد الهستيريا، وهدوء جسدها بعد تمرّده الشاذ. لقد اهتز كيانها بأكمله بسبب وسامة زاك الساحقة وجاذبيته الطاغية، كما تملكتها الرجفة بسبب وجودها بقربه.

إنها حساسة، كما يبدو، تجاه المظاهر السطحية. حسناً، إذا كان بإمكان الرجل أن يغازلها بعينيه من دون أن يتعرض لقصاص، فلِمَ لا تفعل ذلك هي أيضاً؟.

قال زاك بخشونة: «أراك تبتسمين».

كان قد فتح الباب ووقف جانباً ليدعها تمرّ. رفعت عينيها إلى عينيه، فتملكها الذعر وهي ترى العرق يسيل من جسمها.

ردت عليه بحدة: «وهل الابتسام ممنوع؟».

وشعرت بالرعب وهي تلاحظ بحّة صوتها تفسد تمردها هذا. لكنه هز كتفيه قائلاً: «كوني ضيفتي، وشاركيني النكتة. أم لعلك تضحكين مني؟».

ونظر إليها بارتياب.

-إنسَ الأمر.

ولوّحت بيدها مظهرة قلة الاهتمام، فقال بلهجة التهديد: «جربيني».

فكّرت في ذلك طويلاً، إلا أنها وجدت نفسها تحمّر خجلاً، فقالت: «ليس الأمر أبداً كما تظن».

ماذا يعني بقوله إنها تضحك منه؟ ولماذا يهتم بدوافعها؟ تلهفت إلى إخفاء احمرار وجهها عنه، فانحنت تخلع حذاءها قبل أن تدخل إلى مطبخ بيت المزرعة هذا، مسرورة بأن تجلس وتريح ساقيها المجهدتين.

خلع حذاءه، هو أيضاً، ودخل خلفها وهو يقول متأملاً: «أنت تعرفين طريقك في أنحاء المنزل».

لاحظت أن قدميه حسنتا الشكل وهو يقف عند العتبة مستنداً إلى الباب، واضعاً ساقاً فوق أخرى، ومطيلاً التفكير. وتملكتها الإثارة من جديد، فتسارعت أنفاسها.

صرفت بأسنانها ولم تقل شيئاً. عليها أن تركز طاقاتها على التحكم بهرموناتها العنيدة، وأن تتجنب عيناها الالتقاء بعينيه. بدا لها أنه هو أيضاً يحاول تركيز طاقاته على التحكم بهرموناته.

قال بتهكم جاف: «أنا مسرور لتصرفك وكأنك في بيتك».

فقفزت واقفة: «آه! لا بد أنك تراني قليلة التهذيب. آسفة».

قالت ذلك بسرعة، فهذا بيته الآن. نظرت إليه بعينيها البنيتين ثم تابعت تقول: «المعذرة، كان ذلك من وحي العادة».

راح يحدّق إليها بارتباك، ومع ذلك بدا لها أكثر وسامة من ذي قبل. عضّت على شفتيها وكأنها تتوقع منه تصرفاً غير اعتيادي.

تملكتها مشاعر غريبة، سرت في كيانها قبل أن تستطيع منعها. وانتابتها أفكار لم يخطر ببالها من قبل إزاء رجل. أرادت أن تقترب منه راغبة في أن يضمها بذراعيه القويتين و... لكنها تمالكت نفسها بذعر، وحوّلت نظراتها عنه مسبلة أهدابها الكثيفة، شاعرة بالغثيان لأفكارها هذه. كما شعرت بالارتياك

www.elromancia.com

لما كان يصيب مبادئها الخلقية القوية من تراجع.

- من وحي العادة؟ هل يعني ذلك أنك سكنت هنا يوماً ما؟

سألها ذلك بصوت هادىء رقيق، مليء بالجاذبية، بحيث أثر على أعصابها.

ثم أردف قائلاً: «أم أنك جئت فقط لزيارة صاحبة البيت؟».

- لا. لم أسكن أبداً هنا، مع أن أديث طلبت مني ذلك بعد تعارفنا بعدة أشهر.

بدت عليه الحيرة: «وأنت رفضت؟».

- أنا أحب الاستقلال بنفسي، فقد عشت وحدي عشر سنوات. مذ كنت في السادسة عشرة من عمري. وقد تفهمت أديث هذا عندما شرحته لها ولم تتأثر صداقتنا بذلك.

- هل كنت تعلمين أن لديها الكثير من السندات التجارية؟

أجابت وقد غاظها أسلوبه التجاري في الحديث: «هل لك أن تفسر ما تعنيه بكلامك هذا؟ إنني لم أتعلم سوى الإنكليزية والفرنسية في المدرسة».

- أعني.. أنها كانت غنية جداً.

فقالت بدهشة: «أحقاً؟ هل أنت واثق؟ كانت حياتها بسيطة للغاية».

- لكنها كانت تملك هذا البيت والجزيرة.

- كثير من الناس يعيشون في بيوت ورثوها، ومع ذلك هم أفقر من فأر الكنيسة. وبيت كهذا يحتاج إلى مال كثير للصيانة. ولو رأيت امرأة مثل أديث نادراً ما تشتري ملابس لها، وتدير جوانب الملاءات المهترئة إلى الوسط، لافترضت أنها فقيرة.

ضاقت عيناه الساخرتان: «ألم يحدث أن ساعدتك قط مالياً؟».

- أبداً! لم تكن قط بهذا الغباء! إنني أقف على قدمي، وإلا لما احترمت نفسي أبداً لو أنها فعلت.

- لكنك كنت تزورينها دوماً، وتتصرفين وكأن البيت بيتك.

- نعم، بصفتي صديقة. عندما كنت أزورها، كنت أدخل بنفسي، فأرى أديث جالسة هناك.

وأشارت إلى كرسي مريح بجانب المنضدة المقابل لها: «وأنا أجلس هنا».

بدت عيناها دامعتين بسبب الذكريات. وعندما نظرت إلى عينيه رأت فيهما بريقاً أشعل النار في كيانها.

ساد الصمت بينهما، وبدا الجو خانقاً. وشعرت كاترين بالحيرة، هناك قوة مرغمة تحاول أن تجرها إليه... إنها تسمع خفقات قلبها تدوّي في أذنيها..

رمقها بنظرة رقيقة عندما وضعت خصلة شعرها خلف أذنها، ونظرته تلك جعلتها تشعر بقلبها يذوب.

وأخيراً تكلم.. بهدوء لكن بنبرة خشنة، وكأن هناك ما يسد حلقومه: «إذا كنت تعرفينها جيداً، بإمكانك إذن أن تساعديني».

- أساعدك؟

سألته بغباء، وهي تريد كسب الوقت كي تستطيع التحكم في نفسها مرة أخرى.

نظر بغموض إلى هاتفه الذي راح يرن، ثم أقفله وأعاده إلى جيبه وهو يجيبها: «نعم، لكنني أولاً أريد كوب قهوة. هل تعرفين أين يوجد أبريق تسخين الماء؟».

ارتاحت وهي تجد نفسها مشغولة بعمل شيء ما. أشارت إلى موقد معدني قرمزي اللون، وهو واحد من أغراض أديث القليلة، الفاخرة، الباهظة الثمن: «إنه على الموقد، فكرت في أن وجوده هنا سيبدو مرحّباً لأي قادم إلى المنزل».

نظر إلى الإبريق متردداً، وكأنه لا يدري ما عليه أن يفعل بجهاز غير كهربائي. ورأته هي فأشفقت عليه وسرعان ما ملأت إبريق الشاي بالماء، وحملته إلى حيث الموقد.

وقف قريباً منها للغاية، ينظر إلى ما تفعل. تملكها الاضطراب وهي تشعر بالحرارة تجتاحها. وضعت الإبريق على النار ثم أسرعت إلى خزانة أدوات الطعام.

عندما أمسكت بالفناجين اضطربت يدها، فأخذت تحدق في الفراغ من

www.elromancia.com

دون أن ترى شيئاً، وهي تفكر في المرات التي لا تحصى التي كانت، هي وأديث، تثرثران فيها عند هذه المائدة بالذات. قال زاك وهو يبحث في الخزائن: «كنت قد طلبت إحضار مواد بقالة، وعليّ أن أجدها. أتريدين البن أيضاً؟».

ولوّح لها بكيس غالي الثمن. وفي تلك اللحظة، انتبه إلى ملامحها الباكية فسألها: «ماذا حدث؟».

عضت كاترين شفتها، ثم أحضرت إبريق قهوة أديث مختارة لنفسها مغليّ الزهورات.

- أنا أفتقدها.

قالت هذا برقة بالغة، وقد اغرورقت عيناها بالدموع مرة أخرى. وكان ذلك غريباً، فهي نادراً ما تبكي. لكن مشاعرها امتحنت حتى النهاية أثناء الأيام العشرة الماضية، خصوصاً أثناء الساعة الماضية.

- أنا أفتقدها أكثر مما كنت أتصور.

- همم.. كنتما صديقتين حميمتين إذن؟

بدت ذبذبات صوته المنخفضة كأنها الرعد يتخلل جسمها. ارتجفت وهي تفكر في أن هذا الرجل خطر إذا حوّل انتباهه يوماً ما إلى امرأة، وعبّر لها عن مشاعره، إذ لن يكون لديها مجال للابتعاد عنه.

- كنا كأم وابنتها. وعندما وجدتها.. ميتة.. كدت أموت.

همست بذلك فيما يدها ترتجف، ما جعلها تخطىء وضع القهوة في الإبريق. أخذ الملعقة من يدها فاحتكت أصابعه بأصابعها لحظة، فشعرت بها دافئة ومواسية للغاية. سرى في جسمها لهب مفزع، فأبعدت يدها بعنف مخيف، وأدارت له ظهرها شاعرة كأنها ستنفجر بالبكاء.

سمعته يجذب نفساً عميقاً، ثم يكرر برصانة ما قالته: «أم وابنتها.. آسف، من الواضح أن موتها قد مسّك في الصميم».

هبطت كتفاها وأومأت. لم تشأ أن تنهار أمام هذا الغريب قاسي القلب. لكن خسارتها لأديث الحبيبة، بالإضافة إلى احتمال أنها قد لا ترى الجزيرة مرة أخرى، هذا كله جعلها ترغب بالبكاء بمرارة.

- كنت أحضر لأتفقدها يومياً.. وكنا نتناول الفطور معاً..

أخذت كاترين تتمتم بذلك متألمة، كأنها تعذب نفسها. لم تعرف لماذا أخذت تفضي بكل ذلك لرجل تكرهه.. إنها فقط، تريد أن تفعل ذلك: «... كانت تصنع خبزاً رائعاً. كنا ندهنه بالزبدة والمربى البيتي، ثم ننظر إلى العصافير وهي تلتقط كراتنا الدسمة».

فقال بحيرة: «كراتكما الدسمة!».

- نعم كراتنا المعجونة بالجوز والبذور والزبدة. الآن أنا أحضر لها البذور فقط.

- أحقاً؟

نظرت إلى الأشجار خارج النافذة، شاعرة بالتعاسة والوحشة. كان هناك عصفوران طويلا الذيل يستفيدان حالياً من هذه التسهيلات.

قالت شاردة الذهن: «نعم، يفترض تنويع الطعام لها، وذلك حسب تنوع فصول السنة، وما إذا كانت الطيور في أعشاشها أم لا».

فقال لها باستنكار: «هل تأتين إلى هنا لتقومي بذلك، منذ وفاة أديث؟».

- على شخص ما أن يقوم بهذا العمل.

قالت هذا شاعرة بأن على الطيور أن تعيل نفسها خلال الشتاء القادم.

فقال بحزم، مؤكداً أسوأ مخاوفها: «وطبعاً، أنت لن تفعلي ذلك مرة أخرى. أنا أحب العزلة، ولا أريد أن يتسكع الناس في أملاكي، خصوصاً في غيابي».

نظرت إليه بعينين متسعتين: «أنت لن تسكن هنا طوال الوقت إذن؟».

عبس وكأنه كان يفضل بدلاً من هذا البيت، كهفاً مناسباً في جبال همالايا، وقال: «لا».

- إنه لم يعجبك، أليس كذلك؟

- ليس كثيراً.

افترضت كاترين أن زوجته اشترت البيت دون علمه، واستغربت ذلك.

قالت بهدوء: «مسكينة أديث، لطالما كانت تقول إن لديها خطة رائعة لهذا المنزل

عندما ترحل، لكنها لم تخبرني قط ما كانت تعنيه. حتى إنني لم أعلم قط بأنها عرضته للبيع».

- هذا لم يحدث، فقد تركته لي في وصيتها.

فتحت كاترين فمها بحيرة، وشهقت قائلة: «أنت؟ لا أصدق هذا! حتى إنك لم تحضر جنازتها».

- أنا لا أذهب إلى الجنائز.

قال هذا وقد بدا على فمه توتر. كان في الجنازة أكليل من الزهور الاصطناعية، كما تذكرت كاترين، وهو متناقض بشكل حاد مع إكليل من زهور الريف قدمته كاترين وأصدقاؤها العاملون في القوارب. وكانت البطاقة الملصقة على إكليل الزهور الاصطناعية تحمل كلمة واحدة: الوداع.

لم تكن هذه الكلمة توحي بحزن كبير. لكنها أدركت الآن أنها تمثل شخصية زاك بكلامه الموجز، وتملكها الفضول..

- هل كنت أنت من أرسل ذلك الإكليل؟

- هذا صحيح.

اتسعت عيناها. ولمعرفتها الجيدة للغاية بأديث لم تستطع أن تتصور بأن بين زاك والسيدة العجوز أي هدف يجمعهما معاً!

وتساءلت بصوت مرتفع: «كيف عرفت أديث شخصاً مثلك».

- لدي شركة للاستثمار، فكنت مستشارها المالي في تنمية أموالها.

أومأت بعد أن فهمت الموضوع. لكن أديث ما كانت لتكن له من المودة ما يكفي لتؤمنه على جزيرتها.. سألته مرتبكة: «ولماذا تركت لك الجزيرة؟ إنك آخر رجل في العالم..».

وأطبقت فمها. لقد تكلمت كثيراً...

فقال بنبرة جافة ملؤها التسلية: «الحق معك. أنا أيضاً لا أفهم. لقد أرادتني، لسبب لا عقلاني، أحمق، أن أعيش هنا».

تصورته يعيش في منزل أشبه بالقصر، فيه بحيرات للسباحة، وخدم. وسألته: «لكن لا بد أنك تملك منزلاً».

- لا. لديّ فقط شقة في لندن.

وفكرت في أن ذلك ما يناسبه. شقة عصرية للغاية، تقع في حي أنيق، لكن العيش فيها كجهنم.

- حسناً، لا يمكنك أن ترغب في هذه الجزيرة؟

- الحق معك، فأنا لا أرغب بها.

تملك كاترين الأمل لحظة في أن يبيعها لشخص آخر، شخص أكثر تعاطفاً يسمح لها بالبقاء في الجزيرة.

- فهمت، أنت ستبيعها إذن؟

- أنا لا أحب الحديث عن أعمالي.

يا له من تعنيف مباشر! أومأت برأسها وقد سرّها أن يكون تعارفهما قصيراً. وقالت: «لا ألومك. فالممر يصبح موحلاً إلى حد فظيع في الشتاء، ويمكنك أن ترى شكله الآن. ثم أنك ستكون منعزلاً تماماً هنا».

وتذكرت أعشاب القمح فتابعت: «كما أن متع المدينة غير متوفرة، وكذلك الأطعمة الغريبة».

ألقى عليها نظرة مفكرة متفحصة، فهمت منها أنه يعلم بالضبط ما تهدف إليه، ثم سألها: «لكنك، رغم كل ذلك، تحبين الإقامة هنا».

فاستدارت عيناها: «وكيف عرفت هذا؟».

ساد صمت قصير لاحظت فيه ازدياد سرعة تنفسه.

ثم أجاب: «من الطريقة التي نظرت بها إلى أزهار «عصا الراعي».

فقالت بجفاء: «إذن، فقد لاحظتها».

- نعم، أثناء مروري.

وأمال رأسه جانباً ونظر إليها متأملاً: «ما دامت علاقتك بأديث كانت حميمة جداً، كما تدعين، لماذا لم تترك لك البيت والجزيرة؟».

ابتسمت كاترين وهي تفكر في حديثها مع أديث: «آه، قالت إنها كانت تخطط لتفعل ذلك، لكنني أخبرتها بأنني لا أريد».

شخر غير مصدق، وقال: «من الصعب تصديق هذا».

www.elromansia.com

– كان هذا قراراً غير عملي، كيف أستطيع الإنفاق على إدارة ذلك كله؟
– من الأموال، طبعاً.
– لكنني لم أكن أعلم أنها تملك الكثير من المال.
فقال متأملاً: «من الغريب أنها لم تخبرك».
– لم أمنحها فرصة لذلك. قلت لها إنني سأطوف وحدي في أنحاء الجزيرة شاعرة بالوحدة، حتى إن أصدقائي لن يأتوا إلى زيارتي بعد ذلك.
– ولِمَ لا؟
– لأنهم أناس عاديون، وسيشعرون بالرهبة.
– كان يمكنك أن تبيعيها.
حدقت إليه دون أن تفهم: «وما الفائدة من حصولي على منزل كي أتخلص منه مباشرة؟».
– هل تتعمدين إثارة استفزازي أم أنك ساذجة إلى هذا الحد بالنسبة إلى اكتساب المال؟ الفائدة هي أنك ستصبحين غنية جداً.
المال! يبدو أن حب المال يسيطر على حياته. مقتنيات، أملاك... هذا كل ما يراه، وكل ما يعرفه. ما أغرب أن تشعر بهذا الانجذاب نحوه. أيكون ذلك ناتجاً عن تجاذب الأضداد؟.
ولكن، من أين تبدأ لتشرح فلسفتها في الحياة؟ إنه لن يفهمها.. ارتفع حاجباه بسخرية وكأنها كانت تكذب لأنها لم تشرح له شيئاً. ونبهها ذلك للقيام بهذا الأمر فقالت: «كانت أديث تعرف وجهة نظري في العيش ببساطة. فأنا لا أريد مالاً أكثر مما أنا بحاجة إليه، هذا إلى أنني سأصبح قلقة إلى حد الجنون إذا كان لدي مال استثمره في الأسهم».
– يمكنك أن تفكري في الكثير من الملابس الجديدة التي بإمكانك أن تشتريها.
– لديّ كل ما أحتاجه منها! وإذا أردت شيئاً، مثل معطف شتوي، فأنا أعمل مزيداً من الساعات. لديّ الآن بيت، وهو يعني الكثير بالنسبة إليّ. أنا حقاً لديّ كل ما أريد، فلماذا أغير مجرى حياتي؟ إذا فعلت، قد تغدو حياتي

شقية وفوق مستوى إمكانياتي. كانت أديث تعلم أن نوع الحياة أهم لدي من الأملاك المادية، وقد تقبلت ذلك لأنه كان فلسفتها هي أيضاً.
وابتسمت كاترين بمحبة، بينما هز هو رأسه بحيرة: «لا أفهم».
– لا، لا أظنك فهمت. ولكن، افرض أنني قبلت عرضها ذاك، فهو سيغير من نظرة الناس إليّ، خصوصاً إذا تركت لي أموالها أيضاً. وكما قلت لك، سيشعر أصدقائي بالانزعاج جداً في بيتي، سيشعرون بالارتباك بسبب الفرق في الوضع المادي. إذا ما اشتريت لهم شراباً في مقهى، ربما ظنوا ذلك استعلاء مني، وإذا لم أفعل سوف يظنون أنني بخيلة. إذا تغيرت ظروف الشخص المالية، يتغير موقف الناس الذين حوله منه. لدي أصدقاء ممتازون، وأنا أحبهم جداً، ولا أريد أن أخسر صداقتهم. إنها تعني لي الكثير.
فقال ساخراً: «لكن عيشك في بيت فخم يمكنك من اكتساب أصدقاء جدد».
– بالضبط. لكن أموالي هي التي ستجذبهم. وهذا سبب آخر يجعلني أرفض الأموال. صداقاتي حقيقية والناس يحبونني لنفسي لا لما أملكه من مال. إننا نحترم بعضنا البعض، وهذا يشكّل حساً رائعاً بالجماعة والحماية. إنني سعيدة جداً، وسأكون حمقاء إذا عرّضت تلك السعادة للخطر. لقد شرحت كل ذلك لأديث فأدركت أنني.. سبق وحصلت على فردوسي.
وتلعثمت في آخر الجملة. ففي أية لحظة الآن يمكنها أن تخسر فردوسها هذا.
أخذ إبريق الشاي يئز في الوقت المناسب. واستطاعت أن تمنعه من رفعه وحرق أصابعه. ولسوء الحظ، اندفاعها نحو الموقد جعلها تصطدم به، فالتفت ذراعاه حولها تلافياً للاصطدام.
قالت كاترين متلعثمة، وهي تشير إلى الإبريق: «إنه حار».
ولكن كل ما شعرت به هو خفقات قلبها، ومنعتها الصدمة من الحركة.
– حار..؟ فهمت.
وانحنى رأسه مقترباً منها، والتوت شفتاه...

بدا الازدراء في عينيها؛ إنه رجل متزوج، لكنه جاهز لأية فرصة!

قالت بحدة، وهي تحملق فيه: «سأصنع القهوة».

خبا البريق في عينيه الرماديتين، ثم تركها وهو يقول: «افعلي».

ملأت إبريق القهوة ووضعته على المائدة، كما سكبت ماءً حاراً على مغلف الزهورات، ثم جلست إلى المائدة.

راح نبضها يتسارع، فجاذبية هذا الرجل تشكل خطراً على احترامها لنفسها. عليها أن تخرج من هنا وفي أسرع وقت ممكن. شعرت بارتجاف في قلبها، فذلك يعني أن عليها أن تطرق موضوع رسو مركبها الآن.

كانت ترجو أن تهيىء للموضوع بحديث ودّي يشعره بالرضا عنها، فيميل إلى جعلها تبقى. لكن تأخير ذلك أصبح مستحيلاً الآن.

وقبل أن تفتح الموضوع، سألها ساخراً: «هل فكرت في سبب تسكعك في جزيرتي؟».

لم تكن هذه البداية تبشر بالخير.

- كانت أديث قد سمحت لي بإرساء مركبي في الجانب البعيد من الجزيرة.

أخرج علبة أسبرين من جيبه وأخذ منها حبتين، وهو يسألها: «أي نوع من المراكب هو؟ هل تجذفين إلى هنا من القرية أو أي مكان آخر؟».

تساءلت كاترين عما إذا كان سوء طبعه ناتجاً عن الصداع، فقد كان يفرك رأسه كثيراً.

- إنه من نوع المراكب الصغيرة، وأنا أسكن فيه.

بان عليه الذهول، فسارعت تستغل ذهوله هذا لتقول: «كنت أتساءل عما إذا كنت تسمح لي، بصورة مؤقتة، أن. . .».

- لا!

- أنت لم تسمع ما كنت سأقوله.

- أنا لست غبياً. أنا أكسب عيشي بجمع اثنين مع اثنين. أنت تريدين أن تتابعي عملك. والجواب هو «لا».

- بالتأكيد. لكن، إذا كنت تريد أن تبيع . .

- هذا سبب أكبر للتخلص من المتشردين الخارجين عن القانون، الذين يريدون أن يحضروا كلما خطر ذلك لهم.

التهب وجهها لهذا الوصف: «لكن ذلك. . .».

- لا!

سألته بتمرد وعيناها تلتهبان غضباً: «ولِمَ لا؟».

أخفض زاك بصره فبدت أهدابه الكثيفة، ثم سكب لنفسه فنجان قهوة، مالئاً الجوّ بالرائحة الذكية.

- لا أحد سيشتري هذا المكان، إذا كان ثمة متجولون راسون على ضفاف النهر. كما أنني عندما أكون هنا، أريد عزلة وأماناً. ومن غير المحتمل أن أجد ذلك وأنت مخيّمة هنا، بين كومات القصب، ظناً منك أن بإمكانك أن تتعاملي مع جزيرتي كما تتعاملين مع حديقتك. فتزورينها كلما شعرت برغبة في ذلك.

فكرت كاترين واجمة، في أنها لم تذكر له أيضاً دجاجاتها وقطعة الأرض التي استنبتت فيها الخضار. وقالت بإلحاح: «إنك لن تشعر بوجودي».

نظر إليها من رأسها حتى أخمص قدميها بشيء من التسلية الجافة، رغم أنها تشك في أنه يبتسم أكثر من مرة في السنة.

- ألا تصدقين أن جوابي هو لا؟ تعودي على هذا.

ونظر إليها من فوق حافة الفنجان ببرودة ثلجية، محاولاً أن يرهبها. وفي الواقع، لم تواجه كاترين في حياتها رفضاً مماثلاً. ولكن، ما الذي ستخسره إذا ما استمرت في المحاولة؟

حاولت أن تقنعه منطقياً، فقالت: «يمكنني أن أتفهم تحفظك هذا، ولكن فكر في ما ستجنيه من فائدة، يمكنني أن انتبه للمنزل في غيابك».

فقال بحدة وهو يبتلع حبتي الأسبرين مع القهوة: «انسي ذلك، وأنا سأركّب جهاز إنذار».

أجفلت وهي تتصوّر الزعيق يخترق سكون الليل، مخلياً المنطقة من الحياة الحيوانية إلى الأبد.

تنهدت قائلة: «لا بأس، موقفك واضح. ومع ذلك سأنتظر لأرى ما تقوله

www.elromancia.com مـرومـنـسـيـة

زوجتك».

كانت تلعب بآخر ورقة في يدها.

تمتم زاك: «ستنتظرين طويلاً».

فعبست قبل أن تقول: «لا أفهم لماذا. سبق أن جاءت إلى هنا عدة مرات، ورآها الكثيرون. إنها تقود سيارة صفراء، وقد أشرفت على نقل الأمتعة إلى هنا».

فقال ببطء: «الأخبار تنتشر في الأنحاء».

ردّت بشدة: «هذا لأن العمال الذين نقلوا الأمتعة لم يحصلوا على إكرامية. لقد ذهبوا إلى مقهى ليتناولوا شراباً كانوا شديدي الحاجة إليه، ثم شكوا من أن زوجتك شحيحة، بخيلة، باعتبار أنهم اضطروا إلى عبور الجسر بتثاقل وبطء، وعبر البساتين حاملين أمتعتك».

- سأصحح هذا الخطأ. ولكن على الإشاعات أن لا تتحوّل إلى استنتاجات. ثم إنها سكرتيرتي وليست زوجتي، فأنا مطلق.

بشكل ما، استطاعت كاترين أن تمنع نفسها من القول إنها لا تستغرب هذا. يا للحظ السيء! خاب أملها بأن تصبح ذات الشعر الأشقر حليفتها. والآن، تبخر آخر أمل لها... وانهارت قليلاً في كرسيها.

قالت متوسلة بصوت خافت: «أليس ثمة سبيل إلى أن تدعني أبقى مكاني حتى يستلم الأملاك رجل آخر؟ إنني سأفقد عملي. إذا لم أستطع العمل في مركبي...».

- انتظري لحظة. كنت أظنك تطلبين الرسو هنا بين حين وآخر، وإذا بك تطلبين البقاء الدائم.

- نعم. إنني هنا منذ ثلاث سنوات، وقد لا يعني لك شيئاً أمر إرساء مركبي هنا، لكنه كل شيء بالنسبة إليّ. معيشتي كلها سوف تذهب إذا اضطررت إلى الرحيل. إن لديّ من يعتمد عليّ...

فقاطعها: «هذه مشكلتك، وليست مشكلتي. أريدك أن تذهبي، فاحرصي على ذلك».

نهضت كاترين واقفة، وهي تتساءل كيف سيبدو إذا هي سكبت على رأسه نصف علبة عصير. لكن الكرامة منعتها من ذلك.

وقالت بهدوء: «لا بأس، سأذهب. ولكن عندما يعرف الآخرون بطريقة معاملتك لي، ستغدو هذه مشكلتك أنت أيضاً».

- هل هذا تهديد؟

هزت كتفيها قائلة: «أنا أعلم فقط طبيعة الناس هنا. عاملهم بتهذيب واحترام، يذهبون إلى آخر العالم لأجلك. عاملهم، أو عامل أصدقاءهم بشكل سيء...».

وهزت رأسها وكأنه اقترف غلطة ضخمة قبل أن تتابع قائلة: «كل ما أرجوه هو ألاّ تحتاج إلى عامل صيانة لفتح الأنابيب أو إلى من يساعدك في أعمال الحديقة».

ثم خرجت قبل أن يجيبها. وكانت ترتجف تأثراً وتعاسة وهي تواجه حقيقة أنها على وشك أن تفارق جزيرتها الحبيبة إلى الأبد.

٥ - ليل، وصوت عندليب

حتى عندما لحق بها، كان يعلم أنه سيندم على ذلك، وأن من الأفضل له أن يتركها ترحل، فلا يراها بعد ذلك أبداً.

لكن ما زالت لديه تلك الفقرة في الوصية، والتي عليه أن ينفذها. وكاترين هي الوحيدة التي يمكنها أن ترشده إلى مكان «بارديتا» الغامضة، التي ذكرتها أديث في وصيتها.

لولا ذلك ما كان ليتلف حذاءه الجيد الغالي الثمن بالغوص في الأوحال الكثيفة، بحثاً عن تلك المرأة الضئيلة التي يبدو تأثيرها عليه غير عادي.

تباً لها! امرأة تعيسة! نزع شوكة قاسية علقت بسترته، وشتم بصوت خافت عندما مزقت الشوكة قماش سترته الثمين.

هذا يكفي! يمكنها أن ترحل. وعلى «بارديتا» أن تستغني عن الخمسة عشر ألف جنيه، التي تركتها لها أديث في الوصية. إلا إذا كانت قد قرأت الإعلان في الجريدة الرسمية، ذلك الإعلان الذي دفعه إحساسه بالواجب إلى وضعه.

إن لديه عملاً يناديه، وهذا المنزل سيأخذ الكثير من وقته الثمين.

حسناً! لقد اتخذ قراره.

ومع ذلك لم يستطع أن ينفذه. ثمة شيء يمنعه.. ربما هو الفضول.

شخر زاك ساخراً، من تراه يخدع! كاترين هي التي تمنعه. تلك المرأة ذات التناقضات، الرقيقة، الهشة المظهر، ومع ذلك فهي تملك قوة غريبة. إنها ذات لسان حاد وعينين تشبهان أشعة اللايزر أحياناً. لكنها ذات صوت مفرط في الرقة، هدأ من فظاظته وعنفه. كما أنها ذات فم عنيد، وابتسامة تذيب الماس. والأكثر غرابة، أنها امرأة قديمة الطراز. ما كان لينظر إليها مرتين لو مرّت

به في لندن، فهو يفضل النساء الأنيقات، الرشيقات، ذوات النشأة الراقية، والشخصية الاجتماعية، على العكس من كاترين. ومع ذلك، رقص جسده منذ اللحظة الأولى التي رآها فيها. ذلك أن وهجاً من ذكاء ونار، منبعثاً من عينيها البنيتين، أثار فضوله. كما بدت عظامها هشة إلى درجة أنها قد تتهشم إذا ما فكر بضمها إليه. وهذا لا يعني، طبعاً، أنه سيضمها إليه.

لا! هذا الدافع القهار إلى رؤيتها مرة أخرى سخيف للغاية. سوف يعود إلى البيت و...

قفز عندما رأى دجاجة تخرج من الأجمة. لم تكن دجاجة عادية، بل كانت بحجم ديك الحبش، ذات لون أصفر وردي... رباه! إن لها لحية سوداء! رأته الدجاجة فوقفت مدهوشة، ثم تقدمت نحوه وعلى وجهها نظرة أمل.

حسناً! ماذا بعد؟ وشعر بالغباء... لكن بإمكان ذلك الرأس البراق العينين بنظرته الجانبية أن يوصف بالذكاء. قال يخاطبها: «أظنك تابعة لأديث، أنت أيضاً. أليس كذلك؟».

وفجأة، شعر بالحرج. أخذ ينظر حوله خلسة، خوفاً من أن يكون أحدهم قد رآه وهو يتحدث إلى دجاجة.

وتنهد مفكراً. لا بد أن الدجاجة المسكينة تتضور جوعاً، إلا إذا كانت كاترين تطعمها.

راحت الدجاجة تنتف رباط حذائه، فابتعد بسرعة عائداً إلى المنزل. تملكه الغيظ وهو يرى نفسه مرغماً على العودة، لكن لديه من الانشغال ما يمنعه من ملاحقة كاترين.

سوف يجعلها ترحل قريباً، وإذا لم تفعل سيدع المحامي يلاحقها. أما الدجاج فينبغي أن يباع في أقرب سوق. وهكذا تحل المشكلة. سيكلف جين الاهتمام بكاترين، ما يمنعها من القيام بأي عمل سيء... وشعر بالراحة لهذه الفكرة.

بعد أن دخل إلى المنزل، صعد إلى الطابق الثاني ثم إلى الغرفة الرئيسية مباشرة. لم يكن مهتماً بأي مكان غير الذي سينام فيه، إذ لم يكن لديه وقت

للتسكع دون هدف.

كانت جين قد علقت ملابسه، ونظمت بقية أغراضه في الأدراج. بعد أن اطمأن إلى أن لديه كل ما يحتاجه، استقر خلف المكتب القريب من النافذة، حيث وضعت له الكومبيوتر.

أثناء انتظاره لتشغيل الكومبيوتر، خلع سترته وعلقها على ظهر الكرسي، ثم حانت منه التفاتة إلى الحديقة خارج النافذة.

كان موقعه من الارتفاع بحيث تمكن من رؤية آخر الجزيرة.

لاحظ أن فرعاً من الممر يمتد من الجسر إلى الناحية البعيدة منها، رغم أن ذلك المكان كان مغطى بنبات «الرودندروم» الذي أوشكت براعمه على التفتح.

جمد مكانه عندما رأى رجلاً يرتدي بنطلون جينز وقميصاً أحمر مقفلاً، يسير على الممر نحو «الرودندروم» وازدادت تكشيرة زاك. لا بد أنه أحد أصدقاء كاترين...

تملكه الأمل في أن يدرك الرجل أنها رحلت ولن تتعدى على أملاكه مرة أخرى. وإذا وجد مشكلة في ذلك، سيضع بوابة مقفلة للجسر. فهذه أملاكه وليست حديقة عامة!

وسجل بغضب كلمة المرور في الكومبيوتر، ثم ركّز على عمله في تحري أسعار اليوم، أو حاول ذلك.. إذ بقي ساعة كاملة ينظر إلى الخارج وقد جذبه المنظر. ومن الغريب أنه كلما ازداد تأملاً كلما ازداد شعوراً بالراحة والاسترخاء.

خف توتر كتفيه، وكذلك عضلاته بعد تصلّبها السابق. كما أن صداعه الدائم تقريباً قد تلاشى.

لا بد أن في الحديقة ما يريح الأعصاب. وأخذ يفكر في ما عسى أن يكون ذلك. لا بد أنها تلك الألوان المتلائمة الناعمة، وتلك الأشكال المختلفة للأشجار. فمنها السامقة المثلثة، ومنها الأجام القصيرة الشجيرات، وغيرها من الأشجار المنحنية السامقة، والغليظة، بعضها وافرة الأوراق، وأخرى شحيحتها... واضطر إلى الاعتراف بأن المنظر بأكمله جذاب حقاً...

وحبس أنفاسه وقد تشتت صفاؤه النفسي فجأة. لقد عاد تلك المتطفل، وها هو الآن متوجه إلى الجسر. وأثناء سيره مرّ برجل آخر، فأومأ له برأسه ما دلّه على أنهما غريبان عن بعضهما البعض. وسار القادم الجديد متجهاً بثبات نحو «الرودندروم» ثم، إلى ما افترضه... كاترين.

تملكه السخط، فاندفع هابطاً السلم قبل أن يدرك ما يفعل. دس قدميه في حذائه المثقل بالأوحال، وأسرع متجهاً إلى تلك «الرودندروم» اللعينة. هذه أرضه، أملاكه...

وهؤلاء الرجال... لقد تحدثت عن أناس بحاجة إليها، وقالت إنها ستخسر مصدر رزقها إذا خسرت زبائنها المنتظمين. وحبس أنفاسه... من المؤكد أنها ليست...؟ حالما خطرت له هذه الفكرة نبذها على الفور، فقد بدت له بريئة للغاية وليست مادية. لكن هذه الفكرة بقيت تلح عليه، بالرغم من ذلك. وتساءل عابساً عما سيجد...

وصل إلى نهاية الممر، فتفرقت أمامه دجاجات عملاقة. أخذ يتأمل المركب المتألق بالألوان، الملتصق بضفة النهر، وكان مغطى حتى نصفه بشجرة وارفة، متدلية فوقه.

كان المركب يهتز بلطف. شعر زاك بالاضطراب، وتوتر فكّه، فأرغم نفسه على عدم الإصغاء إلى صوت الشك الذي يتردد في ذهنه. لم يكن هناك سوى طريقة واحدة ليتأكد بنفسه مما يجري...

نزل إلى المركب بحذر، ورأى ورقة معلقة على مقبض باب القمرة المتألق اللون، فقرأها: «مرحباً. أهلاً وسهلاً. انتظر في الخارج من فضلك».

تجاهلها زاك متعمداً، ودفع الباب فانفتح.

نظرت كاترين بدهشة إلى زاك وهو يسدّ الباب بجسمه الضخم. لاحظت غضبه على الفور، فبادرت إلى التصرف قبل أن يتمادى في غضبه. قالت بقوة وحزم: «أنا مشغولة. اخرج وانتظر حتى أنتهي، من فضلك».

انحبست أنفاسه لحظة عندما التقت أعينهما، فرأت في نظراته ازدراء واضحاً، وهو يرفق زبونها بنظرات مخيفة.

- هل أنت مشغولة حقاً؟

أجابت بتوتر: «نعم، كما ترى. سأنتهي بعد نصف ساعة».

شخر مشمئزاً، وخرج صافقاً الباب خلفه.

أما هي فقالت لجو: «أنا آسفة لذلك. إنه إزعاج صاحب الأملاك».

- لا بأس.

تمتم الرجل بذلك في الضباب الحالم الذي يلفه، بينما حواسه تدور بتأثير يديها الخبيرتين.

وعادت تقوم بعملها مرة أخرى، لكنها لم تستطع التركيز إلا بعد فترة. بدلاً من التركيز على ما يحتاجه جو، بقي ذهنها يفكر بزاك. ما الذي فعلته ليغتاظ منها بهذا الشكل؟ لم ترَ قط رجلاً بمثل مزاجه السيء هذا!

بعد مرور أربعين دقيقة، كانت قد لوّحت بيدها تودع زبوناً آخر ذهب راضياً، بينما هي تضع في الصندوق المبلغ الذي أعطاها إياه. دخل زاك وهو ينزل مرتبكاً على الدرجات الخشبية الضيقة، إلى القمرة.

قطب جبينه وهو يرى النقود في يدها، بينما أقفلت هي الصندوق، متوترة الشفتين، ثم طوت السرير الذي كان جو مستلقياً عليه، ووضعته جانباً. عند ذلك فقط استطاعت التحكم في غضبها، فقالت بكبرياء: «إذا كنت تعجب لماذا لم أرحل بعد...».

فقاطعها بعنف: «لماذا لم تخبريني بأنك تديرين ماخوراً عائماً؟».

- أدير ماذا...؟

وسرعان ما تحوّلت حيرتها إلى ابتسامة، ومن ثم إلى انفجار بالضحك.

أخذت تضحك بشكل هستيري، حتى أمسك بذراعها، وأخذ يهزها وهو يزمجر: «هذا ليس مضحكاً، أظن أن الظروف دفعتك إلى احتراف هذا العمل الدنيء، ولكن...».

فقاطعته لاهثة: «ما الذي تقوله؟ أنا لست كما تظنني، صدقني يا زاك».

بدا عدم التصديق على ملامحه: «لقد رأيت جدولاً متدفقاً من الرجال...».

فقاطعته بجفاء: «رجلان فقط».

فقال وقد زاد غضبه: «حسناً! إثنان رأيتهما، والله يعلم كم واحد غيرهما كان يجلس على ضفة النهر منتظراً دوره».

فشهقت قائلة: «لا تكن سخيفاً».

- أنا أعرف ما رأيت. آخر واحد منهم كان ممدداً على سريرك، وكنت أنت منحنية فوقه، عندما فتحت أنا هذا الباب. فإذا لم يكن هذا برهاناً، لا أدري ماذا يكون! كيف تجرؤين على استعمال جزيرتي لمثل هذا العمل المعيب؟ إذا كنت قد وضعت عصابة على عيني أديث كي لا ترى نشاطاتك هذه، فأنا لست ساذجاً مثلها.

لم يشأ أن يصغي إليها. تخلصت كاترين من قبضته وهي تشعر بالسخط. ماذا يهمها من سوء رأيه فيها؟ إنه لا يستحق شرح الأمر له.

وسألته وهي تتنهد: «هل هذا هو سبب قدومك إلى هنا؟».

- نعم. وعليك أن ترحلي من هنا، الآن! لا أريد أن يحدث هذا تحت أنفي...

وسكت فجأة عندما رن هاتفه فتمتم بضيق: «تباً لهذا! ظننتني أقفلته».

نظر إلى شاشة الهاتف بغضب، ولعله رأى شيئاً استرعى اهتمامه، لأنه قال بلطف: «هالو».

ابتعدت كاترين عنه، وقد وطّنت أمرها على الرحيل بعد دقيقتين. وهكذا، أخذت تراجع جدول مواعيدها لترى أيّاً عليها أن تلغي.

ربما يمكنها أن تغامر بأخذ مرسى مؤقت، أقرب إلى القرية. ولكن سيكون عليها أن تنتقل كل أسبوعين. هذا هو القانون وهذا لا يبشر بالخير بالنسبة إلى عمل ناجح.

ودون وعي منها، وجدت نفسها تصغي إلى حديث زاك. بدا كأنه يتحدث إلى شخص مقرب منه، إذ كان يتحدث بحرارة ومحبة. وبالنسبة إلى رجل متصلب مثله، بدا غاية في اللهفة.

راح يقول بحذر: «لم أجد المنزل كما توقعته. فهو غير مناسب على

الإطلاق. . . لأنه في جزيرة. . . نعم. . . حسناً، أظنه مثيراً. . . يفترض بنا أن نعبر جسراً. . . لا. إنه خشبي ضيق، كذلك الذي في قصص المغامرات. . .».

نظرت إليه بسرعة وقد تملكها الفضول. رأته مذهولاً وكأنه لم يتوقع أن يهتم من يتحدث معه بالبيت الذي اشتراه. هل هي مطلّقته؟ صديقته؟

– ولكن ليس هناك سينما قريبة، ولا دكاكين للسندويشات. . .

أدركت أنه يتحدث إلى صبي. وكان يتابع الآن: «قوارب؟. . . هناك قوارب. . . لكنني لا أدري إذا. . .».

وساد صمت طويل كان زاك يصغي أثناءه باهتمام، وقد صفا وجهه وكأنما طلعت الشمس خلفه: «سأحاول طبعاً. سأراك غداً يا سام، وفي وقت مبكر، بشرط موافقة أمك. نعم، أنا أعلم أن هذا سيكون ليوم السبت فقط. لقد أخبرتني عن حفلتك يوم الأحد. إنني متشوق لرؤيتك. إلى اللقاء. . .».

لم يصدّق أن سام يريد زيارته حقاً، رغم أن الجزيرة والجسر هما ما يريد رؤيته. تملكه بعض الأسى، ومع ذلك. . . إنها بداية.

لم يكن يعلم إلى متى يدوم اهتمام سام، ولكن ربما ستكون هناك ساعة أو نحوها لا يتصرفان فيها وكأن بينهما جداراً من الثلج.

ابتسم لعيني كاترين المتسائلتين، وقال بمحبة، كأنه يشاركها سروره: «إنه ابني، سيأتي لقضاء يوم واحد».

فأجابت برقة: «سيمضي وقتاً رائعاً».

فبدت عليه الحيرة وسألها: «أتظنين هذا؟ ماذا سيفعل هنا؟».

–هناك العديد من الأشياء التي يمكنه أن يفعلها. يمكنه أن يبني كوخاً من الأغصان، ويجعلك تصنع له بيتاً على شجرة. ستثور مخيلته هنا. يمكنه أن يلعب هنا لعبة القرصان. . . وجزيرة الكنز. . . آه، هذا مكان ملائم لأحلام الصبية.

أحقاً؟ ربما هي على حق. أومأ زاك ببطء وهو يرى تلك الإمكانيات. فجأة، شعر بدفعة من البهجة وأمل ألاّ تتحول الزيارة إلى كارثة، وبعد أن شعر

بكرم غير اعتيادي دفعه ليقول: «اسمعي، أنا أقدّر حقيقة أن عليك أن تكتسبي معيشتك بأي طريقة ممكنة، وأنا أعلم أن الانتقال من هنا سيكون صعباً عليك».

وأخرج من جيبه محفظة نقوده دون أن يلاحظ نظرة الذعر في عينيها. ثم أخرج رزمة من الجنيهات، وناولها لها وقد أرضى ضميره قائلاً: «خذي هذه لتساعدك على الاستقرار في مكان ما».

تراجعت إلى الخلف، وبدا جرح الكرامة في عينيها وهي تقول: «لا وشكراً لك».

– خذيها، لا بد أنك ستحتاجينها. . .

فأجابت كاترين بأنفة: «لا، لا أريدها! أرجو أن تتركني الآن، لأجمع أمتعتي. عليّ أن أجد مكاناً أرسو فيه قبل المغرب».

فتمتم مستغرباً رفضها هذا المبلغ الكبير من المال: «يا لك من امرأة عنيدة!».

حاولت أن ترفع قامتها لكنها لم تكد تصل إلى مستوى صدره.

قالت بهدوء: «ستدرك، ذات يوم، أن في الحياة ما هو أهم من المال. الناس يحبون أن يشعروا بأهميتهم. لكن بالنسبة إليّ، الكرامة هي الأهم».

فغمغم باضطراب: «الكرامة؟».

– هل لك أن تذهب، من فضلك؟ إنك تقف في مركبي دون حق قانوني.

أتراه يتعدى على ممتلكاتها حقاً؟ لم يستطع أن يصدق قوة أعصابها! توتر فمه غضباً. ودار فجأة على عقبيه، مندفعاً من القارب الضيق عائداً إلى بيته، وقد انزعج بشكل غير منطقي من تقدير كاترين البالغ لشرفها.

على أي حال، هذا ما هي عليه، وكيف يمكنها أن تكون أفضل؟

لم يستطع التركيز على عمله بشكل كاف، عصر ذلك اليوم. وعندما حل المساء، وجد أنه لا يستطيع أن يستوعب الأرقام على أوراقه المنشورة، مع أنها كانت في العادة أشبه بعبث أطفال بالنسبة إليه.

وبغضب بالغ، وجد أن كاترين تملأ ذهنه وتحتل أفكاره؛ عينان بنيتان

www.elromancia.com مروريات

لامعتان مليئتان بالاحتقار، وفم ناعم، أصبح فجأة مليئاً بالاشمئزاز، ويرتجف سخطاً، وجسد ليّن رقيق غدا متصلّباً غضباً . . . وكرامة، ويا لها من كرامة! بالرغم من الطريق الذي اختارته لحياتها!

وبدا عليه الاتزان. ربما هذا كل ما بقي لها. ورغم كراهيته لما تفعل، شعر بإعجاب خفي بها. إنه لم يعرف امرأة مثل كاترين، وربما لن يعرف أبداً.

هذا، إلى أنها أيضاً، في مهنتها تلك، بحاجة إلى أن تتعلم كيف تغوي الرجال وتجعلهم يرغبون بها. وقد أصابت هذه الفكرة منه أوتاراً حساسة بكل تأكيد.

أخذ يتململ في مقعده ليبدد ما يشعر به من تشوّق. لكنه حدّث نفسه بأن منظرها المثير هو مجرد تمثيل. وفكر مشمئزاً في أنه لا يريد التورط مع ألاعيبها القذرة. فكاترين لا يهمها سوى شيء واحد، هو رخصة للاحتفاظ بماخورها راسياً في جزيرته.

تملكه اكتئاب غير متوقع، مع أنه ينتظر وصول ابنه في اليوم التالي، فنزل إلى المطبخ حيث وجد وجبة جاهزة وضعها في الميكروويف.

تناول الطعام التافه الطعم في سكون المنزل، ووجد نفسه يفكر في كاترين وأصدقائها الطيبين الذين تحدثت عنهم. ودهش وهو يتساءل كيف ترحل من دونهم ما داموا يهمونها كثيراً.

وببطء، عاد إلى مكتبه في الطابق الأعلى. كان يشعر بثقل في قدميه كلما اقترب من النافذة. وقف هناك وهو يحبس أنفاسه. بدا الليل حالكاً خالياً من ضوء القمر، لا يخترقه سوى ضوء أبيض ضئيل يسير في الطريق الذي يؤدي إلى مركب كاترين. بدا المنظر رائع الجمال.

فتح النافذة. ومن مكان ما، سمع جرس كنيسة يرسل أنغاماً مع النسيم الرقيق، وانتبه إلى رائحة عطر غير مألوفة تداعب خياشيمه.

وقف هناك فترة طويلة، يلفه جوّ الليل وأصواته الغريبة. نيويورك تنتظر اتصاله. تذكر ذلك، لكنه كره أن يبتعد عن النافذة، وبدلاً من ذلك مال على عتبة النافذة مصمماً على سماع تغريد غير عادي لطير ما.

ألا تتوقف الطيور عن الغناء حين يعمّ الظلام؟ لا بد أنه طائر العندليب، وهذه هي المرة الأولى التي يسمعه فيها. بدا تغريداً عاطفياً ممتعاً. وشعر كأنه حصل على الجائزة الكبرى.

ما هي إلا لحظات، حتى توقف التغريد. وبابتسامة أسف باهتة، أوشك أن يغلق النافذة، عندما سمع أصواتاً. اكتسحت الأضواء الطريق، وسرعان ما رأى مجموعة شبان يسيرون بسرعة وهم يحملون أزهاراً في أيديهم. وبعد فترة قصيرة، إذا بمجموعة أكبر تتبعهم، مؤلفة من رجال ونساء وأولاد، وهم يحملون أطباقاً من الطعام.

إنهم أصدقاء كاترين! وأظلم وجهه. . . إنها، إذن، ما زالت هنا! وأخذ يفكر بضيق في أنها تجاهلت أمره لها بالرحيل.

وبافتراض أن هؤلاء جميعاً حضروا لوداعها، فذلك يعني أنهم لا يبالون بحقيقة مهنتها.

وفكر بشيء من الاشمئزاز بذلك الرجل والذي رآه ممدداً في سريرها، وبيدي كاترين اللينتين المرنتين وهما تعملان على تلبية حاجات زبونها. والتوت شفتاه. . ويقولون إن المدن هي مواطن الرذيلة!

وأزاح جانباً الحقيقة التي كانت تزعجه حقاً. وهي أن كاترين هي التي كانت تعرض نفسها. . . ولم يستطع مواجهة مشاعره من هذه الناحية.

أما ما غاظه حقاً فهو أنها كذبت عليه، مظهرة سخطها وبراءتها. لكنها في النهاية لم تستطع إنكار اتهامه لها. رغم أنه كان يرجو، تقريباً، أن يكون مخطئاً وأن يكون هناك تفسير بسيط لذلك كله.

مهما كانت القضية، فهو لن ينخدع. إذا لم ترحل قبل أن يحل الصباح، فهو سيطردها، لتهيم في البحر دون مرسى أو هدف.

www.elromancia.com

٦. هل سامحتني؟

بعد طلوع الفجر مباشرة، نزلت كاترين من سريرها والنعاس يتملكها. وبعد أن اغتسلت وارتدت ملابسها، أخذت تنثر الحبوب، لتشجع الدجاجات على القدوم إلى سلال المحرة التي كانت قد استعارتها.

أما فطورها فعليها أن تتناوله أثناء الرحلة. حاولت أن تدير محرك القارب بعد ظهر أمس، لكنه عاندها وتعطل، ولم تفلح جهودها في أن تعيده إلى الحياة.

على أي حال، كانت الريح سيئة للرحيل، هكذا، على الأقل، استطاعت أن تقول كلمة الوداع لأصدقائها. وارتسمت على شفتيها ابتسامة باهتة. «الضحك الكثير يجر دموعاً كثيرة» كما يقال.

عليها أن تفعل شيئاً. لبست مئزراً فوق البنطلون والقميص المقفل اللذين تلبسهما، وأحضرت عدّة العمل، وبدأت بإصلاح المحرك. مرت ساعتان من الإحباط، أصبحت بعدهما ملطخة بالشحم والزيت.

- مرحباً!

رفعت رأسها وقد توهج وجهها بتأثير العمل الشاق، ثم نظرت لترى المتكلم. أجابت الصبي الهزيل بابتسامة واسعة: «مرحباً!».

تكهنت على الفور بأنه سام. لا بد أن والده تركه ليلعب، بينما راح هو يعطي أوامره في هاتفه الخلوي. رقّ قلبها لرؤية الصبي؛ فقد بدا شاحب الوجه، ويفتقد تماماً إلى جوّ الثقة بالنفس الذي يحيط بأبيه. وقف الصبي على الضفة وقد اتسعت عيناه الرماديتان افتتاناً، كما بدا على ملامحه خجل عنيف. كان يتصارع مع فضول يعادله عنفاً.

سألها برهبة وهو يشير إلى دجاجاتها: «هل هذه الدجاجات لك؟».

- نعم.

وأخذت تنظر بمحبة إلى الدجاجات وهي تلتقط الحبوب التي تؤدي بها إلى السلال. قفزت كاترين إلى الضفة، وأخذت تدعو الدجاجات بصوت خاص، ثم جمعت بعضها وأقفلت عليها في السلة: «الدجاجات الكبيرة هي أيضاً، لي. إنها من فرنسا».

- ما أكبرها!

قال الصبي هذا وهو يمدّ يده بتردد إلى دجاجة كبيرة الحجم بجانبه، وقد بدت البهجة على وجهه وهو يقول: «إنها تسمح لي بملامستها! آه، ما أنعمها! وهي أيضاً دافئة!».

أمسكت كاترين بدجاجة شاردة، وأخذت تمرّ بيدها عليها بمحبة وهي تقول: «إنها أليفة للغاية. أتعلم أن بيضها وردي اللون؟».

فهتف: «أحقاً؟».

ثم ابتسم بخجل.

- أتحب أن تساعدني في وضع الدجاج في السلال؟

عملا معاً عدة دقائق حتى آخر دجاجة، ثم ثبتت السلال بالمشبك وحملتها إلى المركب بمساعدة سام الذي كان يحمل السلة بجهد لثقل وزنها، ثم يناولها إياها فتضعها على سطح القمرة بشكل آمن.

وأخذت تعد: «ستة... سبعة، ثمانية، كل الدجاجات أصبحن هنا أيضاً. شكراً جزيلاً. والآن يمكنني أن أعود إلى محركي».

قالت هذا ببشاشة، فمدّ سام عنقه سائلاً: «ماذا تفعلين به؟».

فأجابت بأسف: «أحاول أن أجعله يتحرك».

ثم قالت باندفاع مفاجىء: «أتريد أن تساعدني؟».

- آه... إيمكنني هذا؟

سألها بلهفة وقد توترت عضلاته، فقالت: «طبعاً، اصعد إلى المركب. أمسك بيدي».

فقال بابتسامة سعيدة: «هذا حسن».

صعد الصبي إلى سطح المركب، وأخذ ينظر إلى فجوة المحرك بافتتان، ثم سألها: «ماذا أستطيع أن أعمل؟».

أخذت تتأمل، مترددة، قميصه الأزرق وبنطلونه القصير الكاكي اللون. كانا مكويين بشكل بالغ الإتقان، بحيث ظهرت الثنيات كحد السيف. وتساءلت إن كان يجرؤ على الجلوس خشية أن يسبب تجعدهما.

وقالت بعد برهة: «ستتسخ ثيابك، إلا إذا وجدنا شيئاً تلبسه فوقها».

تحوّلت إليها عيناه اللامعتان اللتان ذكرتاها بعيني أبيه، وهي تحضر له قميصاً وبعض الدبابيس.

بعد أن غطته من العنق إلى الركبتين بالقميص، قالت له راضية: «هذا حسن».

لم يظهر سام استياء لوجود الدبابيس على كتفيه الهزيلتين، وربما فكر أن ذلك يخلّصه، على الأقل، من التواني والبطء وانعدام النشاط، فقد أصبح بإمكانه الآن أن يندفع للقيام بما يصبو إليه.

قالت كاترين ببشاشة: «هل لك أن تناولني مفتاح الصمولة ذاك من فضلك؟».

- مفتاح «الصمولة»، خذي!

فكتمت ابتسامة عريضة وهي تمدّ يدها لتأخذه منه وتقول: «زيت».

ساد الصمت لحظة. ورأته ينظر مفكراً إلى مجموعة منتظمة من العلب في صندوق المحرّك. فنزلت وتناولت منها علبة وقالت: «هذه تكفي».

تقدم منها سام والبهجة تنضج منه: «لم اشتغل بمحرك قط من قبل».

فقالت بكذبة بيضاء: «ما كنت لأستطيع العمل من دونك. ضع إصبعك هنا وابقها ثابتة تماماً».

واختارت له مكاناً لا يسبب فيه أي أذى.

- لأبي خبرة بالمراكب.

همس بهذا في أذنها، وقد ابيض إصبعه الضاغط، وفكرت هي بقسوة أن خبرته تلك قد تتعلق بأسعار البترول العالمية.

فقالت بإعجاب لا تشعر به وإنما تظاهرت به لأجل الطفل: «أحقاً؟ والآن ارفع إصبعك قليلاً جداً».

- كان جدي يملك مركباً في نهر «التايمز».

- يا للعجب!

التفتت تنظر إلى الوجه الجاد الصغير القريب من وجهها. من كان يظن ذلك؟ كانت تتصور أن زاك ولد وعلى أذنه هاتف خليوي فضي، وإذا به ابن لرجل عادي من البشر. وقالت مازحة: «ربما كان علينا أن نطلب من أبيك أن يأتي إلينا هنا، ويخلّصنا من هذا التعب!».

فصرخ سام بحماسة: «يمكنني أن أذهب وأطلب منه هذا».

- لا... أنا واثقة من أنه مشغول.

- نعم، إنه مشغول دوماً.

قال هذا بصوت مستوحش. فأجفلت، وشتمت في سرها زاك لجهله الأمور المهمة في الحياة. ثم قالت له ببشاشة: «ليس ثمة مشكلة، سنصلح هذا أنا وأنت».

انتفخ صدر سام زهواً: «ثم نريه ما فعلنا!».

يا للصبي المسكين! إنه متلهف إلى التأثير على أبيه الذي لا يتأثر أبداً. وقالت له: «سيستغرب هذا».

وتعهدت في سرها بأن تحرص على أن تجعله كذلك. فقال بصوت خافت وابتسامة سعيدة: «عظيم».

أعادت إليه الصمولة وهي تلاحظ أنه بشكل ما، قد لطّخ وجهه بالزيت. فقالت وهي تضحك بصوت خافت: «آه... سيصيبنا الحرج والانزعاج إذا لم تأخذ حماماً هنا، قبل أن تعود إلى البيت. لقد أصبح وجهك أسود وكذلك يداك!».

فقال ضاحكاً: «وأنت أيضاً ملطخة بالزيت. إنه على جبينك وخديك!».

- سام..! ما الذي..؟

نظرا إلى بعضهما مجفلين، وبدا سام كأرنب مذعور. وببطء، التفتا لبريا

www.elromancia.com

زاك واقفاً على الضفة وقد ظهر عليه التوتر وضحكت كاترين بصوت خافت للصورة التي هما عليها، ثم أمسكت بيد سام المرتجفة، وأخذت تؤرجحها إلى الأمام وإلى الخلف لتطمئنه.

لاحظت أن زاك، على الأقل، كان يرتدي الآن ملابس ملائمة للحياة في جزيرة. بصرف النظر عن صفاته الأخرى المزعجة التي جعلت قلبها يخفق بضيق. بدا لها الآن طبيعياً تقريباً ببنطلون الجينز والقميص الرياضي الكاكي اللون ذي القبة العالية، والحذاء المناسب للأرض الموحلة. لكنها شعرت بالأسف لعبوسه هذا.

وهتف زاك باستنكار: «سام، أنت قذر جداً. ثم، ما هذا القميص الذي تغطي به جسمك؟».

جمد الصبي في مكانه. ونظر إلى القميص، ثم أخذ يتلوّى ارتباكاً بجانب كاترين الغاضبة التي قالت بلهجة لطيفة حلوة لأجل سام: «ليس ثمة مشكلة، فالزيت يزول بالغسيل، وهذا القميص مؤقت ليصون ثيابه من التلف. فقد كان سام يساعدني في إصلاح المحرك. ثم.. صباح الخير، يا زكريا».

واتسعت عيناها ببراءة وهي تركزهما على زاك، الذي ازداد عبوسه عندما خاطبته باسمه الكامل، وقال بحدة بينما كان ابنه يتنقل من قدم إلى قدم بضيق بالغ: «أما كان يفترض بك أن ترحلي من هنا؟».

شدّت كاترين على يد سام بلطف وابتسمت له، ولم يكن هذا سهلاً فقد أرادت أن تصيح في وجه زاك وتشدّه من قميصه. لكنها قالت بقدر ما أمكنها من رصانة: «في الواقع، نعم».

فقال مزمجراً: «لماذا ما زلت تتسكعين في الأنحاء؟».

نظرت كاترين إلى مئزرها الملطخ بأسف: «أظنك ماهراً في جمع اثنين مع اثنين. وأنا أتركك لتخمّن السبب بنفسك».

اقترب، حانقاً، من حافة الضفة، ثم أخذ يتأمل فجوة المحرك: «مشكلة في المحرك؟ كان عليك أن تتفقديه أمس».

- هذا ما فعلته. حاولت إصلاحه حتى حلّ الظلام ولم أعد أستطع الرؤية.

- بالطبع. ولهذا أقمت حفلة!

بدت لهجته اتهامية، وكأن الطيش دفعها إلى إهمال واجباتها لتتصرف إلى اللهو.

- بل أصدقائي هم الذين أقاموا لي حفلة وداع.

شخر زاك، ثم أخذ ينظر حوله متجهماً، وكأنه يتوقع أن يرى الزجاجات الفارغة وبقايا الطعام متناثرة في المكان.

وتمتم: «همهم... لا بد لي من القول أنني توقعت أن أجد المكان مغطى بعلب الطعام والزجاجات الفارغة».

- يا للسماء! إننا أكثر تهذيباً من أن نكون كذلك. هل كنت تتجسس عليّ؟

قالت له هذا بلطف لأن سام كان ينظر إليها بمزيج من الإعجاب والخوف. وتملكها الشك في أن يستطيع كثيرون مواجهة أبيه بجرأة.

دسّ زاك يديه في جيبيه وقد شعر بشيء من الارتباك. ثم قال: «طبعاً لا! لكن مكتبي عند نافذة غرفة النوم، وبهذا لا يفوتني أي مار على الطريق الذي ينتهي عند بابك. وبالطبع، لا يمكنني أن أتجنب سماع حركة كل شخص ذاهب إلى بيته».

ضحكت كاترين وهي تتذكر كلمات الوداع العاطفية، وتبادل أرقام الهواتف والعناوين. لم تكن تتصور أن كل هؤلاء الناس في القرية يحبونها إلى هذه الدرجة. كان وداعاً أسطورياً!

ابتسمت لابن المدينة هذا الذي تفتقر حياته، على الأرجح، لمثل هذا المعنى. وقالت بحرارة حقيقية: «آسفة لإزعاجنا لك. جميعهم وعدوني بألاّ يغنّوا في الطريق عند عودتهم».

فقال بخشونة: «إنهم لم يفعلوا ذلك.. سمعت فقط... التمتمات.. الضحك، وكنت أنا ما أزال أعمل».

أفي الثانية صباحاً؟ وتملكتها الحيرة، فقالت: «الحمد لله أنهم لم يوقظوك، وتأكد من أن هذا لن يحدث مرة أخرى».

وبان الحزن في كلماتها الأخيرة. فقال: «هذا صحيح. لن يحدث».

www.elromancia.com

وحوّل انتباهه إلى ابنه الذي كان متشبثاً بيد كاترين.

- أنت لم تتناول فطورك، يا سام، كما أنني أخبرتك أن النهر خطير.

- آسف يا أبي. كنت تتكلم على الهاتف، فخرجت لأستكشف المكان.

شعر زاك بأن عليه، على الأقل، أن يأتي بعذر، فقال: «كنت أتحدث في موضوع هام».

وفكرت في هذا الصبي المسكين الذي يتجاهله أبوه لأجل مخابرة هاتفية تعيسة، لا عجب في أن الصبي يبدو عديم الثقة بنفسه.

- نعم يا أبي.

- كان عليك أن تقوم بالاكتشاف برفقتي. والآن، الآنسة لي مشغولة، تعال من ذلك المركب.

أحاطت كتفيه الهزيلتين بذراعها: «ألا يمكنه أن...».

فقال آمراً: «لا. اتركي ابني».

شعرت كاترين بانكماش الصبي، فتلهفت إلى أن تحتضنه، لكنه سرعان ما أمسك بيد أبيه ثم قفز إلى الضفة. بينما قالت هي: «إنه أمر مؤسف. لقد استمتعت بوجوده معي. إنك تتصرف وكأنني مرض معدٍ».

بدا الصبي المسكين تعيساً وهو يهرول نحو أبيه طائعاً.

- ربما أخلاقك هي كذلك.

فهتفت ساخطة: «هكذا إذن؟ لقد نسيت، انتظر دقيقة واحدة. أريد أن أريك شيئاً».

ودخلت القمرة بسرعة، وانتزعت شهاداتها المؤطرة من علاقتها. كانت متلهفة إلى قضاء مزيد من الوقت مع سام ذي الطبيعة الحلوة، لكنها أدركت أن زاك لن يقبل ذلك ما دام يظنها امرأة فاسدة الأخلاق.

وقالت بصوت من جُرحت كبرياؤه، بعد أن أطلعت زاك على شهاداتها الغالية: «انظر، أظن أن هذه ستريحك من القلق على أخلاق ابنك».

ما إن نظر زاك إلى إحدى تلك الشهادات، حتى ازدادت ملامحه برودة. وقال: «امرأة تحترف التدليك؟».

فقالت بتوتر: «ليس الأمر كما تظن، أنا متخرجة من كلية محترمة. وكما تعلم، التدليك يقوم بالأعاجيب للعضلات المصابة، والمتوترة بتأثير الضغط النفسي».

- أوافقك الرأي في ذلك.

احمر وجهها إزاء نظرته الساخرة. ثم تابع زاك تفحص بقية شهاداتها المؤطرة وما لبث أن قال بدهشة: أنت إخصائية في العلاج التجانسي؟ أنت؟».

فقالت ساخرة: «طول القامة ليس مطلوباً في هذا النوع من العلاج».

- هذا واضح.

وبدت عليه تسلية خفيفة.

- ما هو العلاج التجانسي يا بابا؟

بدا سام مقطب الحاجبين ما جعله نسخة ثانية من أبيه. وإذ رأت كاترين نظرة الأب غير الواثقة، أمسكت بيدي سام، وقالت تعلّمه لفظ الكلمة بصورة صحيحة: «تجا. نسي. وهذا يعني أنني تعلمت في كلية في لندن، كي أساعد الناس عندما يكونون مرضى».

سألها سام وقد اتسعت عيناه: «كالطبيب؟».

- تقريباً. لكن عملي هو أن أدفع الجسم ليشفي نفسه. العلاج الذي أصفه مصنوع فقط من المواد الطبيعية كالنبات والمعادن وهكذا... فإذا لدغتك أفعى، مثلاً، فأنا أعطيك دواءً مصنوعاً من سم الأفعى. وهو مقدار ضئيل مخفف بالماء.

اتسعت عينا سام مرة أخرى، وسألها بصوت خافت: «هل تعطين الناس أدوية أخرى عجيبة؟».

أخذت تفكر في شيء بسيط يفهمه: «حسناً، قد لا تتمكن من النوم ليلة بعد ليلة لأن عقلك مشغول بالتفكير...».

فقاطعها: «كما يحدث قبل عيد ميلادي أو عيد الميلاد».

- هذا صحيح، عند ذلك أعطيك دواءً مصنوعاً من حبوب البن.

فاعترض زاك ساخراً: «لكن القهوة تبقيك مستيقظة».

www.elromancia.com

- بالضبط، هذا هو عمل العلاج التجانسي. كل ما يؤذيك يشفيك إذا تناولته بمقادير ضئيلة. خذ شجر السينكونا مثلاً، قشره يسبب حميات عنيفة، لكن الدواء التقليدي للملاريا يؤخذ منه. . .».

فقاطعها زاك بازدراء: «لا، إنهم يستعملون الكينا».

- شجرة السينكونا هي الكينا.

فقال مستهجناً كلامها: «أبقراط يتململ في قبره».

- أبقراط هو القائل إن ما يسبب المرض هو الذي يشفيه.

فشخر ساخراً: «أنا سألتزم بالأدوية التقليدية، وشكراً».

فقالت كاترين بجفاء: «لم أكن أحاول إقناعك، بل أردت فقط أن أطمئنك إلى أخلاقي».

لوى شفتيه ونظر إليها مفكراً قبل أن يقول: «أولئك الرجال الذين رأيتهم كانوا مرضاك، كما أظن؟».

- نعم.

- رجال فقط؟

فتنهدت وهي تفكر أن من الصعب إقناعه ببراءتها. وأجابت: «لا! فأنا أيضاً أعالج أولاداً، ونساءً، وعجائز، وأطفالاً رضعاً. إذا دخلت القمرة، يمكنني أن أريك جدولاً بأسماء مرضاي وأساليب معالجتهم. هم وكثيرون غيرهم سيفتقدونني إذا رحلت، لأنهم ما زالوا في منتصف علاجهم».

زال عبوسه فأخذ قلبها يخفق بعنف. بينما قال وهو يجذب نفساً عميقاً: «إني أعتذر، مهما كان رأيي في نوع أدويتك الجنونية، فأنا أعترف بأنني أسأت الظن بسمعتك. ليس من عادتي القفز إلى النتائج بهذا الشكل، لكنني. . . بعد أن رأيتك مع ذلك الرجل. . . و. . .».

- لا بأس، لا بد أن ذلك المشهد بدا سيئاً.

قالت هذا، وهي غير قادرة على احتمال تأثير نظراته الرقيقة التي تحبس الأنفاس، أكثر من ذلك.

- هذا صحيح، لكنك لم تفعلي شيئاً لتبديد ظنوني.

قال هذا مكشراً، فقالت: «كما أذكر، لم تكن أنت في مزاج يسمح لك بالاصغاء».

- هممم . . . . ربما أنت على حق، هل سامحتني؟

ومد يده إليها يصافحها.

لم يكن هذا اعتذاراً كاملاً للغاية، ولكن، هذا كل ما قدمه لها. وبشكل ما، شعرت بأن هذا تنازل كبير من زاك وأنه نادراً ما يعترف بأنه مخطىء.

نظرت إلى يده الممدودة وقالت: «سامحتك».

ثم أخذتها باسمة. سرعان ما تدفق في كيانها حس دافىء بالحماية، ما جعلها، في لحظة جنونية، تتمنى لو بقيت ممسكة بها إلى الأبد.

ولكن قبضته ارتخت فجأة، وسحب يده من يدها بسرعة مهينة، نوعاً ما.

قال لها سام يذكرها بقلق، وكأنه يعيدها بذلك إلى الأرض: «أنت وعدتني بالاستحمام في المركب».

فابتدأ زاك يقول بجفاء: «لدينا حمامنا . . .».

قالت كاترين برقة وقد تملكها الحزن لمنظر الصبي وهو يقف مستوحشاً على بعد سنتيمترات قليلة من أبيه: «أنا وعدته، ولا أظنك تريد أن توسّخ أصابعه كل أنحاء البيت، أليس كذلك؟».

اكتسحها دافع يدفعها للقيام بشيء ما تجاه هذا الاختلال غير الطبيعي في علاقة الأب بابنه، فقالت لسام ضاحكة: «اسمع، أنا أكاد أموت جوعاً كما أنك لم تتناول فطورك. ما رأيك لو نغتسل ثم نطبخ معاً شيئاً مغذياً؟».

فصرخ: «أنا؟ أطبخ؟».

- ولم لا؟ لدي بيض طازج ما زال دافئاً من الدجاجات. . .

فقالَ بصوت خافت: «بيض وردي؟».

فابتدأ زاك يقول: «لايمكنك أن تحصل على بيض وردي. . .».

قاطعته كاترين ضاحكة: «آه، بل يمكنك، انتظر حتى ترى. . . كما سنأكل خبزاً من صنع البيت وسجقاً نباتياً وفطراً وبندورة، ما رأيكما؟».

فقال سام بصوت خافت، ونشوة مفاجئة: «آه! أحب أن أطبخ وآكل في

مركب! أيمكنني هذا يا أبي؟ أرجوك، أرجوك».

سأله ذلك متهيباً، فتنحنح زاك وقد تحركت عواطفه بشكل غريب. لم يرَ ابنه قط متحمساً بهذا الشكل من قبل. تذكر فرحه هو، الذي لم يستطع ضبطه حين وقف مزهواً لأول مرة في مركب أبيه وهو في السادسة من عمره. يومها علا صوته ابتهاجاً وهو يبحر في نهر التايمز.

لقد أكلا، حينذاك، شطائر الجبن واللحم بلذة لم يعرفاها في أي طعام من قبل، وأخذ الناس يلوّحون لهما، فيما راح أباه يدله على الأماكن الهامة. لقد بقي قريباً من أبيه طوال النهار، وما زال حتى الآن يتذكر خيبة الأمل التي تملكته عندما حان وقت العودة إلى البيت.

أبعد تلك الذكرى بقسوة، فهي تجعله عاطفياً، ولكن معدته أصبحت، فجأة، متلهفة إلى فطور مطبوخ. وطريقة وصف كاترين للفطور أسالت لعابه.

نظر الطفل إليه بثقة، قد تحوّل التعبير المعتاد من عدم الثقة إلى ابتسامة واسعة، وهو يرى الاستسلام في ملامح أبيه. وهمس يستحثه: «بابا؟».

خفق قلب زاك. كم يحب ابنه! وفكر أن كاترين ومركبها يزودانه بوسائل تكسر الحواجز التي جمّدت العلاقة بينه وبين سام. لا بأس، ليس في ذلك ضرر، فهي سترحل بعد ساعات.

ما لبث أن قال بشكل حاسم: «لِمَ لا يا كاترين؟ شكراً لدعوتك. لقد قبلناها».

فهتف الصبي وهو يحيط ركبتي أبيه بذراعيه: «شكراً، يا بابا».

شعر زاك بأنه يذوب من رأسه حتى أخمص قدميه، وهو يفكر في هذا التلامس بينهما بعد سنوات من التجنب...

وقال بسرعة: «شكراً يا كاترين».

فصرخ سام وهو يقفز من أعلى إلى أسفل: «نعم. شكراً مليون... مليار مرة!».

فضحكت: «أنت لم تذق طبخي بعد. والآن ما رأيك أن تخلع هذا القميص هنا، ثم تذهب للاستحمام؟ بعد الإفطار، لا تصمما على عمل آخر لأنني

سأريكما أنحاء المركب. إن كان ذلك يناسبكما، طبعاً. وبعد ذلك، عليّ حقاً أن أعود إلى إصلاح المحرك».

شعر زاك ببهجة غريبة عندما أصبحا على المركب، وقادتهما كاترين إلى القمرة التي دعتها بقمرة «سيد المركب». بدت القمرة صغيرة أنيقة، وتباطأ سام برهبة، وهو يلقي فيضاً من الأسئلة. ولم يستطع زاك أن يجد صلة بين هذا الصبي المنفتح وابنه المتحفظ المكتوم، الذي كان هو يجاهد لكي يتقرب إليه.

لكن سام بدا مختلفاً منذ اللحظة التي أنزلته فيها أمه من السيارة، وتركته وحده بجانب النهر. على الرغم من أنه لم يظهر قط اهتماماً قبل اليوم بالمراكب أو الريف، لكن الجزيرة والجسر استوليا الآن على اهتمامه تماماً.

أخذ زاك وكاترين يراقبانه وهو يركض على ظهر المركب ذهاباً وإياباً، والبهجة تغمر وجهه.

شعر زاك بأن السعادة تفيض من ابنه، حتى عندما أصرت كاترين على أن يغتسل أولاً، ثم يقوموا بالجولة الكبرى بعد الإفطار مباشرة.

راح يتأملها وهي تتكلم مع سام بسهولة، وكأنهما صديقان منذ سنوات. واعترف مكرهاً أن لها ذلك التأثير عليه هو أيضاً. فهذا الصباح، عندما وجد أن المركب ما زال هنا، شعر، بشكل غير منطقي، بسيل من البهجة يتملكه ويكاد يفقده اتزانه. وهذا هو السبب في غضبه ذاك، فهو لم يتعود على الأمور غير المنطقية. لكن شيئاً يشابه الحنان مس قلبه، عندما التفتت إليه تواجهه كطفل مذنب ملطخ الوجه بالزيت وهو يعتذر. ومع الوقت تملكه شعور بالغيرة.

بدا واضحاً أن سام يستمتع بوقته، وآلمه تعلق ابنه بها بهذه السرعة. أخذ يفكر متأملاً الجسمين الصغيرين يجتازان الممر إلى الحمام الصغير.

نادى ابنه بخشونة: «قف يا سام. سأخلع لك قميصك بنفسي، لأن أصابعك ملطخة بالزيت».

وجلس القرفصاء، بينما وقف ابنه طائعاً، وراح ينظر إلى كاترين بابتهاج وهي تحضر المناشف وتجهز الحمام.

مضى وقت طويل منذ كان زاك يساعد سام في خلع ملابسه. فقد كان ابنه

يتهرّب من أي اتصال جسدي من أي نوع، موضحاً أن أية لفتة عطف أو مودة من ناحية زاك نحوه مرفوضة تماماً.

كانت زوجته السابقة قد قالت له بتعاطف: «امنحه وقتاً. فهو يتألم من انفصالنا، وربما يريد أن يعاقبك».

يعاقبه؟ وأجفل فجأة. لقد عاش فترة من العذاب دامت ثلاث سنوات. كان زاك قد منح ابنه وقتاً طويلاً، إلاّ أن تلك القبلات التي كانا يتبادلانها، كانت تمزق قلبه.

- هيا، يمكنك الذهاب.

- شكراً بابا.

قال الصبي هذا وقد ظهرت على وجهه ابتسامة واسعة سعيدة، جعلت عينا زاك تدمعان، وفاض قلبه بالحب وهو يتأمل تلك العظام الهشة النحيلة، ويرى البراءة في هاتين العينين الرماديتين اللطيفتين. بينما وقف سام ينتظر بصبر بملابسه الداخلية، متابعة المغامرة التي يعيشها.

شعر زاك بالامتنان البالغ لكاترين لأنها منحته الفرصة للتقرب من ابنه... ابنه الذي يحبه أكثر من أي شيء آخر في هذه الدنيا.

- كل شيء جاهز، يا سام. والآن هل لك أن تعرف القانون الخاص بهذا المركب؟

قالت كاترين هذا لسام بعد أن علمته كيف يستعمل مرشة الحمام. ووقف زاك معجباً بأسلوبها في الحديث مع الصبي. بدا سام كالعجينة بين يديها، مظهراً استعداده للقيام بكل ما يرضيها. وأجابها بزهو: «نعم، أرجوك».

- حسناً، أنا واثقة طبعاً من أنك تعلم أن الماء ثمين جداً. ولكن في المركب، كل قطرة لها حسابها إذ لا توجد أنابيب في بيوتنا كما هو الحال في بيتكم.

- وكيف تحصلون عليه إذن إذا كان لا يأتي من الصنابير؟

سألها سام مقطباً جبينه، فلاحظ زكريا مقدار شبه ابنه به في العبوس الذي بدا على وجهه الصغير الحائر.

- نحن هنا محظوظون، هناك صنبور مع خرطوم على الضفة، كان المالك

القديم قد وضعه. وبهذا يمكنني أن أملأ خزاني به.

فسألها زاك باهتمام: «أين هو الخزان؟».

- تحت سطح مقدمة المركب، بجانب فتحة الغاز.

- غاز؟ وهل ذلك آمن؟

وتساءل في سرّه عما جعله يرتعش بهذا الشكل إزاء نظرتها إليه. اشتبكت نظراتهما فشعر بسخونة تسري في جسده.

- إنه غاز لا يتجمد.

فتمتم: «هذا غريب».

ودهش وهو يرى وجهها يتورّد ثم تعود باهتمامها إلى سام، وأسرعت تقول: «في مراسٍ عامة، علينا أن نبحر بمراكبنا إلى حيث توجد مياه عامة. وهم يعطوننا مفاتيح لتلك الغاية. وهكذا تعوّدنا أن نستخدم من الماء ما يكفينا لنظافتنا، لا أكثر. فنحن لا نترك المياه تذهب هدراً. قف فقط تحت مرشة الماء، واغسل جسدك بسرعة ثم اخرج. اتفقنا؟».

فتحت كاترين علبة ناولتها لسام قائلة: «ضع شيئاً من هذا المعجون على البقع الصعبة الزوال. ثم اغسل بالصابون كالعادة».

وبابتسامة حارة أغلقت الستار الذي يحجب مكان الاستحمام عن بقية الحمام الصغير، ثم بدأت تفك مئزرها، بينما وقف زاك قرب الباب ينتظر أن يساعد في تنشيف جسد سام. بعد قليل، عندما خرجت كما تخرج الفراشة من الشرنقة مرتدية البنطلون القصير الأزرق والقميص القطني المقفل الذي كان البلل قد ألصقه بجسدها، تسارعت أنفاسه، واشتد خفقان قلبه.

شعر كأن تياراً كهربائياً يهزه، وفاجأه ذلك. لِمَ هذا الشعور نحوها هي بالذات؟ أخذ يقوّي نفسه ليخمد النار التي اشتعلتَ في جسده.

إنها ليست الطراز الذي يعجبه بين النساء، فهي صغيرة الجسم للغاية، وأكثر سمرة مما يجب. وهي تحتقر الأزياء وتكرس حياتها لأدوية خيالية.

ومع ذلك، راحت تتنقل أمام ناظريه وكأنها تحت تأثير مخدّر، رافعة ذراعيها الرشيقتين لتعلق مئزرها على مسمار، بحركة رشيقة كأنها راقصة باليه.

- زاك!

هتفت بذلك بصوت خافت، وهي تحدق فيه بوجه متورد وقد زمّت شفتيها.

نظر إلى عينيها المجفلتين، وشخر بغباء: «أوه؟».

- هل لك أن تذهب إلى المطبخ؟

بدا وكأن ذهنه أصيب بالشلل وكذلك صوته، إلا أنه أرغم نفسه، بعد لحظة، على القول: «ماذا؟».

- هنالك...

وابتلعت ريقها، وأدرك هو أنه يحدّق إليها بقوة تفوق الحد، فغضّ من بصره، بينما عادت تتابع بسرعة: «هناك غطاء مائدة وفناجين وأطباق وأدوات مائدة وملح وبهار عليك أن تجدها».

فقال شاعراً هو أيضاً بجفاف في حلقه: «كنت أنتظر لأساعد سام في تجفيف جسمه».

- يمكنك العودة بعد قليل، فأنا أريد أن أغتسل.

قالت هذا وهي تدير له ظهرها ضاحكة بارتباك: «ألا ترى لطخ الزيت على وجهي؟».

لحسن الحظ، لم تكن لديها فكرة كم هو متلهف إلى فرك اللطخة السوداء تلك عن أنفها الصغير. ودون سبب على الإطلاق، وجد نفسه يضحك بصوت خافت.

فاجأته بالالتفات إليه فارتبك، ورفع يده قبل أن يتمكن من منع نفسه. أما هي فقد تسمّرت وأخذت تراقبه وهو يمر بإصبعه على بقعة الزيت هذه صعوداً إلى جبهتها الصقيلة، ومن ثم نزولاً إلى وجنتيها العاليتين، فذقنها الرقيقة...

وتمتم متلهفاً إلى معانقتها: «لا تتأخري».

وفي أعماقه هتف به صوت مجنون يسأله عما منعه من ذلك. حتى إن ابنه يغني في الحمام بصوت مرتفع ملؤه النشوة. لكنه عاد فتراجع عن هذه الأفكار وقد أفزعه سلوكه.

ابتلعت كاترين ريقها وهي تسأله: «لماذا؟».

فقطب جبينه قائلاً: «لأنني أريد أن أتأكد من أن سام سينشف ما بين أصابع قدميه».

وقبل أن يقدم على تصرف طائش، خرج من الباب وأغلقه خلفه.

ظل واقفاً أمام الباب لثوان، حاول فيها أن يستعيد صفاء ذهنه. صحيح أنها رائعة وغير عادية ولم يصادف مثلها من قبل، ولكن هذا لا يعني أن بإمكانه أن يغازلها في جود ابنه معهما.

سار في أنحاء المركب، ولاحظ أن المكان، على عكسه تماماً، في وضع مستقر ولا شيء فيه خارج عن النظام. هناك خزائن ونحاس لامع في كل مكان، حيث يسود جو عام من الراحة والدفء. دعته كراسي بذراعين إلى الجلوس، وأحاطت به وسائل الراحة تهدىء من أعصابه وضيقه.

إحساسه بالارتياح في هذه البيئة الغريبة سبب له بعض الحيرة. وفي المطبخ حضر كل ما طلبته منه كاترين. وكان على وشك العودة عندما ظهرت مع سام، وقد بدا وجهاهما متوهجين وعليهما ابتسامتين عريضتين.

- نشّف سام ما بين أصابع قدميه جيداً.

قالت كاترين هذا وهي تحتضن سام بمودة، فبادلها هذا الأخير احتضانها بحماسة.

شعر زاك بعجز غير عادي. فهذه الغريبة قد حققت ابنه، دون جهد، بالفرح والرضا، وهذا شيء فشلت في القيام به أمواله وهداياه الثمينة كلها. وفكر، باكتئاب، في أن سام ابنه هو لكنه لا يعرف كيف يحظى بحبه.

٧- صخرة جهنم

جلس زاك جانباً بصمت، على غير عادته، وأخذ ينظر إلى كاترين وسام وهما يروحان ويجيئان لكي يحضرا الإفطار. وكانت محاولته المحزنة لفرم الفطر قد انتهت بتناثر معظمه على الأرض.

تظاهرت كاترين بأن ما حصل ناتج عن عدم وجود مكان كافٍ لهم جميعاً، للعمل في وقت واحد في المطبخ، ثم اقترحت عليه بلطف: «لِمَ لا ترتاح؟ يمكنك أن تقوم بغسل الأواني في ما بعد».

فابتسم زاك شاكراً: «أنا ماهر في هذا العمل».

في الواقع، كادت تضحك من فشل جهوده، كما تفعل معظم النساء حين يدخل الرجال إلى منطقة لا يمكنهم مواجهتها.

وهكذا جلس متكئاً على الوسائد، وراح يتأملها وقد خلب لبّه طول قامتها ورشاقة عنقها، والطريقة التي كوّمت بها خصلات شعرها على قمة رأسها.

راحت تعمل برشاقة ومهارة، مختصرة تحركاتها بسبب صغر حجم المطبخ. وكان صوتها المنخفض الرقيق يهدىء أعصابه، ويخفف من توتر عضلاته ويمنحه شعوراً بسكينة النفس. إلا أن زاك فكر أن شعوره هذا زائف، فما من امرأة تمنح سكينة النفس للرجل في حياته، بشكل حقيقي.

ومن الغرابة أن ابنه، الذي يبدو متوتراً في العادة، والذي لا يتبع التنسيق أو التنظيم في تحركاته، أصبح الآن أكثر انضباطاً وهدوءاً تحت قيادتها. كانت تديره بسهولة وبراعة لم يجدهما في أي شخص سواها.

كل النساء اللواتي قدمهن لسام، بما في ذلك جين بكفاءتها المثيرة للأعصاب، لم يستطعن التغلب على تحفظه البارد كالثلج.

أثناء تناول الطعام راح هذان الاثنان يضحكان بصوت خافت كمتآمرين. ما الذي يحصل بالضبط؟

مال زاك إلى الأمام، وراح ينظر إليهما، ويحاول أن يحلل ما يجري. لا يمكن أن يكون ذلك أصعب من قراءة الميزانية... كانت كاترين تقول باسمة: «لا، ليس هناك أية مشكلة. لا يمكنني أن أحتفظ بأشياء كثيرة لأن المكان هنا ليس كافياً. لكنني أيضاً أحب أن تكون حياتي بسيطة، فأنا لم أتلهف قط إلى أن يكون لدي مئة زوج أحذية مثلاً، فأنا لا أستطيع أن أنتعل سوى زوج واحد كل مرة. هذه هي حياتي التي اخترتها لنفسي، يا سام. فأنا اشتغل لأعيش ولا أعيش لأشتغل».

توتر فم زاك. وفكر أن هذا الكلام فوق مستوى إدراك ابنه، وهو لن يفهم ما تقوله.

سألها سام، مثبتاً ظن أبيه: «ماذا تعنين؟».

- امسك أنت الصحون وأنا أضع الطعام فيها.

مضت لحظة ظن فيها، ساخراً، أنها غيرت الموضوع لعجزها عن الإجابة، ولكن بعد أن أصبحت الصحون على المائدة تثير شهيته برائحتها، عادت تتكلم بملامح جادة: «أنا اشتغل عدداً من الساعات تكفي فقط لتوفير ما أحتاجه. فأنا أريد أوقات فراغ لأستمتع بأصدقائي وبما حولي. هذا هو المهم في النهاية: الأصدقاء والأسرة».

وابتسمت، فسألها سام: «هل لديك أولاد؟».

- لا، فأنا لست متزوجة، كما أن ليس لدي والدان أيضاً، إنهما متوفيان وقد نشأت في ملجأ للأولاد.

فهتف سام: «آه، هذا فظيع!».

فأجابت ضاحكة: «لا، لم يكن الأمر كذلك. لقد حصلت على الكثير من الوقت الممتع، وكان لدي أصدقاء أكثر مما كنت أتمنى. وأصدقائي هم أسرتي. وهكذا خصصت وقتاً لهم وللعالم الذي أعيش فيه. إذا لم أستطع أن أجلس في الخارج وأتفرج على طيور الرفراف التي تأكل الأسماك، أشعر بأن شيئاً رائعاً قد

www.elromancia.com

فاتني».

- بابا يشتغل طوال الوقت.

قال سام هذا وكأنه يجد صعوبة في تقبّل هذا الأمر الغريب.

تقابلت نظراتها الرقيقة بنظرات زاك، وقالت بلطف: «إنه يبحث عن السعادة بطريقته الخاصة».

السعادة؟ وما صلة ذلك بالعمل؟ أكل زاك قطعة من السجق غاضباً، وابتلعها بسرعته المعتادة. حتى مواعيده الغرامية كانت تتم بسرعة الصوت. . .

توقف عن التفكير، ثم رفع لقمة أخرى إلى فمه وأخذ يمضغها ببطء، فشعر بمذاقها المميز في فمه. إنه مذاق أعشاب يصعب تحديدها، بصل، كراث. . بالإضافة إلى ألذّ لحم تذوقه من يد خبير في الطعام.

قطع بيضة مقلية غافلاً عن الثرثرة التي تدور عبر المائدة، وكانت البيضة عملاقة لم ير بحجمها في حياته.

اتكأ إلى الخلف، بعد أن نظف صحنه ومسحه بقطعة ضخمة من خبز البيت، متوقعاً أن يهاجم معدته الضيق وحرقة المعدة، كما يحصل له دوماً بعد وجبات الطعام. وعندما لم يشعر بذلك، أدرك أنه كان يشعر باسترخاء بالغ، وأنه، لدهشته البالغة، كان مبتسماً تقريباً وهو ينظر إلى ابنه يطلب، بحماسة، بيضة ثانية.

قالت كاترين مزهوة وهي تعيد إلى ابنه صحن الطعام: «أنت محظوظ، فهذه البيضة بصفارين».

أخذ سام يأكل بنهم، وانتبه زاك إلى أنه، وكاترين، ينظران إلى سام بتسلية وزهو. وتلاقت أعينهما فابتسما لبعضهما البعض بسرور مشترك. وقفز قلبه منتبهاً مرة أخرى.

- وجبة جيدة.

قال لها ذلك بنبرة محايدة، وكأنها رئيسة النُدل في مطعم.

وقال سام راضياً وهو يضع الشوكة والسكين في الطبق: «هذا أفضل طعام

تذوقته».

شعثت كاترين شعر سام مداعبة، وشعر زاك بالغيظ لأن ابنه لم يتزعج لهذا الأمر بل ضحك لها بمحبة بالغة.

- شكراً.

كان معظم شكرها هذا موجهاً إلى سام. وسألها زاك: «أخبريني من أي متجر تحضرين هذا السجق، لأنني أريده أن يرسل لي منه بانتظام».

ابتسمت كاترين وقالت: «إنه سجق نباتي من مخزن القرية».

لمعت عيناها مرحاً وهي ترى الذهول على وجهه. مضت تجمع الأطباق وهي تقول: اسمع، النهار جميل جداً، لِمَ لا نجلس في الخارج وننهي قهوتنا هناك؟».

وأشارت إلى الباب المؤدي إلى سطح المركب، الذي كان يتألق بأشعة الشمس وهي تتابع: «إذا لذنا بالصمت والهدوء التام، فقد نرى طائر الرفراف الملوّن».

فهتف سام بلهفة: «أيمكننا ذلك يا بابا؟».

مدّ زاك يده بحنان ليمرّ بأصابعه على جبين ابنه المقطب، وقد تملكه سرور لا يوصف وهو يرى الخطوط تتلاشى، كأنها اختفت بسحر ساحر، ثم قال: «طبعاً يمكننا ذلك».

قال هذا وهو يلامسه ويطمئنه وقد غمرته مشاعر الحب له. ما همه إن أمضيا هنا عدة دقائق أخرى ما دام ابنه سعيداً؟ وتابع يقول وهو يقف: «سأغسل الأطباق في ما بعد».

ووقف جانباً بتهذيب بالغ، مفسحاً المجال كي تمر قبله. وحين رآها تتردد حثها قائلاً: «كاترين».

هزت رأسها قليلاً، فقد كانت بحاجة إلى أن تتمالك نفسها، ذلك أن علاقة زاك بابنه قد أثارت مشاعرها. قالت مراوغة: «لحظة واحدة فقط لأختبر مقدار حرارة الماء».

صعد زاك الدرجات، ثم أحنى رأسه تحت باب القمرة المنخفض. بدا أقل

توتراً من قبل، وراح جسده يتحرك بقوة وليونة.

حاولت كاترين أن تهدىء من ثورة حواسها الصاخبة. تحضير الفطور كان مهمة سهلة، ومع ذلك شعرت بأن تناولهم الفطور معاً هو من المحطات البارزة في حياتها.

تشجيعها لسام، وتقبّل أبيه لذلك، جعلها تحلّق في السماء السابعة. خصوصاً أنهم استمتعوا جميعاً بالفطور للغاية.

أصبحت مشاعرها مشوّشة، وأحست أنها بحاجة إلى تحليل ما حصل. لماذا كانت حريصة على أن تعرّف زاك وابنه على طريقتها في الحياة؟ ولماذا وجدت هذا الأمر هاماً للغاية؟ لم يحدث قط أن أعلنت هذه الحقائق عن تعليمها وشهاداتها لرجل غريب. لكنها كانت تريد أن تظفر باحترام زاك.

والأغرب من ذلك، يمكنها أن تفهم شعورها الأمومي نحو الصبي الصغير، لكنها لم تستطع فهم اندفاعها اللاعقلاني إلى تخفيف ضغط زاك النفسي.

ربما هي غريزة الشفاء لديها. فالناس يأتون إليها مرضى تعساء، وهي تشعر بالبهجة حين تراهم يتعافون مرة أخرى.

لكن مهما كانت حاجة زاك وابنه إلى الشفاء، إلا أنهما ليسا مريضيها، وهما لم يطلبا منها المساعدة. كما أنها اختارت لحياتها نهجاً يقضي بعدم التدخل في حياة الآخرين، والطريقة التي اختارها زاك لحياته ليست من شأنها.

لاحت على ثغرها ابتسامة وهي تفكر به. ماذا لو هزّته وأخبرته بأنه يدمّر حياته، وعلاقته بابنه، وذلك بتركيزه على عمله أكثر مما ينبغي؟ لكن عليها حقاً أن تبقي أنفها بعيداً عن شؤون الآخرين.

وبدلاً من ذلك غضّنت أنفها، وتساءلت لماذا تبذل جهدها لكي تبرهن له أنه يفقد جوهر الحياة بالطريقة التي ينتهجها في حياته.

وجاءها الجواب الجريء... لأنه نجح في التأثير عليها، وهي تريد أن يكون لها عليه التأثير نفسه!

حدثت نفسها بأنها حمقاء، ثم ضحكت بأسف وخرجت إلى حيث أشعة

الشمس، لتجلس مع زاك وابنه على المقعد الخشبي المستطيل. رفع زاك بصره نحوها ليسمّرها بنظراته المغناطيسية، فوجدت نفسها تبتسم بغباء.

تمتم يقول: «الجوّ هادىء جداً في الخارج هنا».

- هذا صحيح. هنا لا تسمع سوى صوت النهر فقط وتغريد الطيور وحفيف أوراق الشجر.

وسألها بهدوء: «ومن أين يأتي طائر الرفراف إذن؟».

أمسكت بفنجان القهوة وأومأت إلى مجثم ذلك الطير المفضّل على غصن شجرة يتدلّى فوق النهر، وقالت: «الطيور تجثم هناك. إنها الآن هادئة جداً، وجامدة في مكانها».

أحاط بهم السكون، وبدا خرير مياه النهر رقيقاً خافتاً، فيما راحت دجاجاتها تصدر أصواتاً كالقرقرة من حيث هي محبوسة، أما أشعة الشمس فكانت تتسرب من خلال الأشجار غامرة بنورها المكان الذي بدا سابحاً في نهر من الذهب. بدا زاك مسحوراً وقد امحت خطوط العبوس التي كانت تعلو وجهه.

لم تستطع أن تحوّل نظراتها بعيداً. وكان هو مستغرقاً في التفكير، وقد رقّت عيناه الفولاذيتان وهو يحدق إلى غصن الشجرة.

لم تعرف رجلاً قط يتمتع بمثل هذه الجاذبية المغناطيسية، ولم تشعر قط من قبل بمثل هذا الاضطراب وعدم القدرة على التحكم في مشاعرها.

بدا لها الأمر مثيراً ومخيفاً في الوقت نفسه. شعرت بانجذاب إليه، وانتابها، في الوقت نفسه، خوف من قوة مدمرة يمكنها أن تزلزل كيانها.

الحياة مع زاك لن تكون سهلة أبداً، ذلك أن لديه أعنف المشاعر التي عرفتها في رجل، وهي لا تظن أن بإمكانها التعامل معها.

وببطء، التفت زاك إليها، فالتقت أعينهما عدة ثوانٍ قبل أن يقطب جبينه ويحوّل عينيه، فأجفلت. إنه منزعج منها، لقد رأى اهتمامها به فأفزعته جرأتها.

انتابها إحساس بالمهانة، والذنب في ذلك ذنبها. الرجال أمثال زاك لا يهتمون بالنساء أمثالها. هل صدّقت أنه قد يتحوّل، لأجلها، عن عبادة المال.

من تراها تخدع؟ إنه قضية خاسرة، على كل حال.

أما زاك، فراح قلبه يخفق بشدة إلى حد أوشك معه أن ينفجر.

راح يوبّخ نفسه لتخلّيه عن حذره. ذلك أن كاترين سترحل، ومن الجنون أن يظن أن ما بينهما هو أكثر من مجرد انجذاب جسدي. إنها لن تفهم أبداً احتياجاته وطراز حياته.

واعترف لنفسه بأسف، بأنهما لو تعارفا في ظروف أخرى، لربما عقدا موعداً غرامياً.

كان سيجلس معها إلى مائدة مضاءة بالشموع في أفضل مطعم في المنطقة، ثم يأخذها إلى مسرح في لندن، وربما إلى حفل صاخب أو في رحلة إلى باريس، ويشتري لها ملابس جديدة، وسيارة. . . وربما شقة مجاورة لشقته.

تنفّس سام المتحفظ وجمود جسمه أعادا زاك إلى أرض الواقع. لقد ظهر طائر الرفراف، وهو طائر صغير بألوان قوس القزح، راح يحدق في المياه بعينين يقظتين لامعتين. وفجأة، اندفع وميض أزرق بسرعة البرق وإذا بالطائر يختفي عن الأنظار.

شعر زاك وكأنه شاهد لتوّه حدثاً خطيراً. وبحركة لا إرادية احتضن ابنه، وسأله بصوت خافت: «هل رأيته؟».

- نعم! بابا . . . ! أنت تضحك!

تساءل الصبي وهو يندس أكثر فأكثر بين ذراعي أبيه.

فأجاب الأب بصوت أجش: «حسناً، كان ذلك شيئاً غير عادي».

فقال سام بسرور: «ذهب تقطيب جبينك».

شعر زاك بتقطيبه يعود، وإذا بإصبع صغير يرتفع ليزيل ذلك التقطيب عن جبينه، وقال سام: «لا، يا بابا. عندما تفعل هذا، تبدو مخيفاً».

اهتز كيان زاك ألماً، وقال برقة: «سأحاول ألاّ أفعل ذلك. المسألة هي أنني أفكر كثيراً، ففي نهاية النهار سيكون لديّ قدر هائل من الاتصالات في هاتفي الخليوي».

وسرعان ما وبخ نفسه. لقد أجفل سام وابتعد عنه. كيف أصبح بهذا

الغباء؟ كان الأمر مجرد تعليق، لكنه جعله يبدو وكأنه قلق بشأن العمل. منذ يومين كان سيترك الأمر يمر دون تعليق، أما الآن، فها هو يجد الشجاعة الكافية ليصحح خطأه، فقال: «ومع ذلك، من يهتم؟ إنني أفضل البقاء هنا، معك».

قال هذا بمرح وهو يمسك بيد سام.

- أحقاً يا أبي ستفعل هذا؟

وأخذت عينان دامعتان تتفحصان عينيه، فوضع زاك كل ما يحتمل في قلبه وروحه من عاطفة لابنه في نظراته وهو يقول له بصوت أجش: «طبعاً سأفعل. وسنمضي يوماً نتذكره على الدوام. ولكن، أولاً، وعدت بأن أغسل الأطباق. لماذا لا تذهب مع كاترين في جولة، ريثما أتعرف على و اجباتي الجديدة مع حوض الغسيل؟».

وابتسم، فأسرعت كاترين تقول: «فكرة جيدة. عليّ إذن أن أصلح ذلك المحرك ثم أرحل. . . وإلا فلن تراني راحلة أبداً».

ظهرت نظرة رعب في عيني سام، ولاحظ زاك الطريقة التي تشبث بها الصبي بتنورتها، رافعاً وجهه إلى وجهها بإحباط، وهو يصرخ باحتجاج: «أنت لن ترحلي، أليس كذلك؟».

مرت بيدها على وجهه الشاحب الصغير، وقالت: «يجب عليّ ذلك. . لا أستطيع. . .».

- لماذا هي لا تستطيع يا بابا؟

تردد زاك. . . لم يشأ أن يدين نفسه أمام ا بنه.

- لأن. . . حسناً، الأمر هو. . .

هبت كاترين لإنقاذه: «أنا بحاجة إلى مكان أفضل للعمل، علي أن أذهب إلى مكان آخر لكي. . .».

- لكن المكان هنا جميل، أليس كذلك؟

فارتبكت: «نعم. . . يا سام. . .».

- يمكنك أن تبقي هنا إذن، أليس كذلك يا بابا؟

فتمتم أبوه: «لا يمكننا أن نمنع كاترين إذا أرادت الرحيل».

www.elromancia.com

فقال سام متذمراً: «لكنها لا تريد الذهاب. أنظر إلى عينيها كيف تدمعان. كما أنني لا أريدها أن تذهب. أخبريه.. أخبريه أنك تريدين أن تبقي!».

وجرّها من تنورتها يستحثها.

قابل زاك نظرات ابنه العنيفة بنظرات رزينة. هنا سيصدر الحكم عليه. شعر أن علاقته بابنه باتت معلقة الآن بخيط دقيق. القضية الآن هي، إما أن يكون بطلاً في عيني سام وإما أن ينجو بنفسه. فإذا بقيت كاترين هنا، لن يستطيع أن يبقى بعيداً عنها.

هناك شيء فيها يجذبه إليها، رغم كل جهوده في مقاومة ذلك. هذا الأمر لا يخضع لأي منطق. لقد ضعف ذات مرة، فانهار عالمه، واستغرق بناؤه ثانية وقتاً طويلاً.

لا شيء، ولا أحد يمكن أن يضعفه مرة أخرى. وهو سيحرص على ذلك. إنه خبير للغاية في إبعاد النساء عن حياته...

استقرت على ركبتيه يدان صغيرتان ساختتان. بدا سام على وشك البكاء، وعلى الفور ضمه زاك إليه يطمئنه. وقال له بحنان بالغ: «لا يمكنك أن تجعل الناس يبقون بقربك فقط لأنك تريد ذلك».

مسّ هزال ابنه قلبه، وفكر أنه سيمنحه العالم بأجمعه إذا كان ذلك يجعله سعيداً، وذلك أهم من أن يهرب من دافع قوي يشعر به نحو امرأة غير مناسبة.

- على كل حال...

والتقت عيناه المتسائلتان بعيني كاترين، فيما حاول أن لا يدع نفسه يتأثر بفتنتها. وقال بصوت محايد: «إذا لم يكن لديها مانع من البقاء هنا لفترة قصيرة، فهذا حسن بالنسبة إليّ. رغم أن عليها أن تعثر على مكان آخر. مكان دائم مناسب».

ثم سكت وأخذ يجمع في ذهنه. أربع عطلات أسبوعية مع سام سوف تكفي. بعدئذٍ، سوف تتحسن علاقته بابنه.

وقال يخاطب كاترين: «هل يمكنك البقاء... لمدة شهر مثلاً..؟».

ساد صمت متوتر بينما كان هو وسام ينتظران جوابها. وشعر بخفقان قلب

ابنه المضطرب، فحاول أن يهدئه وهو يملّس شعره ويضغط بشدة على كتفه.

راحت كاترين تنظر إليهما. وفجأة، منحتهما ابتسامة متألقة، فابتلع زاك غصة شعر بها. أما هي فقالت برقة: «هذا حسن جداً. وأنا موافقة على هذا العرض، شكراً جزيلاً».

وما هي إلا برهة حتى كاد يختنق من الذراعين الصغيرتين اللتين طوقتا عنقه كالسلك.

- بابا، آه يا بابا، يمكننا أن نأتي لزيارة كاترين يومياً عندما نزور الجزيرة!

وعندما تركه ابنه فجأة، رأى كاترين تعاني ما عاناه، بعد أن أمسكت بسام ورفعته لتعانقه، بينما راح الصبي يبادلها العناق بشغف، وكأنها ملأت له جيوبه ذهباً.

- يمكننا أن نفعل هذا أليس كذلك؟ سيكون سلوكنا حسناً جداً ولن نقف في طريقك أو..

فقالت ببهجة، وعيناها تلمعان: «أنا أرحّب بزيارتك من كل قلبي».

وأضافت بحماسة: «وأنت أيضاً يا زاك، وفي أي وقت».

شعر زاك بالدوار، فهز رأسه محاولاً أن يفهم ما حدث. بدت كاترين مرحّبة للغاية، ومتلهفة للغاية. لكن من ناحية أخرى، سوف تكون هي الرابحة، إذ ليس لديها ما تخسره.

فكر أنها، بشكل ما، قامت بمناوراتها حتى أصبح مرغماً على أن يدعها ترسي مركبها اللعين في جزيرته. وقبل أن يتنبه سيجد أن نصف أهالي المنطقة قد وجدوا طريقهم إليها، كما أن ضفاف النهر ستزدحم بمختلف أنواع المراكب التي تشبه مركبها.

قال ببرودة: «أنا أقوم بذلك من أجل ابني».

وبهذا لن يساورها الشك.

- وهو مبتهج للغاية، لقد جعلته سعيداً تماماً.

شخر ساخراً من كلامها هذا بينما كان سام في عالمه الخاص، يخبط المياه بأصابعه وهو يميل إلى جانبه. وعاد زاك يقول: «أما أنت، فقد حصلت على ما

تريدين».

فأجفلت قائلة: «أهكذا ترى الموضوع؟».

ونظرت إليه بعينين ملؤهما البراءة، فأجاب: «بل إنه كذلك».

رفعت وجهها وقد بدا عليه الجمود، وقالت: «سأجول بسام في الأنحاء».

تمتمت بذلك، فشعر بخيبة الأمل تقريباً لأنها لم تصرّ على براءتها. ألا يجدر بها، على الأقل، أن تظهر له بعض الامتنان؟ بدلاً من ذلك، نهضت وهي تقول: «سائل غسل الأطباق تحت حوض الغسيل».

ثم أمسكت بيد سام تقوده إلى القمرة.

إنها، على الأقل، أدركت أين تقف، كما فكر وهو يتبعهما بعد فترة. فهي تعلم الآن أنه ليس غافلاً عن طرقها المتملقة.

من ناحيته، لن يكون هناك مزيد من النظرات الطويلة إليها. فهي مجرد وسيلة استعملها من أجل الوصول إلى هدفه النهائي، وهو سعادة ابنه عاطفياً.

أما كاترين، ولأنها ما زالت منزعجة من قوله لها بأنها استغلت سام لتصل إلى هدفها، فقد قررت أن تزعجه بقضاء وقت طويل في التجوال مع الصبي.

جرّب الصبي باب كل خزانة، وجلس على مقعدها المريح والمقعد الخشبي المستطيل، وبعد أن حولت المقعد الخشبي إلى سرير، جرّب الصبي النوم عليه. أما باب الموقد الحديدي الثقيل فقد فتحه وراح ينظر معجباً إلى أكوام الخشب والفحم المرصوصة في الداخل بنظام تام.

تعمّد زاك أن يخرج إلى السطح الأمامي عندما أنهى واجبه المنزلي السيط، بعد أن بدأ صوت كاترين الهادىء يؤثر عليه. بدا صوتها رائعاً، وربما هو جزء من مهنتها. وغاظه أنه كان يتمنى في قرارة نفسه أن يكون معها في جولتها.

لهذا، ولكي يثبت قوته الداخلية وعدم مبالاته بسحرها، أبعد نفسه عن ذلك السحر كلياً.

اتكأ إلى الخلف في كرسيه، وأغمض عينيه مستمتعاً بدفء أشعة الشمس. وما هي إلاّ لحظات حتى بدأ يميّز الأصوات من حوله؛ ترقرق المياه حين يعدو البط، طقطقة مناقير الدجاجات الهادىء، صوت قفزة سمكة وهي تلتقط حشرة

آمنة...

فتح عينيه على صوت غريب مرتعش، وإذا هو صوت طائرين أسمرين صغيرين كانا يتقدمان مع النهر فيحدثان ذلك الصوت الذي يحدثه البط. لم يكن يبدو منهما سوى الذيل، وهما يغوصان تحت سطح الماء يتصيدان ما يتصيّده البط.. شعر بشيء من الانطفاء لقلة معرفته، وأمل ألاّ يتوقع سام منه أن يكون خبيراً بالمناطق الريفية.

- أليسا رائعين؟

التفت باسماً إلى ابنه الذي كان ينظر إلى الطائرين مفتوناً.

- إنهما لطيفان حقاً!

- اسم هذا الطائر «الغوامي».

قال سام هذا مزهواً بمعلوماته الجديدة.

وقف الأب وقد تملكته الإثارة لتوقعه قضاء النهار مع ابنه، ثم قال: «هيا بنا يا سام، لدينا أشياء علينا القيام بها. عليك أن تجد مكاناً مناسباً في الجزيرة لتبني فيه مخيّماً، وكذلك علينا أن نقيم بيتاً على الشجرة».

- أووو...

اندس الجسم الضئيل بجسم الأب و هو يهتف بذلك بحماس. تلاقت عينا زاك بعيني كاترين البالغتي الحنان... نعم، إنه مدين لها، ولا يمكنه الإنكار. أشار لها بفمه، من فوق رأس ابنه، بكلمة «شكرا».

ذابت عيناها البنيتان، كما تسربت ابتسامتها الحريرية في جسمه مدمرة الحواجز... حان الوقت ليبتعد عنها.

قال لسام: «قل لها الوداع الآن. هناك الكثير مما يمكنك أن تقوم به قبل أن تعود إلى البيت».

عانقت كاترين الصبي باختصار، وأسرعت عائدة إلى داخل المركب، حيث وقفت لحظة تنتظر أن تتوقف يداها عن الارتجاف.

لم يكن ثمة شك بالنسبة لذلك. لقد تأثر قلبها للغاية بابتسامة زاك السعيدة لسرور ابنه. قد يكون منجرفاً وطموحاً، لكنه يحب ابنه بكل مشاعره المحمومة.

ولأجل ذلك يمكنها أن تغفر له فظاظته.

حتى إنها تشعر نحوه بالمودة... غمرتها مشاعر الفرح فأدركت السبب؛ ليس أنه أصبح بإمكانها أن تمضي في الجزيرة شهراً آخر تعيد أثناءه طلاء جدار المركب كما خططت من قبل، ولكن لأنها ستتمكن من رؤية زاك أثناء ذلك، فقد أثار اهتمامها أكثر من أي رجل عرفته. إنها متأكدة الآن أن خلف مظهره القاسي ذاك يكمن قلب محب ذو مشاعر دافئة.

ربما كانت أديث تعلم ذلك.. وحبست كاترين أنفاسها. كانت السيدة العجوز بالغة الدهاء، ومن المحتمل جداً أنها تركت له الجزيرة لأنها كانت تعلم أنها ستغيّر حياته إلى الأفضل.

تذكرت شيئاً قالته لها أديث فحيّرها حينذاك: (أنت تثقين بي في اختيار الأفضل بالنسبة للجزيرة، أليس كذلك؟ مهما حدث، ضعي ثقتك بي، وأظنك ستدركين أنني كنت على صواب في حكمي).

ازدادت حماسة كاترين.. لقد التقت أديث زاك عدة مرات، فأدركت بفطنتها، أنه يستحق جزيرتها الحبيبة.

لا بد أن خلف مظهر زاك الصارم يكمن رجل غير عادي.. وابتسمت حالمة، وهي تفكر في أن رؤيتها لذلك الرجل مرة أخرى هو شيء رائع حقاً.

أربعة أسابيع، هذا كل ما لديها. واستندت إلى أحد الأدراج، شاعرة بالرهبة خشية أن تثق بغريزتها التي تحدثها بأن هذا الرجل غير عادي. وأن وراء عبوسه هذا، قلباً كبيراً وشخصية باهرة لا يعادله بها رجل آخر.

أفزعها فيض السعادة الذي سرى في كيانها. من الممكن أن تكون مخطئة، وأن تكون أديث قد ارتكبت غلطة.. ولكن الحياة يجب أن تعاش، وعليها أن تثق بغريزتها... حتى لو شعرت بأنها في وضع توشك فيه أن تقفز من على صخرة إلى جهنم.

٨ ـ صفقة و.. عناق

رغم الإغراء الذي تملكها لكي تقابل بالمصادفة زاك وسام ذلك النهار، إلا أنها سيطرت على شوقها بحزم، وتركتهما وحدهما. كانا بحاجة إلى أن يكونا بمفردهما.. ابن وأب.

فكرت مسرورة، بالبهجة التي سيجدها زاك، وبأن جزءاً ضئيلاً من قلبه المحصن بعناية سيذوب في آخر النهار.

في حمّى نشاطها أصلحت كاترين محرك المركب، وعجنت دقيقاً للخبز وتركته ليتفاعل مع الخميرة، ثم أصلحت من وضع اللوحة التي تحمل اسم المركب ورقمه. وبعد أن تملكها السرور لنجاحها في إصلاح المحرك، أدارته مرة أخرى ثم سارت به في رحلة لاختباره في النهر.

- كاترين! أنظري إلينا!

صاح بذلك صوت مألوف عندما اقتربت من أجمة صغيرة في الجزيرة.

- مرحباً سام! مرحباً زاك!

لوّحت لهما بيدها بجنون، واغرورقت عيناها بالدموع وهي ترى زاك يحيط كتفي ابنه بذراعه بزهو.

- نحن نبني كوخاً! تعالي وانظري!

تردّدت قليلاً... كان سام يحثها للاقتراب بينما زاك يشير إليها بدوره، فكيف لها أن ترفض؟ وجهت المركب في الاتجاه المعاكس لكي توقفه، ثم اقتربت به من الضفة.

قفز زاك إلى سطح المركب وكأنه خلق لحياة المراكب، ثم قذف حبلاً إلى سام، قبل أن يعود إلى اليابسة ليربطه إلى شجرة. في الوقت نفسه اقتربت كاترين

www.elromance.com

بالمركب من الضفة، ثم أحكمت ربط حبل المقدمة.

- هيا، هيا!

صاح سام بذلك بفروغ صبر وهو يجرها من يدها.

تمتمت تقول لزاك وعيناها تلمعان سروراً: «إنه متحمس إلى حد فظيع».

فقال باقتضاب: «نعم، إنه كذلك».

ابتسمت كاترين في سرها. إن زاك أستاذ في الحذر، ولكن التألق في عينيه كشف عن سروره لرؤيتها، هو أيضاً.

قالت وهي تضحك بصوت خافت: «أنتما الإثنان قذران تماماً».

- أعلم هذا.

ونظر بشبه ابتسامة إلى بنطلونه الملطخ بالأوحال وقميصه الذي كان ملوثاً بالطحالب.

- ها هي!

فهتفت بابتهاج: «آه، يا سام! إنها أعظم مما تصورت».

- إنها فكرة بابا. انظري، ها هنا باب يمكننا أن نفتحه. كما أنه سيكون هناك نافذة أيضاً سنفتحها عندما ننتهي...

أخذ الصبي يثرثر ويشرح لها عن كل شيء بدقة. وتملكتها الحيرة. ما رأته لم يكن قط كومة من الأخشاب تميل على بعضها البعض بشكل مزعزع شكله ما يشبه الكهف، بل بناء من الخشب له سطح حقيقي وجدران مثبتة بمسامير.

أخذ قلبها يخفق. إن ما شيده زاك ليس مجرد بناء مؤقت يبهج به ابنه عدة عطلات أسبوعية، بل هو بناء ثابت ودائم. قالت معلقة: «لقد بنيت هذا بشكل جيد جداً».

قالت هذا بإعجاب بالغ وهي تفتح وتغلق الباب وتدس أصابعها خلال صندوق الرسائل.

هز زاك كتفيه مظهراً التواضع: «كان أبي يقوم بمثل هذه الأشياء، وقد اعتدت أنا أن أجر إليه الأشياء حتى ذهبت إلى المدرسة».

فجأة جرها سام إلى الداخل قائلاً: «انظري إلى الكراسي! هنا منضدة

حقيقية، وقد وعدني أبي بأن يصنع لي مزيداً من الأثاث من فضلات الأخشاب هذا الأسبوع. ونحن الآن سنوقد ناراً نشوي عليها بطاطا لوجبة الشاي، أليس هذا عظيماً؟».

- عظيم جداً، إنك تمرّ بنهار أسطوري حقاً. أليس كذلك؟

- نعم، هل أحضر لك بطاطا؟

- كاترين ذاهبة إلى مكان ما.

قال زاك هذا بسرعة، وبرفض واضح من عينيه المخدرتين، تابع يقول بأدب: «أنا مسرور لأنك استطعت إصلاح المحرّك».

رغم خيبة أملها، إلا أنها فهمت الإشارة. هذا يوم زاك ليكون أباً، ولا يمكنها أن تسلبه هذا الحق.

- نعم، وأنا أيضاً مسرورة. حسناً، أنا ذاهبة، وشكراً لأنك أريتني الكوخ. أظنه رائعاً.

في نهاية النهار، غسل زاك وسام أيديهما ووجهيهما في المطبخ المريح، وجلسا يلتمسان دفء الموقد. كان الجوّ، خلال الساعة الأخيرة، قد تحوّل إلى برودة قارسة مصحوبة بالرطوبة.

تنهد سام راضياً: «أنا متعب للغاية».

ثم اندس بأبيه الذي احتضنه بحب بالغ وهو يقول: «وأنا أيضاً. عليك أن ترتدي معطفك، لأن أمك قد تصل في أية لحظة. سنقابلها على الناحية الأخرى من النهر، أليس كذلك؟ سيكون لديك الكثير لتخبرها به».

وخفق قلبه وهو يرى عيني ولده تلمعان والابتسامة العريضة تضيء وجهه الشاحب. ما عدا أنه لم يكن شاحباً الآن، بل وردياً ومتعافياً. وتساءل زاك عما إذا كانت الحياة في المدينة تناسب الأطفال أساساً، وابتدأ يفكر في إمكانية الاحتفاظ بجزيرة تريزانتي للعطلات الأسبوعية.

بعد فترة قصيرة، كان زاك يلوح بيده لسام مودعاً، وهو يدرك أن هذا اليوم كان نقطة تحوّل في علاقتهما.

شعر بغصة في حلقه وهو يلوّح بيده لابنه بانفعال بالغ، فيما بادله سام

التلويح بحرارة مماثلة حتى غابت السيارة عن النظر.

غمغم بالشكر لأديث بعد أن أدرك أخيراً السبب الذي جعلها تورثه الجزيرة. إنها، بهذا، أعادت إليه ابنه، وهذا أمر لا يقدّر بثمن.

تجاهل رنين هاتفه المتواصل، كما فعل طوال النهار، وأسرع عائداً إلى المنزل الدافىء المريح. كان بحاجة إلى قليل من الوقت يمضيه مع نفسه قبل أن يعود إلى عالم الأعمال. لا بأس، عليه أن يعمل ليلاً ليعوض ما فاته في النهار. ارتدى كنزة ثم حضر لنفسه كوب شاي ساخن.

كان يجلس إلى مائدة المطبخ عندما سمع طرقاً على الباب الخلفي. وعندما التفت، رأى جسد كاترين النحيل الصغير.

حذّر نفسه بأن عليه المحافظة على رباطة جأشه، كما عليه أن يبقي الحاجز بينهما. وهكذا يبقى آمناً فلا يسبب الضرر لنفسه.

فتح الباب قليلاً ثم سألها باختصار: «نعم؟».

فقالت بوداعة: «هل يمكنني أن أراك لدقيقة واحدة؟».

قطب جبينه رغم حلاوة وجهها وقال: «أنا مشغول».

- لن أتأخر، أرجوك.

وشبكت ذراعيها على صدرها وقد تدلت من يدها حقيبة من القماش. ارتجفت بحركة لا إرادية، فلاحظ أنها غيرت ملابسها إلى تنورة عسلية ذات قماش ناعم، تصل إلى كاحليها. ومع القميص والسترة اللتين ترتديهما، لم تكن ثيابها ملائمة لجو المساء البارد.

حاول أن لا يستسلم لرغبته بأن يدعوها إلى الدخول، فزاد من فتحة الباب قليلاً، لكنه لم يطلب منها الدخول: «حسناً؟».

وضع في هذه الكلمة كل جهده ليبدو أنه متضايق، بالرغم من أن مشاعره كانت تحثه على أن يدعوها إلى الدخول لتناول كوب من الشاي... أو اثنين، وإلى تبادل الحديث.. وربما..

أقلقه أن عينيه أصبحتا رقيقتين، لأنها كانت تبتسم تلك الابتسامة التي تذيب القلب. وهكذا، لجأ إلى تكشيرة تناقض حقيقة مشاعره. لكنها قالت

بنعومة: «زاك، أنا أعلم أنني أزعجتك. لكنني متجمدة من البرد. لم أكن أعلم أن الجوّ بارد إلى هذا الحد. هل يمكنني أن أدخل قبل أن أصاب بذات الرئة، وأموت موتاً بطيئاً وفظيعاً على عتبة بابك؟».

إنها تريد شيئاً، خدمة أخرى، ولمعت عيناه بسخرية.

- تفضلي، إذا كنت مضطرة لذلك.

دخلت كاترين برزانة، وساعده تشابك ذراعيه فوق صدره على إبقاء يديه بعيدتين عنها. فقالت وأسنانها تصطك: «أيمكنني أن أجلس عند الموقد طلباً للدفء؟ يمكن أن يكون جو أوائل أيار مخادعاً...».

ثم رفعت حاجبيها وهي تتابع قائلة: «.. فهو لا يستقر على حال. إذ يكون حيناً بارداً، وحيناً آخر دافئاً. ثم بارداً...».

أتراها تشير إليه بهذه الصفات؟

تأوه مستسلماً في محاولة لإظهار شعوره بالضيق، ثم تنحى جانباً، فركعت على ركبتيها أمام الفرن بينما انتشرت تنورتها حولها كالعسل السائل، ثم أخذت تدعك يديها على باب الفرن اللامع شاكرة.

بدا خصرها نحيفاً جداً حتى إن فقرات ظهرها بدت بارزة من خلال قماش قميصها، كما بدت يداها رقيقتين نحيلتين، وذراعاها رشيقتي الحركات. أما شعرها الجعد فهو يغري الناظر بتمليسه. شعر زاك برغبة قاهرة في أن يركع بجانبها، ثم يأخذها بين ذراعيه ويدفن وجهه في خصله المعطرة...

راح يرمقها بنظرات متلهفة، وهو يفكر بما ستكون عليه ردة فعلها لو أنه عانقها. ثم رآها تبتسم لنفسها، وكأن ذهنها مليء بالذكريات.

- أنا وأديث اعتدنا أن نفعل هذا في الشتاء، بعد أن نكون...

فقاطعها: «ماذا تريدين؟».

شعرت كأنها تلقت صفعة منه، وقد ساءها كلامه البعيد عن التهذيب والكياسة الاجتماعية. قالت بصوت مرتجف: «كنت أتذكر فقط».

- قلت لك إنني مشغول.

أجفلها جفاؤه هذا، وعدم اهتمامه بذكرى أديث وبها على السواء،

فنهضت واقفة وأخذت تبحث عن حقيبتها.

- لا بأس، آسفة. أحضرت لك بعض البيض.

ثم أخرجت العلبة، وخبزاً ما يزال ساخناً.

قالت هذا بفتور، إلا أنها عادت فشعرت بالارتياح عندما بدت شبه ابتسامة على فمه. راح يتنشق رائحة الخبز الطازج، ثم قطع قطعة منه وأخذ يمضغها متلذذاً. ظهر الاستحسان في عينيه، فاسترخت أعصابها قليلاً. وفكرت أنه لا يبدو رجلاً سيئاً على الرغم من تجهمه، فازداد أملها. قال زاك فجأة: «شكراً، لكن لماذا؟».

نظرت إليه بعينين متسعتين: «ماذا تعني؟».

- لماذا تعطيني هذا؟

لاحظت ساخرة أنه لم يَعد إليها هديتها فقالت: «هذه عادة الجيران مع بعضهم البعض... إظهاراً للمودة».

- وماذا تريدين مقابلها؟

توترت شفتاها، ثم عادت فضحكت. إنه على حق، فقد كانت مصممة على رشوته.

قالت ضاحكة: «ربما هو الشعور بالذنب، لكنني لم أره بهذا الشكل. إننا في هذه الأنحاء نتهادى على الدوام بأشياء صغيرة...».

فقاطعها ببرودة: «ماذا تريدين؟».

- أريدك أن توضح لي نقطة صغيرة.

فقال وهو يأخذ قطعة أخرى من الخبز: «وما هي؟ وكم يبلغ صغرها؟».

- أنت تكرّمت عليّ بالبقاء هنا شهراً.

- ولأن سام تسلّى معك ومع مركبك، لا غير.

رقّ وجهها وهي تتذكر لهفة الصبي وقالت: «أعلم هذا، إنه طفل رائع. أتصوّر أنك أمضيت نهاراً طيباً. كيف كانت البطاطا المشوية؟».

بدا الارتياح على زاك: «ألذ من كل ما تذوقناه من قبل. كانت سوداء من الخارج، وغير ناضجة من الداخل، لكننا أكلنا كل قطعة منها».

وضحك، فحبست كاترين أنفاسها وقد أذهلتها سعادته. ثم ضحكت هي أيضاً وقالت: «أنا مسرورة لنجاح علاقتكما».

فقال وقد استعاد نبرته المقتضبة: «هذا صحيح. شكراً لفكرتك».

ليته فقط يترك عمله كمتموّل محترف، ويبقى والداً محباً! لقد كرهت شخصيته الأولى، وعشقت الثانية.

قالت له بهدوء: «أنت نفذت الفكرة، بصورة رائعة».

- وأنا أيضاً استمتعت بذلك.

قال هذا محدثاً نفسه وكأنما أدهشه ذلك. وتنهدت مسرورة ثم قالت وفي صوتها رجفة لشدة التأثر: «كان ذلك رائعاً».

رفع زاك رأسه ببطء ونظر إليها، وساد الصمت عندما التقت نظراتهما. لكنه صمت متوتر كهرب الجوّ بينهما.

وأخيراً سألها بصوت أجش: «وهكذا، يا كاترين، ماذا تريدين مني؟».

حاولت كاترين أن تتذكر ما الذي تود قوله وقد اتسعت عيناها وتملكها الضعف تحت نظراته المتفحصة. وفكرت في أنها تريد كل شيء... كل ما يريد أن يقدمه لها. وقالت بنبرة ضعيفة: «أنا... أنا...».

وبشكل ما، عاد ذهنها إلى الواقع فتابعت: «بشأن المرور على الجسر... إنني لا أعرف ما إذا كان بإمكان مرضاي أن يستعملوه ليأتوا لرؤيتي أثناء وجودي هنا. أنت لم تقل شيئاً بهذا الخصوص. سأكون شاكرة جداً لو سمحت بذلك. سيمكنني بذلك، أن أدع مواعيدي قائمة لهذا الشهر، كما سيكون لدي وقت أعطي فيه مواعيد جديدة عند رحيلي».

بدا وكأنه يزن جوابه. بينما أخذت هي تنظر إليه متوترة. وأخيراً قال وهو يتنفس بعمق: «لا».

شعرت كاترين بخيبة أمل بالغة. حدّقت إليه آملة أن ترى بعض اللين في ملامحه، لكنه بادلها التحديق ببرودة وقسوة. فقالت: «سأدفع لك أجراً».

- لا.

وكان هذا، بالنسبة إليه، قراره النهائي. فتمتمت غاضبة: «إنك لا تضيّع

الكلمات سدى، أليس كذلك؟».

- الحياة قصيرة جداً.

- نعم. لذا علينا أن نعيش حياتنا!

صرخت بذلك بعنف، وإذا بها تلمح فيه ومضة من الانفعال.. كان شوقاً محموماً سرعان ما سيطر عليه وقال: «لديّ اتصالات عليّ القيام بها».

فتنهدت: «أنا واثقة من ذلك».

واستدارت لتخرج وقد تملكتها كآبة غير عادية، وهي تفكر عابسة بأنها كانت تحلم طوال النهار أحلاماً صغيرة غبية غير عقلانية، وكلها تدور حول زاك. أملت أن يسمح لها بالبقاء، وأن يلين ويصبح لطيف المعشر بتأثير جوّ الجزيرة، ومن ثم يقعان في الحب بجنون و...

آه، ماالفائدة؟ لقد اقترفت غلطة شنيعة.. إنه ليس رجلاً غير عادي على الإطلاق... كانت أديث مخطئة في اعتباره كذلك.

والأسوأ من ذلك أن مصدر رزقها أصبح الآن مهدداً بالخطر.

- سأسير معك إلى الخارج.

قال هذا وهو يسير، متصلب الجسم، إلى الخارج، وما لبث أن فتح لها الباب.

بدا الجو كئيباً في الخارج، فانكمشت كاترين وهي تقول له متجهمة الوجه: «وداعاً. كان عليّ أن أعلم أن هذا هو جوابك. إذا لم أستطع أن أعمل، عليّ إذن أن أغادر الجزيرة غداً، لا يمكنني أن أعيش على الهواء».

- لا.

قال هذا بعنف، وهو يمدّ يده ليوقفها عن السير. نظرت إليه بجفلة، وقد أدهشها أن ترى الألم في عينيه. وعاد يقول مؤكداً ولكن بشيء من الهدوء: «لا».

أمسك بيدها يديرها إليه لتواجهه، وكانت كرامتها أقوى من أن تستسلم، فوقفت تقابل عينيه النارتين بازدراء.

لم يشأ أن تفشل خطته.. هل ظنها سهلة تفعل ما يريده؟ وأن أمراً منه سوف

يرهبها ويجعلها تستسلم؟

بدا التمرد على وجهها. إنها ليست مستعبدة له، لكي يصدر لها الأوامر كيف ومتى وأين تمتثل لأمره! لم يضغط عليها أحد قط من قبل، ولن يحصل هذا الآن. خصوصاً من هذا الأناني المتغطرس، ابن المدينة المتكلف.

قالت بحدة: «عليك أن تفهم أنني مضطرة إلى الرحيل! أنت لم تترك لي خياراً آخر».

فقال مكشراً: «لا أريدك أن تذهبي».

فقالت بغضب: «طبعاً، لأن سام يحب مركبي ودجاجاتي كثيراً. أليس كذلك؟».

ظهرت مرارة كئيبة في صوتها مع أنها كانت تعلم ذلك مسبقاً، حتى إنها رحبت بالأمر؛ إن زاك وسام بحاجة إليها. إذن، لماذا تشعر الآن بالألم البالغ لأن زاك يريد أن يبقيها مجرد مصدر لتسلية ابنه؟

فقال: «سبق وقلت لك ذلك. أنت تعادلين بالنسبة إليه الحديقة العامة التي تعزف فيها الموسيقى».

فنظرت إليه بمرارة: «إنني الآن أقل جاذبية من سائحة، أليس كذلك؟».

على الأقل شعر بأن عليه أن يبدي الخجل وقال: «أنت قلت إنك ستبقين، فاعتبرت ذلك وعداً تفين به. هل تعوّدت أن تخيبي آمال الأطفال؟».

قال الجملة الأخيرة بمكر، فحملقت فيه، بدا لها فجأة أنهما أصبحا أقرب إلى بعضهما البعض. فقد تأثرت بحرارة مشاعره تجاه ابنه ما جعلها تتعثر مترددة. وصرفت بأسنانها قائلة: «من الطبيعي أن أترك له رسالة أخبره فيها بأن عليّ أن أرحل لكي أعمل، إنه سيفهم ذلك. وأنت رفضت أن تسمح لي بذلك. كما أنني لا أريدك أن تقدّم لي مالاً تربطني به لأنني سأرفض أخذه. والآن، دعني أذهب لأن عليّ أن أهيء المركب مرة أخرى».

فصرخ بها بصوت مبحوح: «لا تفعلي هذا!».

ونظر إليها بعينين ملتهبتين، فأحجمت عن السير لما رأت من مشاعره الحميمة نحو ابنه، ما جعلها تتأثر هي أيضاً. لكنها فكرت أنه يستغلها

www.elromancia.com

لمصلحته ، فلِمَ تقبل بذلك؟ من المفترض أن يكون هناك اتفاق عادل بينهما . . .

خطرت لها فكرة ، فرفعت رأسها ونظرت في عينيه مباشرة . شعرت بالارتباك لحظة وهي ترى عينيه قاتمتين متألمتين ، فشعرت بالعطف عليه . حبه الكبير لابنه مسّها في الأعماق . إنه يفعل أي شيء لأجل سام ، حتى إنه قد يغير رأيه .

قالت له ببطء : «أنت تريدني أن أبقى» .

فلمعت عيناه وكأنه أحس باستسلامها : «نعم!» .

ابتلعت كاترين ريقها وقد هزتها مشاعره العنيفة ثم قالت : «وأنا أيضاً أريد أن أبقى . . . رغم أن أسبابي مختلفة تماماً» .

تمنت لو أن بإمكانها أن تتحدث بتلك النبرة الجافة التي يتحدث بها رجال الأعمال ، وليس بصوت مبحوح كمن يدخن علبتي سجائر يومياً . ماذا جرى لحلقها؟

- هذا . . .

بدأ زاك بالكلام ، لكنه ما لبث أن توقف كأنه يراجع نفسه فبهتت ابتسامته المشرقة بعد أن سيطر على اندفاع عواطفه الأحمق ، وعاد يقول : «هذا حسن . . » .

إلا أن كاترين قاطعته ببرودة الثلج ما جعل وجهه يتحوّل إلى حجر : «أنا لم أكمل كلامي بعد . سأبقى لأسلّي ابنك كلما جاء إلى هنا . . » .

وسكتت بعد أن أذهلها الفرح الذي بدا على ملامحه . كم يحب ولده! وإذا بزاك يقول بجفاء : «أحس بكلمة «ولكن» قادمة» .

خف ضغط يده على ذراعها ، إلا أنه بقي ممسكاً بها وهو مستغرق في احتمالات الحصول على ما يريد .

حاولت جهدها تهدئة تسارع نبضها لتقول : «الحق معك ، لأن هناك «ولكن» . دعنا نعقد اتفاقية ، ولا بد أنك اعتدت على ذلك . سأبقى ، بشرط أن تعطيني حق استعمال طريق الجسر مؤقتاً ، وبهذا يمكنني أن أتابع المعالجة . يجب أن تفهم يا زاك أنني مضطرة إلى تحصيل رزقي ، وإلا سأرحل» .

نظر إليها ، كارهاً منح أي خدمة . لكنها أدركت أن حبه لسام سيجعلها تكسب المعركة .

- أنت ماهرة للغاية .

- قدّرت أنك ستقول هذا .

كانت قد صممت على أن تبدو هادئة حيادية . فإذا بصوتها يرتجف .

لمحت في عينيه ومضة هزل ، وارتفاع مفاجيء لجانبي فمه الذي ظهرت عليه التسلية . وقال : «لك هذا» .

تملكها الارتياح فجأة إلى حد ترنحت معه قليلاً إلى الخلف . عند ذلك فقط أدركت أنها كانت تحبس أنفاسها ، وأن التوتر يسيطر على كل عضلة من عضلات جسمها .

تمسكت بكرسي خلفها تسند ساقيها المرتعشتين ، وأخذت تنظر إليه وهو يسرع إلى المطبخ ليتناول كوباً آخر من الشاي عن الرف ووجهه يتفجر سروراً .

أحضر لها كوب الشاي وقد بدا مزاجه خليطاً من الابتهاج والغيظ . ورأت ذلك مفهوماً ، فقد كان مسروراً لحصوله على ما يريد ، ومغتاظاً لاضطراره إلى التنازل!

دس الكوب في يدها دون لباقة ، بينما راحت عيناه تخترقان عينيها بنظرات جعلت ركبتيها ترتجفان . ثم قال فجأة : «تعلمين أن ليس لدي خيار ، عليّ أن أوافق على صفقتك هذه» .

كان الجوّ في الداخل قد أصبح حاراً فخلع سترته وقذفها إلى كرسي قريب ، ثم أخذ يرشف الشاي دون أن يحوّل عينيه عنها . وما لبث أن قال لها : «ولكن لنوضح الأمر! ستبقين لمدة شهر فقط» .

- واضح .

- لا أكثر .

- موافقة .

راحت تختصر كلامها مثله ، ولكن بالنسبة إليها ، شعرت كأن حلقها مسدود . فقد وقف زاك بالقرب منها وكأنه مشرف عليها وقد ملأ حضوره

الغرفة بأكملها، كما ملأ تفكيرها بشخصيته غير العادية.

- لا حفلات صاخبة.

- لا.

أتراه اقترب منها خطوة؟ بدا كأن المسافة بينهما قد امتلأت بحرارة مكهربة. تشبثت كاترين بذعر بكوبها الدافىء، ثم أحنت رأسها لترشف الشراب، محاولة أن تركّز فيه اهتمامها بدلاً من زاك.

- يجب ألاّ يتسكع أحد في الجزيرة ما عداك، وبأذني فقط.

- نعم.

أصبح صوته مبحوحاً كصوتها. ألقت عليه نظرة سريعة وإذا بها تشلّ عن الحركة، وإذا بشفتيها ترتجفان وتنفرجان.

- وتبقين بعيدة... عني.

ورفع زاك يديه ببطء وأراحهما على كتفيها، بينما همست هي: «نعم».

أصبح الآن قريباً جداً منها، ما جعل رأسها يدور.

- العطلة الأسبوعية القادمة، بصفتها جزءاً من واجباتك...

وساد صمت طويل فانتظرت وقد ازداد توتر أعصابها.

- ماذا؟

وعندما لم يجب، سألته: «واجباتي؟».

- نعم. أرى... ربما رحلة بالمركب..

أغمضت عينيها وأومأت بصمت، عالمة أنها لن تستطيع أن تتفوه بكلام مفهوم. ثم شعرت بذراعيه تغمرانها، وبالدفء يجتاح كيانها..

لم تجرؤ على فتح عينيها، أو على القيام بأي حركة، بل وقفت هناك، دون حراك، مستسلمة لعناقه المفاجىء.

ذلك أن كل خلية فيها كانت تتوق إليه، رغم أنها تعلم أن هذا لن يعني له سوى افتتان عابر. وأنها، بعد ذلك، ستندم على كل لحظة.

٩. نعم، سأرحل

أخذ زاك يناقش ضميره الذي ما زال يحارب مشاعره المندفعة. وأحس أن ذهنه مرتبك، وأنه لا يستطع التفكير بشكل مستقيم. ولكن عليه أن يفعل ذلك.

أطبق أسنانه وبذل جهده. على هذا أن يتوقف الآن... ومع ذلك...

لماذا يعذب نفسه؟ إنهما شخصان راشدان، كما أن كاترين بدت راضية وهي مستسلمة لعناقه. وهو يرغب فيها كما لم يرغب بامرأة قط في حياته.

لم يعرف كيف تمكن من إبعاد نفسه عنها، إلا أنه لم يشأ أن يجفلها. يريد أن يشبع عينيه من النظر إليها، وتأمل ملامحها الرقيقة ببطء.

- إنها ترتيبات عملية خالصة.

قال هذا محاولاً أن يبدو رزيناً، لكنه كان قريباً للغاية منها، فلم تتمكن كاترين من التلفظ بشيء سوى الغمغمة.

وأجابت موافقة: «هممم...».

وكان في تذبذب أهدابها وتأوهها انهياره، كيف يمكنه أن يقاوم؟ وعادت ذراعاه تضمانها في عناق مفاجىء متّقد لا أثر فيه لبطء أو فتور.

قال بصوت أجش: «لن تكون بيننا علاقة عاطفية».

فقالت وهي تقترب منه أكثر: «لا...».

وطوقت عنقه بيديها، سامحة لتلك المشاعر الحميمة أن تسري في عروقها.

فكر زاك ورأسه يدور في أنهما متلائمان. بدا له أنها تتلاءم مع عناقه وكأنها خلقت لأجله. لم يكن ثمة شيء غير مناسب في عناقهما. إنهما يعلمان ما يفعلان وكأنهما تدربا عند راقص باليه..

www.elromancia.com

تسللت يده إلى شعرها، فراح يمرر أصابعه في خصلاته الملتفة كما تمنى أن يفعل من قبل.

- زاك.

أنزلت يديها، وهمست بذلك مترددة بعد أن أدركت أنهما ما زالا متعانقين. لكنه شدّها إليه وهو يهمس في أذنها: «أنت رائعة الجمال، اشعري بالبهجة...».

ثم تابع وهو يغرقها في عناق طويل: «... لا تفكري بأي شيء آخر. يمكنني أن أعانقك لساعات واحتضنك بين ذراعي إلى أن ننسى، كلانا، كل ما حولنا».

في أعماقه، شعر زاك بالذهول من نفسه، فهو لم يتحدث قط بكلام كهذا من قبل، ولم يشعر بمثل هذه الحماسة نحو امرأة أخرى مطلقاً. أحس أن مشاعره نحوها تكتسحه كالنهر أثناء طوفانه، ولم يعد يستطيع السيطرة على نفسه.

جرفتهما مشاعرهما معاً، ونظرت كاترين في أعماق عينيه ببهجة بالغة. وكأنما كانت تقرأ أفكاره، فألقت برأسها على صدره، وأخذت تستمع إلى خفقات قلبه بينما احتضن هو رأسها بيده، ثم أخذ يتنشق عطر الليمون في خصلات شعرها.

أوقفها قليلاً أمامه، متسمّراً بلمعان عينيها، ثم تخلل بأصابعه شعرها اللامع الذي كان يحيط بعنقها الرشيق.

وغمغم ورأسه يدور: «كاترين؟».

بإحساس بالغ، ورقة متناهية عاد يعانقها، ليضيعا معاً في خضم مشاعرهما المحمومة.

بقيا لدقائق ساكنين، متعانقين معاً في انسجام لم يتصوره زاك في نفسه من قبل. وأخيراً، أبعد نفسه عنها بصعوبة بالغة، ثم ابتدأ يفكر، بعد أن ساوره الخوف من قوة مشاعره. ورغم أنه حاول البقاء بعيداً عنها، محاولاً إخفاء انجذابه نحوها، فقد بدا هذا متعذراً.

ومع ذلك، كان الأمر أكثر من مجرد عناق. لقد اكتشف فيها حساً من

الاهتمام، ما سمح لأحاسيس جديدة في داخله بالظهور، كاشفة عن شخص أفضل. تملكه الذهول وهو يشعر بنفسه بأنه لفترة قصيرة أصبح عملاقاً بين الرجال، بهذا الإحساس.

- بماذا تفكر؟

سألته ذلك بصوت جذاب ترنح له قلبه، لكنه تظاهر بعدم الفهم ليكسب وقتاً يهيء فيه جواباً مناسباً: «همم...؟».

- قلت: بماذا تفكر؟

التفت إليها، ثم تمنى لو أنه لم يفعل، إذ أغرقه الحنان في عينيها البنيتين. وسألها بأدب: «هل ما زلت تشعرين بالبرد؟».

ابتسمت كاترين، فأشرق وجهها، ما جعله يشعر بأعصابه تتقلص.

- بعد لحظة لن أكون كذلك.

وعندما اقتربت منه طالبة الدفء، ودست رأسها تحت ذقنه، أطلق نفساً طويلاً واستسلم لمشاعره من جديد. إنه يريد أن يضمها إلى قلبه ويهمس في أذنها كلمات حلوة. يريدها أن تبقى في منزله حيث الدفء والأمان. سوف يدعوها للبقاء وينام هو على الأريكة، فذلك ليس مهماً. المهم أن يبقيا معاً.

هو، العملاق بين الرجال، وهي صانعة العمالقة.

تنهدت قليلاً، ثم ابتعدت عنه قائلة: «عليّ أن أذهب».

قالت هذا وشعرها يتأرجح حول وجهها كالخمار وإذ شعر بالإهانة لأنها لم تشاركه تشوّقه. عبس إزاء خصلات شعرها المتموّجة ووجهها الفاتن.

- حسناً!

قال زاك هذا متظاهراً بعدم الاهتمام، فضحكت بصوت خافت، ومدت أصابعها إلى ما بين حاجبيه تزيل تقطيبه العابس.

- لا تفعل هذا، عليّ أن أطمئن إلى الدجاجات.

- الدجاجات؟

- نعم!

ثم تلاشت ابتسامتها وبدت مترددة، ما جعل قلبه يذوب رقة.

وسألته بصوت خافت: «هل أقول الوداع أم أن لدينا . . . شيئاً . . . آخر نتحدث عنه؟».

لم يستطع أن يقاوم فكرة بقائهما متعانقين، هذا لن يسبب أي ضرر. وربما هو مبالغ في مشاعره لأنه لم يتودد إلى امرأة منذ وقت طويل، كما أنها أقل خداعاً من معظم النساء.

- لدينا الكثير . . . لنتحدث عنه، أيتها المرأة الفاتنة . . .

قال هذا بابتسامة عريضة، ثم سألها: «لماذا تذهبين في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟ المكان هنا دافىء، وهناك مكان إضافي لزائرة فاتنة غير متوقعة».

وسره ضحكها، فعاد يعانقها بشغف.

همست كاترين بعد قليل: «يمكنني البقاء، لكن عليك أن تقفل هاتفك، كي لا يبدأ في الرنين في منتصف الليل».

عندما تحركت في الصباح التالي، كان ضوء النهار يملأ الغرفة. وتعجبت من استغراقها في النوم حتى هذا الوقت.

أجفلت لسماعها حركة خفيفة، فرفعت رأسها ونظرت حولها. وإذا بها ترى زاك واقفاً عند النافذة، وقد بدت ملامحه جامدة.

قالت له بنعومة وقد احمر وجهها لإدراكها أنه كان يراقبها: «مرحباً».

قال وقد عاد إليه أسلوبه المتزمت القديم: «لدي عمل أريد القيام به».

فصاحت بمرح: «وأنا أيضاً لدي دجاجات ينبغي إطعامها».

إنها لن توقعه في الفخ، بل ستعتمد على طبيعته الطيبة الداخلية لكي تستعيد تأثيرها عليه مرة أخرى. هذا ما فكرت به كاترين وهي ترى جموده وعبوسه.

قفزت من السرير بسرعة ووقفت في وسط الغرفة، ثم سألته: «هل هناك مانع من أن آخذ حماماً سريعاً؟».

بدا وكأنه يريد أن يقول شيئاً، وكانت عيناه تتوهجان شوقاً إليها. فقد بدت فاتنة وهي ترتدي بيجامته الكبيرة المقاس عليها.

- بالتأكيد. لقد تناولت فطوري، فتناولي أنت فطورك. أنا بحاجة للاتصال بنيويورك.

نظرت إليه طويلاً قبل أن تسأله: «أليس الوقت هناك منتصف الليل؟».

أخذ يرمش بأجفانه، ثم أجابها: «كنت أعني طوكيو».

أومأت دون اهتمام، فقد رأت أنه خائف من التورط في علاقة عاطفية معها. وربما يكون على حق في ذلك. وتذكرت عناقهما ليلة البارحة، تذكرت لطفه نحوها، واللمحات المذهلة من ذلك الرجل الرائع المختبىء وراء ذلك المظهر القاسي الذي يبدو به للعالم.

إنها تريد أن يخرج ذلك الرجل إلى الضوء ولا يعود إلى الاختفاء ثانية . . .

قالت وهي في طريقها إلى الحمام: «قد أراك قريباً في الأنحاء».

- هذا ممكن.

أغلقت الباب خلفها ثم استندت إليه حتى هدأت خفقات قلبها. لا يمكن حث زاك على الاستعجال، وإذا كانت تريد منه أن يلقي بنفسه، قلباً وروحاً، في علاقتهما فعليها إذن أن تصبر. بدت على وجهها السعيد ابتسامة بطيئة. . إنه يستحق الانتظار تماماً.

في كل ثانية من ذلك الصباح، راحت تتمنى أن تراه. إلا أنها تعلم أنه عاد فتحوّل إلى ذلك الرجل الآلي، وهو الآن يضيع وقت القمر الصناعي بتلك الشؤون المالية.

راح المطر يهطل باستمرار حتى استحالت الطرق إلى مستنقعات. ولحسن الحظ، أن زبائنها ودودين لطفاء، ولم يحتجوا حين أبلغتهم بأن يحضروا منتعلين أحذيتهم المطاطية العالية الساقين.

حتى إن اللايدي كريستابل البشوش غاصت في الأوحال ووصلت في موعدها وهي تقطر ماءً وابتساماً. وعندما أخذت كاترين تعتذر بسبب حالة الطريق، قالت لها: «لا تهتمي مطلقاً، فأنت أعدت إليّ عافيتي. منذ عام كان وضع كهذا يدفعني إلى نوبة عصبية. أما الآن فأنا أستقبل أشياء بسيطة كهطول الأمطار بابتسامة واسعة ومظلة».

ضحكت كاترين. ولأول مرة هذا الصباح، شعرت بارتياح حقيقي وهي تثرثر مع اللايدي كريستابل أثناء معالجة غددها اللمفاوية. وفكرت في أنها هي

أيضاً يمكنها أن تتقبّل المعوّقات، وتضع ثقتها في مشاعرها الغريزية.

بين ذراعي زاك، الليلة الماضية، كانت واثقة تماماً من أنهما خلقا لبعضهما البعض.

ودّعت اللايدي كريستايل بحرارة، وأخذت تكتب الملاحظات الضرورية بسرعة، ثم أغلقت الدفتر الضخم راضية لأنها رأت كل زبائنها لهذا النهار.

خلعت حذاءها وراحت تتنقل حافية القدمين. كان موعد وجبة الشاي قد اقترب، وعند ذاك . . .

قفزت بجفلة وهي تسمع قرعاً حاداً على الباب، وابتسمت داعية الله أن يكون الطارق هو زاك.

- مرحباً! أسرع بالدخول.

قالت هذا بمودة ولكن دون لهفة.

نظر إليها وثيابه تقطر ماء على أرض القمرة، وكأنه لا يعرف ما الذي جاء به إلى هنا. وابتسمت كاترين بعطف لعبوسه.

-أنت مبتلّ تماماً. أليس لديك قبعة أو مظلة؟

بدا عليه التفكير، وتركها تفك أزرار معطفه الواقي من المطر، ثم قال بغموض: «إنها في مكان ما».

- اخلع حذاءك. عندما تذهب إلى المدينة، عليك أن تشتري حذاءً مطاطياً. والآن، اخلع جوربيك.

ودسّت جريدة في الحذاء المشبع بالماء ووضعته بجانب سخان الماء، ثم علّقت المعطف والجوربين.

- أترغب بالشاي والفطائر؟ إنها جاهزة تقريباً.

قال زاك بصوت أجش: «كاترين . . .».

فقالت وهي ترى الكدر بادياً عليه: «أدفىء نفسك أولاً».

ثم أدارت موسيقى رقيقة منخفضة، بعد أن أرغمت زاك على الجلوس على أفضل كرسي مريح. شعرت بسرور بالغ وهي تهتم به، رغم أنها كانت تعلم أن عليها ألا تبدو مسيطرة.

أخذت تغني برقة وهي تخرج الفطائر من الفرن، واعية إلى أنه ينظر إليها.

وبدت الفطائر رائعة، فوضعتها كاترين في طبق مع زبدة وقشدة ومربى، وجهزت الشاي.

قالت وهي تناوله صحناً: «الجوّ سيء في الخارج».

- هذا المطر غير متوقع، لأن التنبؤات الجوية تحدثت عن شمس ساطعة.

تملكها سرور خفي و هي تراه يضع في صحنه مقداراً كبيراً من كل شيء. نظرت إليه بطرف عينها وهي تتساءل عما إذا كان عناقهما الليلة الماضية غير متوقع. وقالت ببشاشة: «الطريق فظيع».

- قررت إصلاح كل الطرق في الجزيرة، ورصفها بالحصى، بدءاً من الطريق الرئيسي إلى المنزل.

فقالت بابتسامة واسعة: «هذا جيد. هل أعجبتك الفطائر؟».

أرادت أن تضحك، فقد كانا الليلة الماضية متقاربين للغاية، أما اليوم، فهما يتحدثان ويتناولان الشاي بشكل رسمي مؤدب.

- إنها تذوب في الفم.

أخذ يتأملان بعضهما البعض للحظة، قبل أن تستطيع متابعة الحديث السخيف هذا.

سألته بوجه مشرق: «وكيف كان اتصالك بطوكيو؟ هل كان الخط صالحاً؟».

بدا عليه الذهول وأجاب: «آه، طوكيو. لا أدري، لم . . . لم أشتغل كثيراً، في الحقيقة».

أسبلت أهدابها لتخفي ردة فعلها، فقد بدا لها ذلك حسناً. أخذت ترتجف سروراً، فحاولت تهدئة نفسها. وسألته بلا مبالاة: «ولماذا؟».

راح يعبث بسكين الطعام في الطبق، ثم قال: «أريدك أن تعلمي أن . . الليلة الماضية . . .».

- ماذا؟

تسارعت خفقات قلبها، ولم تستطع مداومة الجلوس، فوقفت و وضعت

بعض الوقود في الموقد، بينما تمتم زاك من خلفها: «أرجو ألا تكوني قد أسأت فهم ما حصل».

ابتسمت وهي تدرك أن ما فكرت به حول انجذابه إليها صحيح، حتى ولو لم يدرك هو ذلك. وقال متابعاً: «قلت لك قبل ذلك، إنك سترحلين. .».

فقالت بهدوء وهي تبتسم له: «نعم، بعد شهر».

بدا عليه الارتباك، وسألها: «أليس لديك مانع في أن. . ؟ أخبرك بأن ما حدث بيننا الليلة الماضية. . . هو فقط. . .».

فقاطعته: «مجرد عناق عابر».

بدا مجروح الكرامة للحظة، وأسبل أهدابه ليخفي الألم في عينيه. أما هي فسرّتها خيبة أمله هذه.

وقال: «معظم النساء تُجرح كرامتهن».

- آه، لكنني لست (معظم النساء).

وعادت إلى مقعدها وهي أكثر اقتناعاً بأن شيئاً جوهرياً قد حدث له، هو أيضاً. لمعت عيناها وهي تمد ذراعيها باتجاه النار شاعرة، دون أن تنظر إليه، بجذبه لأنفاسه. وأدركت أنه يشعر بالانجذاب نحوها فقالت بمكر وهي تحرك ساقيها وتمدهما باتجاه الموقد لتدفئهما: «زاك. أنا أعلم ما ستقوله، لقد عقدنا اتفاقية. . . وما حدث بيننا الليلة الماضية. . .».

وهنا أصبح صوتها ناعماً: «. . . كان ذلك رائعاً، كأنه عناق بين حبيبين».

وشعرت بجسدها يذوب وهي ترى عينيه تلتمعان بالزهو والشوق. أواه، كم تحبه! تابعت وهي ترتجف: «ولكن، لديّ حياة مستقلة، وأنا لا أطلب شيئاً من أحد، ولا ألتصق بالآخرين. إن كرامتي تمنعني من ذلك. فلسفتي هي أن أقبل يومي كما هو وأن أعيشه بكل طاقتي وإمكانياتي».

وتمتم زاك: «هذا حسن».

لكن ذاك لم يبد حسناً على الإطلاق، فقد بدا عليه التوتر. فسألته برقة: «هل من خطب؟».

- صداع. ينتابني دوماً.

- هذا لا يدهشني.

نظر إليها بحدة: «ماذا تعنين؟».

- أنت تقسو على نفسك. إنك لا تمنح نفسك أوقات فراغ كافية. الجسم بحاجة إلى راحة، إلى السلام والهدوء، وإلى تجديد نفسه».

ونهضت عن الكرسي: «أين تشعر بالألم؟».

- هنا.

وأشار بأصابعه من الجيوب الأنفية الممتدة من الحاجب حتى الصدغ.

جلست على ذراع كرسيه، ثم أخذت تدعك، برقّة، ما بين حاجبيه.

وبعد مقاومة قليلة، مال إلى الخلف متنهداً: «هذا حسن».

فقالت كاترين بلطف: «ابق مكانك. سأقوم بذلك بشكل صحيح».

تعمدت الإبطاء في حركاتها، مضيفة اللافندر إلى زيت التدليك. وراحت تدلك جبينه، سامحة للأنغام الموسيقية المنخفضة بأن تهدىء من أعصابه.

تملكتها الدهشة عندما تملكها التوتر. لكنها كانت متلهفة إلى أن تخلصه من صداعه. أحضرت منشفتين دافئتين ووضعت إحداهما تحت رأسه وأخرى حول كتفيه. فكرت أن من الأفضل أن يتمدد على كرسي العلاج المستطيل، لكن هذه خطوة كبرى حالياً.

وضعت كل ما لديها من حب وحنان في حركاتها وهي تدلك جبهته. كان التوتر هناك كبيراً، لكنه أخذ يخف حتى رأت جسمه بأكمله يلين شيئاً فشيئاً.

تمتم زاك يقول: «أشعر بتحسن».

ومع ذلك بقي، دون وعي منه، يقاوم لمساتها.

أخذت تدلك جمجمته بحركات منسجمة متابعة. وما هي إلا دقائق، حتى تبددت الخطوط عن وجهه بعد أن ارتاحت عضلاته. شعرت كاترين برهبة إزاء التغير الذي طرأ عليه، وسألته بحنان: «ما رأيك؟».

فتح عينيه ببطء ونظر إليها مباشرة برضىً بالغ: «رائع».

رفعت المنشفتين وغسلت يديها، ثم عادت إليه. وتملكتها البهجة وهو

www.elromansia.com

يجذبها إليه قائلاً : «شكراً» .

– بكل سرور .

راح يملّس على ذراعها ، وما لبث أن ضمها إلى صدره معانقاً . واستندت هي إليه راضية . وبعد قليل ، قال : «لا ارتباطات؟» .

همست صادقة : «لا ارتباطات» .

فكرت حالمة بينما عناقه يزداد عمقاً ، بأن من حق أي شخصين أن يتحابا بحرية . فهي نفسها تكره سيطرة الرجل عليها ، وهكذا ، لم تكن تنوي أن تجعل زاك ملكاً لها .

استمر عناقهما ملياً بالشغف والحنان والعواطف المحمومة .

– الشاي . . . برد .

تمتمت بذلك بعد أن هدأت مشاعرها إثر عناقهما المحموم .

– تعالي إلى المنزل الليلة ، سأطهو عشاء .

قال هذا بصوت أبح وهو يلامس خصلات شعرها ويلفها على إصبعه .

أحاطت وجهه بيديها وهي تبتسم بسعادة بالغة : «سأحضر» .

ولم تستطع أن تقاوم سحر ابتسامته ، فاندست بكتفه . وضمّها زاك إليه بحنان كبير .

في منزله ، ساعدته على تجهيز العشاء ، شاعرة وكأنها تسير فوق السحاب . لم تشعر بمثل هذه السعادة في حياتها قط من قبل . تمتم زاك وهو يشعث شعرها : «يجب أن أشتغل غداً» .

– طبعاً ، وكذلك أنا .

– هل ستفرغين من العمل عندما يحين موعد تناول الشاي؟

أدارت كاترين عينيها قائلة : «أنت تلاحق فطائري مرة أخرى» .

بدت السخرية على فمه وقال : «ربما سأحتاج إلى تدليك أيضاً» .

– لك ذلك .

وفكرت وهي تتفحص المعكرونة ، أنها ستكون سعيدة بذلك هي أيضاً .

١٠ - نهر من الذهب

بدا كأن الزمن لا يتحرك . فقد مرت الأيام ببطء ، متوهجة . كانا يعيشان في سعادة بالغة مع بعضهما البعض . يشتغلان في النهار كالعادة ، ثم يتقابلان كل مساء .

ومع كل صباح ، كانت كاترين تشعر وكأنها اغتسلت بأشعة الشمس . إلا أن الجو ظل رطباً بشكل غير عادي ، وهكذا تخلت عن فكرة إعادة طلاء المركب من الخارج ، وتقبلت خشونة الباب الخشبي .

كان سام يحضر كل عطلة أسبوعية ، حيث يقضي الثلاثة معاً أياماً رائعة ، ثم يأخذون باللعب كأطفال صغار . وعندما يصفو الجو أحياناً ، يذهبون لتفحص المستنقع بحثاً عن حيوان السمندل ، ويراقبون الطيور في أعشاشها وهي تعمل دون توقف لتطعم صغارها .

كما أنهم أضافوا أشياء عجيبة الشكل إلى الكوخ . شعرت كاترين بالابتهاج وهي ترى كيف أخذوا ، هم الثلاثة ، يعملون كصبية مجانين على تحويله إلى مبنى هجين يتراوح بين نموذج لبيت فخم وقصر حقير . آخر مظاهر حماسهم دفعتهم إلى التجول في الأسواق المحلية والمعارض ، والتي انتهت بعودتهم حاملين تحفاً مطلية بفضة زائفة ، وصوراً لقطط ترتدي أزياء فيكتورية ، وتمثالاً بدا من البشاعة بحيث عجبوا لسبب صنعه وبيعه . عندما نظموا مشترياتهم الجديدة ، وقفوا بعيداً ينظرون بإعجاب ورهبة .

قالت كاترين : «أليست مخيفة؟» .

فقال زاك ضاحكاً : «إنها غريبة بشكل خيالي» .

أما سام فهتف والزهو والسعادة ينضحان من كلامه : «لا أحد لديه كوخ

www.elromancia.com

كهذا!».

أكّد له زاك: «بإمكانك أن تكون واثقاً من هذا».

وانهاروا جميعاً ضاحكين على السجادة العجمية الزائفة، ذات الخيوط الصفراء والخضراء. وتنهدت كاترين سعيدة عندما استطاعت أن تتحدث مرة أخرى: «هذا هو الفردوس».

مدّ زاك يده يشدّ على يدها، وهو مستلقٍ على ظهره بوضع تبدو له فيه الثريا البلاستيكية بكل بهجتها. وقال متأوهاً: «أرجو أن لا يكون هذا هو الفردوس!».

وجعلهم كلامه يضحكون من جديد. لم يكن زاك قد ضحك في حياته كما هو الآن.

هذا الضحك ساعده على الاسترخاء قليلاً كل يوم ما زاد في سعادتها أكثر من أي شيء آخر. وأدركت أنها وقعت في غرامه رأساً على عقب.

كان يوم الأحد غائماً، عندما جلسوا جميعاً في الحديقة ينظرون إلى الطيور وهي تتسابق فوق رؤوسهم. راحت كاترين تشرح لهما كيف أن الطيور تنام فترات قصيرة على جناحها. لكنها نادراً ما تستقر.

افتتن سام بذلك، وراح يكتب هذه المعلومات في دفتر عن الطبيعة دأب على حمله معه. قالت له: «كلها جاءت من أفريقيا، وهي تذهب إلى هناك أثناء فصل الشتاء، إنها طيور ذكية».

فقال سام: «أجنحتها مخططة جيلة».

فأجابت: «هذا صحيح، إنها بشكل السيف المعقوف».

فقال بلهفة: «آه، نعم، رأيت ذلك في أفلام الكرتون، لِمَ لم نر طيور السنونو أمس؟ هل وصلت لتوّها؟».

– كانت تلك الطيور هنا الأسبوع الماضي، أما الآن فهي منتشرة في كل مكان لأن الجو غائم، كما أن الوقت متأخر. ثم إن الجوّ مليء بذباب ضئيل الحجم، وهذا ما يجعلها نشيطة للغاية. إنها تهجم هنا وهناك فاتحة مناقيرها لكي تبتلع الذباب الطائر.

– يا إلهي، لم أكن أعلم هذا!

كان هذا صوتاً نسائياً دافئاً.

– ماما!

وقفز سام ليعانق أمه، بينما التفت زاك وكاترين إليها. وعندما عانق زاك زوجته السابقة بمودّة بالغة وسألها عن حالها، قفز قلب كاترين بين ضلوعها.

نظرت المرأة إليه بعجب و هي تتساءل: «أنا بخير. ماذا حدث لمظهرك المتوتر؟».

فقال سام بلهفة: «بابا لا يشتغل عندما أكون هنا».

فقالت مداعبة وهي تنظر إلى كاترين مفكرة: «هذا أولاً».

فقال زاك يعرفهما ببعضهما البعض: «هذه كاترين لي، هذه كيت يا كاترين، كما لا بد تكهنت».

فقالت كاترين بحذر: «أهلاً وسهلاً».

بدت ابتسامة كيت ودوداً، فبددت كل ارتباك. وما لبثت أن قالت ضاحكة: «لم أسمع شيئاً سوى (قالت كاترين) و(تظن كاترين) وذلك طوال الأسابيع الماضية».

فضحكت كاترين بصوت خافت: «آه، كم هذا مربك».

– لا، بل أنا أحسدك حقاً على أشياء تقومين بها. هل يمكنني أن أرى كوخه الشهير؟

هتف سام وهو يجرّ أمه، فنظر زاك وكاترين إلى بعضهما البعض ثم تبعاهما.

شعرت كاترين بالمودة تجاه كيت. ورغم أن ملابسها كانت عادية، إلا أنها بدت ثمينة بشكل واضح. البذلة الكتانية والصدرة الكشمير ذات اللون البني أبرزت شعرها الأشقر الرائع المقصوص قصيراً، والذي بدا متأرجحاً حول وجهها. كانت تتصرف مع ابنها بعطف، وتصغي إلى ما يقوله دون غطرسة أو تعليقات غبية.

لكن موقفها من زاك، وموقفه منها، أقلقا كاترين. كانا يداعبان بعضهما البعض، ويتلامسان، ويتبادلان نظرات يتبادلها المتزوجون عندما يبدو من

أولادهما أي تصرف هزلي أو حلو أو ظريف.

ابتدأ قلبها يخفق بقوة وهي تفكر في أنهما ما زالا متعلقين ببعضهما البعض. حاولت أن تشعر بالسرور لأجل زاك، محدثة نفسها بأن الزوجين المطلقين إذا بقيت صلتهما ببعضهما البعض جيدة، يبقى أولادهما دوماً رباطاً بينهما. وكانت كيت لطيفة بشكل لا يمكن إنكاره.

لماذا تطلقا؟ أتراهما ما زالا متحابين قليلاً؟ إذا كانا قد تطلقا بسبب برنامج عمل زاك المحموم القلق، فهل ستعود كيت إلى حبها الأول له بعد أن تعلّم الآن الاسترخاء وعاد إلى إنسانيته؟

شعرت كاترين بالبرودة تغلّف قلبها، هناك أمور كثيرة تجمع بين كيت وزاك. وفجأة، فقدت ثقتها بمستقبلها.

ذهبوا جميعاً لرؤية المركب، وكانت الجلبة التي أحدثتها كيت معقولة تماماً. وبدا زاك متلهفاً لإطلاع زوجته السابقة على كيفية عمل كل شيء. ثم أخذ الإثنان يتبادلان الحديث بطريقة ودية.

شعرت كاترين بالغربة نوعاً ما، فتركتهما وجلست مع سام تراقب غروب الشمس، وانعكاس أشعتها على النهر الذي تحول إلى سائل ذهبي.

- هو ذا سام. كنت أبحث عنك. دعانا بابا إلى المنزل لنتناول شراباً.

فقال زاك بهدوء: «وأنت أيضاً يا كاترين».

قالت شاعرة بارتباك: «أظنني سأبقى هنا، لا أريد أن أتطفل».

فقال باسماً: «بل أصر عليك بالمجيء معنا. أرجوك».

وعندما أضاف سام وكيت رجاءهما، لم يعد أمامها خيار. تكوّرت كيت في مقعد بذراعين في غرفة الجلوس، وكأنها في بيتها. بينما جلست كاترين على حافة أريكة فيكتورية شاعرة بتوتر على غير عادتها. أما سام فجلس عند قدمي كاترين، مستغرقاً في كتابة ملاحظاته عن الطبيعة. وأحياناً كان يتفحص معها بعض النقاط.

بعد ساعة أمضتها كاترين وهي تجيب على أسئلة كيت عن نفسها، شعرت بالإرهاق. وتساءلت عما جعلها تصل إلى هذا الحدّ من الانهيار. وأجابت

بقدر ما أمكنها من الصبر: «لا. لا أشعر بالوحدة على المركب».

فقال سام بسعادة: «أنت لا تشعرين بذلك طبعاً لأننا معك».

- آه!

وغضنت أنفها تصنع الاشمئزاز، فأخذ سام يتعارك معها، وانتهيا ضاحكين متكوّمين على الأرض. ثم انتبهت كاترين إلى برودة ثلجية تنبعث من كيت فأسرعت بالعودة إلى مقعدها.

عاد سام يعانقها، وبعد لحظة تردد، وضعت ذراعها حول الصبي. قد لا تحب كيت أن يشعر ابنها بالعطف نحو امرأة أخرى، لكن كاترين لن تتظاهر بالبرودة نحوه إكراماً لكيت. وأضافت متأخرة، رداً على سؤال: «لديّ الكثير من الأصدقاء».

فقال سام معجباً: «بل أكوام. هناك الفتيان عند النهر الذين يعيشون في مراكب ضيقة هم أيضاً... كل شخص في القرية.. كل شخص يحب كاترين».

بدت التسلية على وجه زاك، وتراقصت عيناه بمرح وهو ينظر إلى كاترين ويقول: «لديها شعبية كبيرة».

فقالت لها كيت بابتسامة لم تصل إلى عينيها: «لا بد أن لديك سلسلة من المعجبين الشباب إذن؟».

فقال سام وهو يضحك: «أنا فقط».

ولحسن الحظ، حوّل بقوله هذا الانتباه عن جمود زاك المفاجىء.

- هيه... عليك أن تكبر قليلاً قبل أن أسير بجانبك في الكنيسة لنتزوج.

قالت كاترين هذا مداعبة، فضحك سام: «نعم، لأننا سنبدو مغفلين قليلاً».

لكن كيت عادت تلح بقولها بشيء من التوتر: «لديك إذن معجبون كثيرون؟».

بينما قال سام بجد: «كل الفتيان يريدون أن يتزوجوها، قلت لهم إنني أريد أن أتزوجها عندما أكبر، فقالوا لي قف في الصف أيها الصبي الضخم».

ضحك زاك و كاترين التي احتضنت الصبي النحيل الرزين، وتمتمت كيت وهي تشد على ركبة زاك: «يا إلهي. لدينا هنا ماتا هاري حقيقية!».

فقال زاك وقد بدا عليه الغيظ: «أظن أن سام يبالغ في مدى اتساع علاقات كاترين».

فقالت كيت بصوت زائف العذوبة: «بعض الذين يعيشون في حاشية المجتمع لهم تقديرات وطرق مختلفة في النظر إلى العلاقات، عن نظرة المحافظين الرجعيين مثلي ومثلك. أنت تؤمنين بالحرية لتفعلي ما يسرّك، أليس كذلك يا كاترين؟ أنا أتفهم مبلغ المتعة في ذلك».

قالت كاترين مقطبة الجبين: «نعم، أنا أحب حريتي».

فالتفتت كيت إلى زاك بانتصار: «هكذا هي إذن، امرأة حرة طليقة. الطريق المفتوح... أو، في هذه الحالة، النهر المفتوح... لا همّ تحمله في العالم. آه، لا بد أن عدم الشعور بالمسؤولية هو شيء رائع وكذلك عدم الالتزام بالطرق الكئيبة التي يتوقعها المجتمع من المرأة. أنت امرأة إلى النهاية، أرى ذلك ممتعاً جداً».

- أرجو أنك لا تقصدين أن كاترين قد تكون...

ونظر إلى سام مفكراً في ما قاله...

- كلا بالطبع! كنت أتحدث بشكل عام، لكنني واثقة من أن الفتيان حسنو الأخلاق....

هتفت كيت بذلك مبدية الذعر، ولكن بدا واضحاً أن هذا ما تعنيه.

وتابعت: «بالرغم من مظهرهم».

فقالت كاترين متعمدة أن تغير الموضوع: «ليس لدى أولئك الفتيان من المال ما يسمح لهم بالمظهر الأنيق. وهم خليط من الناس، من ناحية المهن و الأعمار... من الثانية والعشرين حتى الثالثة والخمسين....».

فسألتها كيت بنعومة: «المهن؟».

- آه، نعم، هناك النجارون والدهانون والسمكريون وصنّاع الفضة، وكانوا عطوفين عليّ جداً. وأظن أن السبب في ذلك هو أننا مجموعة متشابهة،

نعمل جميعاً في المراكب».

فأومأت كيت: «من الطبقة الاجتماعية نفسها».

فقالت كاترين: «نحن لا نجري وراء المال لقيمته الذاتية».

ورأت زاك يقطب جبينه، فقررت أن تضع حداً لهذا الاستجواب فقالت: «غداً، جميعهم سيذهبون إلى معرض المراكب السنوي الذي يبعد من هنا قليلاً، وسأفتقدهم. أما الآن، عليّ أن أذهب حقاً».

ونهضت واقفة، فصاح سام محتجاً: «آه، لا تذهبي!».

عانقته وقبلت خده: «هناك من يحتاجني، سأراك الأسبوع القادم. سنتفحص الأعشاب الضارة وندهن المركب».

والتفتت إلى كيت بابتسامة متفهمة، إذ من الصعب على المرأة أن ترى ابنها مولعاً بامرأة أخرى. قالت بحرارة وهي تمدّ لها يدها: «وداعاً، أنا مسرورة بمعرفتك. سام يتحدث عنك كثيراً».

تهلل وجه كيت بالابتسام فرقّ قلب كاترين لها. كانت المرأة تحب ابنها حقاً. وقالت مازحة: «أحقاً؟ لا تصدقي كل ما يقوله، وداعاً يا كاترين».

فقال زاك: «سأودعك إلى الخارج».

ركض سام معهما، وعند الباب، التفتت كاترين فجأة، فرأت كيت تنظر إليهم بتوتر وكدر، فعضت شفتها متمنية لو أن شعور كيت نحو عطف ابنها كان أكثر كرماً.

ونادت كيت بصوت مرتفع: «سام! عد وأرني دفترك عن الطبيعة».

بدا الصبي ممزقاً للحظة، ثم بدفعة رقيقة من كاترين، عاد إلى أمه. وفي القاعة تمتم زاك يقول: «أنا مسرور لتعرّفك إلى كيت».

وفكرت هي بأن هذا صحيح، فقد تعرفت أكثر إلى زاك أيضاً، قدر الإمكان. رؤيتها لكيت أثارت الشكوك في رأسها. على أي حال، من الأفضل أن تتملكهاهذه الشكوك الآن وليس فيما بعد.

وقررت أن تطرح الأسئلة التي كانت تحترق في صدرها: «أين تعرفت إليها، في البداية؟».

www.elromancia.com

- نحن الإثنان نعمل في الشركة المالية نفسها . ثمة أمور كثيرة تجمع بيننا .

وأدركت، بأسى، أنها لم تكن تريد أن تسمع منه ذلك .

- في هذه الحالة . . . لماذا تطلقتما إذن؟

فهز كتفيه قائلاً : «إنه ذنبي أنا كلياً . لقد دمّرني قولها لي إنها تريدني أن أرحل . فقد كنت أظن أنني على صواب في كل ما أقوم به» .

- ألم تكن على صواب؟

- كلا، في الواقع . لقد انطلقت في الحياة بطموحات بالغة وأهداف محددة . وهكذا اندفعت بعنف لاكتساب ذلك، ولأكفل معيشة أسرتي جيداً . ثم، ما إن ترسخت حياتي العملية، إذا بحياتي الشخصية تنهار . سئمت كيت من كونها التالية في حياتي بعد عملي، وأنا ابتدأت الآن أرى أين كنت مخطئاً . القضية كلها تتعلق بالتوازن، أليس كذلك؟

قال هذا بأسف، فاستطاعت أن تبتسم بضعف، ثم شدّت على يده وانتعلت جزمتها . في تلك اللحظة، نادت كيت زاك بحدة، فأسرعت كاترين بالخروج . التفت لتلوّح بيدها مودعة، لكنه كان قد عاد إلى زوجته السابقة، وانغلق الباب خلفه بحزم .

تنهدت كاترين . . . يبدو أن جهودها لتري زاك طريقاً في الحياة أقل ضغطاً، قد أثمر فائدة غير متوقعة بالنسبة إلى كيت ولا بد أنها تفكر الآن في أن زاك عاد، مرة أخرى، ذلك الرجل الذي أحبته في البداية .

شعرت بكآبة بالغة، وأخذت تتسكع بالمركب، متوقعة أن تسمع صوت سيارة كيت متوجهة مع سام إلى بيتهما في لندن .

بعد ساعتين من إرهافها السمع إلى كل ناحية، دون أن تسمع مثل هذا الصوت، قررت أنها عانت بما فيه الكفاية . ستذهب إلى مقهى، وترفه عن نفسها مع بعض الأصدقاء .

عندما سارت على الجسر باتجاه البلدة، كانت السيارة ما تزال موجودة . وعندما عادت في منتصف الليل كانت ما تزال موجودة، وذلك بعد قضائها ساعة في الحديث والثرثرة في منزل صديقة لها .

وفي الصباح، كانت السيارة ما تزال موجودة . لم تقصد الذهاب لتراها، لكن شيئاً جعلها تقوم بذلك . وعندما رأت السيارة ما تزال واقفة في المكان نفسه بالضبط، هبط قلبها . مضت لحظة لم تستطع أن تتنفس فيها وهي تفكر في أنهما أمضيا الليلة معاً . بذلت جهداً بالغاً كي تقاوم شعور الغيرة الكريهة، ثم عادت إلى عملها شاعرة أنها بحاجة ماسة إلى أصدقائها .

كان لديها عذر، رغم أنها ليست بحاجة إلى ذلك . وهو أن الشهر الذي كان مسموحاً لها به هنا قد انتهى فعلاً، وليس ثمة احتمال الآن بعد أن عاد زاك وكيت إلى بعضهما البعض، في أن يسمح لها بالبقاء . وهكذا عليها أن تذهب لتودع الفتيان قبل أن يقوموا برحلتهم .

أخذ زاك ينظر إلى سيارة كيت وهي تندفع في طريقها مغادرة، بدا عليه التأثر وهو يرى سام مطلاً من النافذة يلوّح له بيده بلهفة . فكّر في أن عليه أن يركز اهتمامه على ابنه، لأن احتياجاته هي الأهم .

أبطأت السيارة، ورأى ذراعي سام وقد عادتا تلوّحان بطاقة متجددة . لكن، هذه المرة، لم يكن التلويح لأجله . ورأى زاك مجموعة من المراكب راسية عند الضفة كانت مركز انتباه سام .

تصلب جسده وهو يرى فتاة رشيقة واقفة على مركب ترد على تحية سام . وقفت كاترين لحظة تصافح توم الجعد الشعر صاحب مركب «قوس قزح»، ثم أخذ الإثنان ينظران إلى سيارة كيت تتوارى خلف المنعطف .

ثم جمد زاك وشعر بدمه يغلي فقد ألقت كاترين بنفسها بين ذراعي توم . كانا يقفان متقاربين جداً، وبدا كأن توم يعانقها . وماهي إلا لحظة حتى اختفيا داخل القمرة وقد التصقا ببعضهما البعض بلحمة لا تنفصم .

لم يشعر بمثل هذه الغيرة قط من قبل . مزقت الغيرة أحشاءه بشراسة لم يستطع معها أن يتنفس . راح جسمه يرتجف وقد اكتسحه غضب هائل، ولم يمنعه من الاندفاع نحو توم ليلقي به في النهر إلا احترامه لنفسه .

ألهذا السبب لم تشأ كاترين أن تجعل علاقتهما ملتزمة؟ لتتمكن من العبث مع من تريد؟ إن طريقة حياتها ليست من شأنه . لكن ذلك يؤلمه إلى حد بالغ، ما

جعله يتصور أن الغصة في حلقه والدموع في عينيه هما نتيجة خيانة كاترين وليس بسبب الرياح التي كانت الآن تكدّر مياه النهر.

وفجأة، استدار متعثراً، لا يكاد يرى طريقه، قد شعر أنه مخدر الجسم. ثم عاد إلى المنزل حيث وقف شاعراً بالضياع كلياً، وبالحسرة على نفسه بشكل غبي. لكن غضبه على كاترين كان جهنمياً.

بعد ذلك بوقت قصير، غادر إلى مركز عمله في لندن. هذا كل ما استطاع أن يفكر في القيام به بعد عبث كاترين بمشاعره.

كانت كيت قد اتصلت به لتطمئنه بأنها وصلت مع سام إلى البيت بسلام. لم تطاوعه نفسه بأن يخبر كيت أن الحق كان معها في ما قالته عن كاترين، وهو أن الشخص لا يمكنه أن يعيش حراً في حياته دون أن تتسرب هذه الحرية إلى علاقاته العاطفية.

كان عليه أن يعترف بأن كاترين لم تكن، منذ البداية، مهتمة بعلاقتهما. إذ على الرغم من علمها بأنها ستغادر الجزيرة بعد أسبوع، لم تمانع في أن تكون علاقتهما مؤقتة.

لن تعرف أبداً أنه كان سيعرض عليها أن تكون علاقتهما أكثر دواماً. فقد أنقذه حديثه الطويل مع كيت من اقتراف غلطة حمقاء، كان سيندم عليها بقية حياته.

بغضب بالغ، أنهى أول مخابرة. لم يستطع التركيز على عمله في ذلك اليوم. إن كاترين فراشة، كما وصفتها كيت، ولن تمكث في مكان واحد فترة طويلة. فذلك ليس من طبعها. المرء لا يمكن أن يروّض مخلوقاً نصف متوحش أو يغيّر طرقه في الحياة. ما أغباه وهو يظن العكس!

راح يوبخ نفسه لسهولة انخداعه. طوال حياته كان بسيطاً ساذجاً، لكن كاترين رقّقت من طباعه، وقدّمت إليه الكثير من الأوقات السعيدة.

لن يدع فقدانه لكاترين الساحرة المتقلبة يدمره. غاظه أن العمل لم يجلب له سوى القليل من السرور. كان مشتت الذهن إلى حد أنه كان يتوقف في منتصف الجملة التي يقولها أحياناً. فيشعر بالغيظ، خصوصاً عندما يكمل الجملة عنه

موظف رصين.

وغالباً ما كان ذهنه يقفز إلى الجزيرة بسكوتها وطيور الغطاس الصغير المسلية، وإلى امرأة انسدل شعرها حول كتفيها وهي تمدّ ذراعيها إليه، مغمغمة.

- زاك، هل أنت معي؟

طرف بعينيه وهو يرى أمامه الشاب الفتيّ الحاد العينين في بذلة العمل النظامية، وفي وقفة تنمّ عن الطموح العنيف. هكذا كان هو، منذ عشر سنوات، عندما كان يعمل منذ السابعة صباحاً حتى الحادية عشرة ليلاً. هل سينتهي هذا الشاب بزواج منهار مثله، هو أيضاً؟

قطب جبينه وهو يدرك أن كل من حول المائدة ينظر إليه. وأجاب مزمجراً:

«وأين أنا إذن؟ قل ما عندك».

أين إذن؟ في جزيرة... برفقة امرأة مخادعة لا تعرف معنى الالتزام، ولا فكرة لديها أنها قد تؤلم الناس إذا هي عرضت محاسنها في الأنحاء. كان يعلم أنه يقدس الأخلاق، فقد ورث ذلك عن والديه. لقد تهافتت عليه النساء منذ طلاقه، لكنه لم يقم علاقة مع أي منهن.

كان يريد زوجة محبة تتقبل سام وكأنه ابنها، وتنجب له مزيداً من الأولاد أراد بيتاً مريحاً حيث تنتشر رائحة الخبز الطازج، وضحكات أولاده تقدم إليه الجنة على الأرض.

كاترين لا يمكنها أن تملأ هذا الدور أبداً... وأومأ باستحسان لذلك الشاب المتحمس، وانفض الاجتماع بين حفيف الأوراق وجلبة أجهزة الكمبيوتر وهي تقفل. كان موظفوه يحترمونه، لكنهم لا يعرفون أنه عاش لتوّه علاقة، خرج منها بجرح معنوي قاسٍ للغاية!

مرّ الأسبوع، كم كره زاك أن يجرّ نفسه خلال الجموع كل صباح متوجهاً إلى العمل. تملكه الاستياء والضيق من اتصالات كيت المتواصلة. ودفعه هذا إلى العمل بعنف، كارهاً كل دقيقة من النهار. وكلما نظر إلى المطر المنهمر على أرصفة لندن، كان يتساءل عما يفعله هنا. ثم يشعر بالحنين إلى موطنه... إلى

جزيرته الرائعة .

وعندما عاد إلى بيته الفخم في الجزيرة، لقضاء العطلة الأسبوعية مع سام، كان قد أصبح سيء الطباع. ما كان بحاجة إليه هو تدليك... دون أي ارتباطات.

لم يتحسن مزاجه عندما تلقى اتصالاً من كيت، تقول فيه إن سام لديه التهاب في الأمعاء، وسيبقى في البيت. ثم سألته: «لماذا لا تأتي أنت وتبقى معنا أثناء العطلة الأسبوعية».

فقال بأسف بالغ: «من الأفضل ألاّ أفعل، ذلك يعدي بالملامسة، أليس كذلك؟ لا أريد المغامرة في نقل عدوى كهذه إلى سكرتيرتي لأنها حبلى. سأتصل به وأتحدث معه».

فتنهدت كيت: «سيخيب أمل سام، وكذلك أنا. بالمناسبة، كنت أتساءل من أين جاءته العدوى، هل حدث لك أو لكاترين أي اضطراب في المعدة؟».

– لا أعرف شيئاً عنها فقد كنت في لندن طوال الأسبوع، أما أنا فقد كانت صحتي جيدة.

تمتم بذلك منزعجاً لأنه حُرم من العطلة الأسبوعية التي كان ينتظرها بلهفة.

فقالت كيت بابتهاج: «آه، حسناً. نظراً لطريقة حياتها، أظنها اعتادت على الجراثيم».

وأقفلت الخط قبل أن يذكرها بأن كاترين، مهما كانت نوعيتها الخلقية، إلا أن مركبها بالغ النظافة والنظام.

أمضى وقته متردداً بين أن يرحل أو يبقى. وما لبث أن سدّ شقاً كان ينضح ماء في غرفة الأجهزة الكهربائية. كان صوت انهمار المطر عالياً في الخارج، وربما هذا يعود إلى الصمت الذي يسود المنزل الخالي كما كان ضجيج خرير النهر أشبه بصوت شلالات نياغارا. ساد الظلام في الخارج فلم يسمح له بأن يخرج ليرى أحوال الطبيعة.

جلس في غرفة الجلوس يشرب فنجان القهوة بعد العشاء، بعد أن اكتفى بوجبة بسيطة لا تشبه في شيء الوجبات الدسمة الشهية التي تعدها كاترين

بمستواها العالي في الطهو. من المؤسف أنها لا تتمتع بالمستوى العالي نفسه بالنسبة إلى أخلاقها.

رفع نظره إلى النافذة ينظر منها عابساً، إلى المطر الغزير، فرأى ضوءاً متأرجحاً في أنحاء الحديقة. قفز واقفاً وقلبه يخفق بعنف. وعندما وصل إلى النافذة ونظر منها، رأى إنساناً غير واضح المعالم بيده مصباح كهربائي يسير بقرب أحد مباني المنزل الخارجية.

توتر فمه. لا بد أنهم فتيان يبحثون عن طعام... كان عليه أن يوزع الأنوار حول المنزل ويضع جهاز الإنذار. كانت كاترين قد خففت من ارتيابه بأولئك الفتيان، ولهذا لم يرسل موظفاً لوضع أجهزة إنذار.

ومع ذلك، لم يكن يظن أن أولئك الفتيان يعرفون تماماً قيمة الممتلكات كما يعرفها هو، لذا لا يمكنهم أن يأخذوا أي شيء باعتباره قليل الأهمية والثمن. إلا إذا كان ثمة لص حقيقي.

تصلب جسده، ثم سار إلى المطبخ عابساً ولبس حذاءه المطاطي، وإذا به ينتفض بعنف لسماعه طرقاً عنيفاً على الباب. بدا له وكأن شخصاً ما يحاول أن يدير مقبض الباب. وفكر أن اللصوص لا يعلنون عن حضورهم. ومع ذلك أخذ معه سكيناً كبيراً، ثم فتح الباب: وإذا بشخص صغير الجسم، ملطخ بالأوحال والأقذار، يندفع إلى الداخل.

– كاترين!

ألقى بالسكين من يده، وأمسك بها فإذا بيديه تعتصران الماء من كنزتها المشبعة بالماء. شعر بغضب غريب: «كيف تخرجين دون معطف أيتها الحمقاء؟».

فصرخت بانفعال بالغ والذعر بادٍ في وجهها: «آه، إخرس يا زاك! أنا بحاجة إلى حبل».

– حبل؟ ولماذا بحق السماء؟

جذبت نفساً مرتجفاً، وصرخت نائحة: «لقد غرق مركبي».

١١ - لن يراها!

نظر إليها مذهولاً لجزء من الثانية، ثم دفعها على الكرسي بخشونة: «اجلسي ولا تتحركي!».

صعد إلى الطابق العلوي مجتازاً كل ثلاث درجات بخطوة واحدة تناول من الخزانة منشفتين كبيرتين، وعاد إلى الطابق السفلي بسرعة فائقة.

- اخلعي ملابسك، ونشفي جسدك بهاتين . . .

فصرخت كاترين بألم وهي تقفز وتخبط الطاولة بيأس بالغ: «كلا! ألم تسمعني؟ لقد غرق مركبي!».

- وماذا بإمكانك أن تفعلي لأجله؟ تربطيه ثم تجريه إلى الشاطىء؟

فصرخت وجسدها يهتز: «أثبته كي لا يجرفه التيار».

- لن تفعلي شيئاً كهذا. إخلعي ثيابك المبتلة هذه، ثم خذي حماماً ساخناً وابحثي في خزانتي حتى تجدي ما يناسبك من الملابس. أنا سأهتم بذلك المركب اللعين.

- ولكن . . .

-اعقلي يا كاترين. إننا نضيّع الوقت هنا وكل ثانية بحساب. أنا أقوى منك وأعلم ما يكفي عن المراكب لكي أتدبر الأمر. والآن، افعلي ما أقوله لك.

ولم ينتظر منها جدلاً، بل ارتدى معطفه الذي لا ينفذ منه الماء، ثم التقط مصباحه اليدوي القوي. تذكر أن هناك حبلاً لقطر سيارة أو قارب في حظيرة السيارات، كان قد رآه عندما كانوا ينظرون إلى طيور السنونو وهي تبني أعشاشها هناك.

كان المطر قد توقف عندما وصل زاك إلى ضفة النهر والحبل في يده. رأى أن

مياه النهر قد ارتفعت حوالي سبع أقدام على الأقل. وهناك، كان مركب كاترين منحسراً بين ضفتي النهر لا يبدو منه سوى خمس أقدام على الأكثر، أما الباقي فمغمور تحت الماء. كان المركب مشدوداً إلى الأسفل بزاوية خطرة بحبل مقدمة المركب الذي ما زال متصلاً بالمرساة في مكان ما تحت مياه النهر المتدفقة كالسيل.

أدهشه عدم اهتمام كاترين وعدم ملاحظتها اللذين جعلاها تغفل عن إرخاء حبال الرسو. ربما كانت مشغولة بأحد عشاقها . . .

تملكه غضب عنيف، فاضطر إلى إرغام نفسه على التركيز على مهمته. وهذا يعني السير مسافة طويلة باتجاه القرية، عابراً الأسلاك هناك، وذلك لكي يصل إلى الضفة الأخرى ليثبت المقدمة.

لكنه تدبر ذلك بأن جرف الضفة الموحلة، وثبّت الحبل وربطه بشكل متين إلى جذع شجرة قوي. ثم عاد إلى البيت بعد ساعة ونصف.

كانت كاترين تتدفأ قرب الموقد، وقد بدت نحيلة خائفة، وضائعة تقريباً داخل ملابسه الفضفاضة المؤلفة من أحدى قمصانه الدافئة وفوقها كنزة، وجوربين كانا يتحركان بشكل فضفاض حول قدميها. فشعر بهزة حنان مؤلمة في صدره.

قال عابساً وهو يخلع معطفه وجزمته، ثم يتناول المنشفة التي قدمتها إليه ليجفف شعره: «انتهى كل شيء. أرجو أن تكوني قد حضرت إبريقاً من الشاي».

- لقد فعلت وسكبت كوباً لي، كما أنني سأسكب كوباً لك. غبت طويلاً، فظننت . . . ظننت . . .

- لقد اجتزت النهر، فاستغرق ذلك وقتاً طويلاً.

قال هذا بحدة وهو يتناول منها كوب الشاي.

- ليتني جئت معك!

بدت عيناها كبيرتين مذعورتين، وفمها يرتجف. لا شك أنها كانت تبكي . . كل إنش من جسده الخائن تملكه الحنين إلى مواساتها، لكنه ذعر لهذه

www.elromance.com

الفكرة، ورشف من شرابه شاعراً بالانتعاش.

– لو ذهبت ما كنت لتستطيعين القيام بشيء، وكنت بحضورك ستعرقلين العمل. على الأقل أنت واثقة الآن من أن مركبك لن يذهب إلى أي مكان قبل الصباح. لن يمكننا أن نفعل شيئاً أكثر من ذلك. اجلسي، إكراماً لله، لأن مظهرك فظيع، وأخبريني بما حدث.

– لا أدري في الحقيقة، ما عدا أنني أظن أن أحدهم عبث بسدادات مصارف المياه. أول ما شعرت به هو اهتزاز المركب بعنف، ثم بدا وكأنه يرتفع.

– هذا مفهوم. فالنهر أعلى من مستواه العادي بعدة أقدام. أصبح كالماء أسفل شلالات نياغرا، فهو يغلي بالزبد الأبيض الذي يسيل في كل الاتجاهات. ولا أدري كيف استطعت النجاة.

ونظر إليها، وفجأة وجد نفسه يشكر الله على سلامتها. بينما ارتجفت هي قائلة: «مجرد حظ، لو أنني كنت في السرير».

لمس كتفها بخفة، فمنحته ابتسامة صغيرة شجاعة تركت تأثيرها على قلبه كما لو أنها انفجرت بالدموع. لكنه هدّأ نفسه كي لا ينخدع أو يضعف ولوّح بيده وكأن الأمر كله لم يكن سوى حدثاً بسيطاً: «المهم أنك هنا الآن، وفي أمان تام».

بدت عيناها فارغتين وهي تقول: «أعرف هذا. ولا أدري كيف.. لن أنسى ذلك أبداً».

حدّقت في الفراغ تستعيد اللحظة الهائلة، ووجد زاك نفسه متلهفاً إلى سماع التفاصيل. لكنه إذا سأل، قد يفضح اهتمامه بها. إنه يراها تكرر وتكرر ما تقوله، ويداها ترتجفان لا تستطيع التحكم بهما. ولم يعد يستطيع الصمت. قال بلهجة حيادية وهو يجذب كرسياً إلى أمامها: «عليك أن تخبريني بكل شيء. تذكري كل الأحداث، ولا تخفي عني شيئاً».

مرّت بيدها على شعرها الجعد وقالت: «مرّ الأمر بسرعة بالغة، حاولت أن أحتفظ بتوازني فيما راح المركب يميل. وخلال ثوانٍ كان هناك أصوات اندفاع عالية تسمع من الخارج. وكل الألواح بدت وكأنها... تئن».

وعضت شفتها.

توترت عضلات زاك، ثم شبك ذراعيه على صدره يمنعهما من أن تمتدا إليها لتواسيانها. وقال بهدوء: «استمري».

لكن كاترين كانت أكثر استغراقاً في الموضوع من أن تلاحظ حياده أو عدمه. وعادت تقول: «سمعت حفيف الحبال.. فتحت الباب المؤدي إلى مؤخرة المركب فرأيت جدراناً من الزبد فوقها. ولا أدري لماذا قفزت غريزياً نحو الضفة الأخرى وذلك في الوقت الذي دمّرت فيه المياه المندفعة مؤخرة المركب. ويبدو أن شجرة قد اقتلعت من الضفة، فوقفت متشبثة بها لأنقذ حياتي، بينما راحت المياه ترتفع حول قدمي. وأخذت أنظر إلى مركبي الذي راح التيار يجره. رأيت معظمه يختفي تحت الماء. مرّت عليّ فترة طويلة لم أستطع فيها الحراك، وأخذت أفكر بأنني سأغرق».

قالت الجملة الأخيرة باكية.

أخفى زاك ذعره، وقوّى نفسه كي لا يضمها بذراعيه القويتين. الكلمات وحدها تكفي، وإلا فإنه سيخلف الوعد الذي أخذه على نفسه بألا يتورط معها مرة أخرى.

– نعم، لكنك لم تغرقي. تلقيت صدمة فقط.

رأى أن أصابعها بقيت تعبث بتنورتها، وأن ركبتيها ترتجفان، فقال: «كاترين، أنت حية الآن وهذا هو المهم. لا شيء آخر يهم. حياتك أهم من كل الأملاك. يمكن إنقاذ المركب أو اقتناء مركب آخر في ما بعد. لكنك حية... وهذه نعمة».

فقالت بصوت متهدج: «نعم، الحق معك، فأنا محظوظة، وأنا متمسكة بهذه الفكرة».

– هذا حسن، أما بالنسبة إلى من تراه فتح سدادات مصارف المياه تلك، من الفظاعة أن يفعل ذلك دون أن ينبّه أحداً إلى ما فعل.

ثم تناول هاتفه وهو يقول: «علينا، نحن الإثنين أن نرفع دعوى، طبعاً. لا بد أن هناك آلافاً من الغالونات أطلقت خلال دقائق، أياً كان من فتح تلك

المصارف . . .».

فقاطعته: «إنه بيتي وفيه كل ما أملك وأحب. . . ستتلف أغراضي كلها، حتى لو استطعت رفع المركب. هناك كل ما أستعمله في علاج مرضاي، وملفات أولئك المرضى. . . آه، آسفة! أتراني قطعت عليك اتصالاً مع مؤتمر دولي أو ما شابه؟».

قالت هذا وهي تراه يطلب رقماً عبر الهاتف، فأجاب متوتراً: «بل أنا أطلب قسم الطوارىء في مصلحة المياه».

كيف تظنه بهذا الغباء؟ تملكه الغضب لتفكيرها هذا.

- أنا آسفة، لم أكن أدري ما أقول. إن ذهني مشتت في كل الاتجاهات. .

رمقها بازدراء أسكتها عن متابعة اعتذارها. وأجابه شخص ما على اتصاله، فأخذ يقدم شكواه إلى الموظف. وبعد أن استمع إلى تفسير الرجل، أقفل الخط، وقال لكاترين: «لم يأذن أحد بفتح سدادات المصارف. الموظف يظن أن هناك عملية تخريب وراء ذلك. هل أنت مؤمنة في شركة تأمين؟».

نظرت كاترين إليه بذعر أغناه عن الجواب، وتمنى زاك لو يهزها حتى تصطك أسنانها.

وقالت باكية: «لا تحملق بي بهذا الشكل، كنت على وشك أن أفعل ذلك».

فقال بحدة: «في الحقيقة، يا كاترين، أنت تبالغين في الاستهتار بحياتك. عليك أن تكوني أكثر إحساساً بالمسؤولية. لقد جعلت نفسك شريدة دون بيت!».

انكمشت بسبب كلامه اللاذع. وأدرك زاك أن سبب انفعاله هو الفارق الكبير بينهما. . . بينما أخذت تتمتم بأعذار غير مترابطة: «أعرف هذا، لكن شركة التأمين كانت تجري بعض التغيرات، وأنا. . . أنا كنت أنتظر حتى أجد مكاناً آخر و. . ويمكنني أن أعطي عنواناً آخر أرسو فيه. . . كان هذا الأمر، حينذاك، يبدو معقولاً».

قالت هذا بحزن، وبدت تعيسة مهجورة إلى حد أنه كاد يأخذها بين ذراعيه، ويخبرها بأنه سيشتري لها مركباً جديداً. لكنه استطاع أن يتحكم بنفسه قبل أن

يفقد عقله.

بقي صامتاً يتأملها باكتئاب. لم يكن ثمة ما يقال، ولا تعزية تقدّم. لقد فقدت بيتها وكل ما تملكه ووسائل عملها الذي تعيش منه.

وقالت باكية: «أتمنى لو كان الفتيان هنا».

أجفل، وقد تحركت فيه كبرياء الرجولة، وسألها: «لماذا؟».

رفعت كاترين إليه عينيها المحمرتين: «لأنهم يعلمون كيف يرفعون المركب. كما أنهم سيعلمونني كيف أفكك المركب إلى أجزاء وأنشفها ثم. . .».

ذعر وهو يسمع نفسه يقول: «أنا سأفعل ذلك».

اللمعان الذي بدا في عينيها محا أية فكرة قد تكون راودته في أن يطلق ضحكة قصيرة قائلاً إنه كان يمزح. لكن ما هي إلا لحظة حتى عاد الاكتئاب إلى وجهها فقالت: «أنت لا تعرف الكثير عن رفع المراكب».

فتوتر فمه وهو يقول: «أنا لست عاجزاً. المسألة كلها تتعلق بحسن التقدير و الخبرة بأمور الحياة. إن لي عقلاً جيداً وبعض المعلومات العملية، وكثيرون يأتون إليّ طلباً للنصيحة. يمكنني أن أفعل هذا طبعاً».

عاد الرجاء يلمع في عينيها، وسألته بلهفة: «أحقاً؟ قد أتمكن من إنقاذ بعض الأشياء إذا لم تبق تحت الماء فترة طويلة».

عبس زاك فقط ليجعلها تدرك أنه لن يقوم بهذا العمل كوسيلة لاستعادة علاقتهما معاً وقال: «ليس لدي خيار، فأنا لا أريد أن يسدّ ذلك المركب التعس النهر. أليس كذلك؟».

قالت بنظرات كئيبة وكأنها تلقّت عقابها: «نعم، لكن سيارة المطافىء لن يمكنها الوصول إلى تلك الناحية، وكذلك شاحنة الرفع، كما أن الفتيان ليسوا قريبين. لا أدري كيف يمكنك أن ترفع المركب وحدك، أظن أن علينا أن نسأل بعض الأصدقاء في القرية للمساعدة. . .».

- هل يعرفون شيئاً عن المراكب؟

- لا، لكنهم سيكونون على استعداد. . .

- إذاً لن يكونوا معتادين على النهر والمراكب. سيكونون مصدر إعاقة،

مهما كانت نيتهم طيبة . ليس لديّ الوقت والطاقة لمراقبة أمنهم وإرشادهم على الدوام لما عليهم أن يفعلوا . لذا من الأفضل أن نبقى وحدنا . سأرفعه أنا وسننقذ ما يمكننا إنقاذه .

فهمست : «كم سأكون شاكرة يا زاك!» .

كرر زاك قوله إنه يريد أن يخلي النهر من المركب . ذلك أنه لم يشأ أن تساورها أية آمال بشأن عودة علاقتهما . قطب جبينه وهو يقول : «الأمر مزعج للغاية ، فقد كان يفترض بك أن ترحلي» .

أحنت كاترين رأسها وهي تعض شفتها وقالت : «نعم ، وأنا آسفة . لكنني لم أكن أعلم أن هذا سيحدث» .

- هذا صحيح ، وأنا متفهم لهذا .

يا لجهنم . . . كم تبدو وحيدة مسكينة! أخذ يروح ويجيء في أرض الغرفة مقاوماً دافعاً يدفعه إلى احتضانها . ثم سمعها تقول وهي تقف : «حسناً ، لا يمكننا أن نفعل شيئاً الآن . الأفضل أن أبحث لنفسي عن مكان أبيت فيه» .

التفت إليها ، فرآها تسير نحو الباب بتثاقل ، فقال لها : «لا تكوني سخيفة ، ستبقين هنا» .

وقفت وقالت ورأسها منحنٍ ، دون أن تنظر إليه : «لا أظنك تريدني أن أبقى» .

- أنا لا أنوي أن آخذك إلى سريري .

قال هذا بخشونة ، كابتاً طعنة ألم أصابته في قلبه . إنها لا تريد منه تعزية ، وهي خائفة من أن يتودد إليها مرة أخرى ، ذلك أن عواطفها تحولت إلى توم حالياً . وتملكه الغضب ، أم هو الألم؟ صعب عليه التمييز بين هذين الشعورين . وقال بحدة : «هنا غرف نوم كثيرة تغنيني عن دعوتك إلى سريري» .

فقالت متلعثمة وقد احمر وجهها : «لا أريد أن أفرض نفسي عليك» .

فقال ببرودة : «لا أريدك في هذا المنزل أكثر مما تريدين أنت ذلك . لكن عليك أن تكوني غداً موجودة لنرى مدى الضرر . بالإضافة إلى ذلك ، لا معنى للبحث في القرية عن مكان للمبيت في هذا الوقت من الليل . اعقلي يا كاترين» .

وعندما لم تجب ، التفت إليها : «إذا كنت تظنينني متلهفاً إلى عناقك فأنت مجنونة ، لقد انتهى ما كان بيننا» .

فقالت متعبة : «نعم ، طبعاً . إنني شاكرة لك للغاية ، أشعر برجفة لا أكاد معها أستطيع الحركة» .

- سآخذك إذن إلى غرفة تنامين فيها ثم أبحث عن بعض الملاءات .

أجفلت كاترين لجفائه . يا لجهنم ، إنه يقسو عليها حقاً! لقد كادت تغرق ، فقدت كل ما تملك ، فقدت مسكنها كلياً ، ومع ذلك ها هو يصرخ بها وكأنها أخطأت بحقه في أمر ما . وإذا به يقول لها بشيء من الرقة : «كاترين . . . . .» .

حملقت فيه قائلة : «لا تقلق . لن أزعجك ، إذا كان هذا ما تخاف منه . وفي الواقع لا حاجة بك إلى أن تساعدني على الإطلاق . يمكنني أن أفعل هذا بنفسي . أنا لست بحاجة إلا إلى سرير أنام فيه هذه الليلة . وبما أنني راحلة بعد ثلاثة أيام ، لن تعلم كيت أنني أمضيت الليلة هنا ، لأنني لن أكون موجودة لأخبرها . كما أنني واثقة من أنك أنت أيضاً لن تخبرها» .

نظر إليها مفكراً بحيرة وهي تخرج إلى الردهة ، إنها مضطربة ذاهلة لا تدري ما تقوله . تبعها وهي تصعد السلم متوترة مترنحة ، متلهفاً إلى أن يأخذها بين ذراعيه ويواسيها حتى تنام مرتاحة مما يتملكها من إرهاق . لكنه احتفظ بتلك الحواجز التي أقامها بينهما ، رغم رغبته في هدمها .

قال متوتراً وهو يلقي في غرفة الضيوف الرئيسية وسائد وملاءات : «خذي هذه الغرفة» .

- شكراً ، وآسفة لأنني أزعجك .

شخر بصوته ساخراً ، بينما أمسكت هي بطرف الملاءة ، وهكذا أعدا السرير معاً بصمت كلي . كانت تبدو متوترة مثله ، إلا أنها ، فوق ذلك ، فقدت مسكنها وكل ما فيه .

سألها ببرودة ، متلهفاً إلى الخروج قبل أن تنهار سيطرته على نفسه : «أتريدين شيئاً آخر؟» .

رفعت رأسها فرأى في ملامحها عزماً جديداً : «لا ، شكراً زاك ، أنا كنت

أعني ما قلت. يمكنني القيام بالأمر بنفسي».

شعر الآن نحوها باحترام بالغ. كانت ترغم نفسها على أن تتجاوز الصدمة، وبدلاً من أن تستسلم إلى الدموع التي لديها الحق فيها، أخذت تكافح الفاجعة التي حلّت بها.

فقال: «لكنني سأساعدك سواء شئت أم لا. ليس في نيتي أن أبقي النهر مسدوداً بمركبك، أياماً. سنتحدث في الصباح، حاولي الآن أن تنامي».

استيقظت كاترين مجفلة بعد أن نامت في ساعات الصباح الأولى. كان انشغال ذهنها البالغ قد منعها من الاستقرار. إنها دون سكن.. سرى الذعر في كيانها لهذه الفكرة. ورغم أنها لم تكن تهتم كثيراً بامتلاك الأشياء، إلا أن القليل الذي كانت تملكه كان مهماً بالنسبة إليها.

شعرت بالغثيان، فهي لم تعرف قط وضعاً أسوأ من هذا. وعندما ارتدت قميص زاك، تساءلت متى ستتمكن من كسب معيشتها مرة أخرى... أين ستعيش؟

حاولت أن تكون متفائلة.. أن تذكر نفسها بأنها شابة وهي ما تزال حيّة وقادرة على العمل.. هبطت السلم على أطراف أصابعها لترى إن كانت ملابسها قد جفّت حيث علقتها فوق الموقد.

وقفت في باب المطبخ، وبدا التأثر على وجهها. كان زاك هناك مكباً على مائدة المطبخ، مستغرقاً في النوم، وبجانبه هاتفه الخليوي وحزمة من الورق.

لا بد أنه كان يحاول أن يتدارك ما فاته من عمل لمقاطعتها له بأمورها. وفكرت في برودته الليلة الماضية، وتجنبه إظهار أي إشارة تدل على العطف، مع أنها متلهفة إلى إشارة حنان منه.

لكن سلوكه أوضح لها تماماً ما يشعر به الآن نحوها... وتملكها الغضب، لماذا لم يخبرها بأنه عاد إلى كيت زوجته السابقة؟ أتراه يعتبر علاقتهما شيئاً تافهاً كلياً؟

شعرت بغليان في دمها، فاقتربت منه. لكنها رأت أنه، بدلاً من أن يعمل على الحسابات والأرقام المالية، كان ينظم أمر تسلّم مضخات مائية ورافعة

وقارب خفيف. ولاحظت أن الصفحات مليئة بعمليات حسابية.

بدا أنه بقي مستيقظاً طوال الليل، مفكراً بالطرق التي سيرفع بها مركبها. وبدلاً من أن يسرّها ذلك، استاءت منه، وتوتر فمها. لا بد أنه متلهف إلى التخلص منها!

وإذ شعرت باكتئاب بالغ، تركته نائماً وأخذت ترتدي ملابسها بسرعة في غرفة التموين الملحقة بالمطبخ، ثم تسللت إلى الخارج لتتفقد دجاجاتها. وعندما عادت، أحدث الباب ضجة، فاستيقظ زاك مجفلاً، وأخذ يحدّق إليها بجمود.

فقالت: «آسفة، لم أقصد أن أزعجك».

مسح وجهه بيده وهو يتأوه. رأت على خده علامات طبعتها ثنيات كمه، فذاب قلبها حناناً للحظة ما لبث بعدها أن نبذت هذا الشعور بغضب. وعندما نظر إلى ساعته تأوه بصوت أعلى: «هل هذا هو الوقت؟ كنت أريد أن أستيقظ باكراً».

وقف وهو يتمطى، ثم ضاقت عيناه وسألها: «هل كنت في الخارج؟».

قال ذلك بلهجة الاتهام، فقالت مدافعة: «خرجت أتفقد دجاجاتي. يمكنك إذا شئت، أن تسجل ثمن الخبز الذي أخذته طعاماً لها، سيسرك أن تعلم أنها بخير. لقد أمضت الليلة جاثمة على الأشجار».

فقال متهكماً: «يمكنك أن تأخذي لها الخبز مع تحياتي. ماذا بالنسبة إلى المركب؟».

- ما زال هناك كما أرسيته أنت.

وترددت، ثم تغلب تهذيبها على غضبها منه، فقالت: «ما فعلته كان مخاطرة كبيرة، ولا يمكنني أن أفيك حقك من الشكر».

فقال زاك باختصار: «علينا أن ننتشل ذلك المركب لكي تتمكني من أخذه للتصليح».

شعرت كاترين وكأنه يصفعها. إنها مصدر إزعاج في نظره، وسيحاول جهده لكي يتخلص منها. لا بد أنه يعلم أن كيت لن يسرّها أن تكون هناك امرأة أخرى قريبة منها، عندما تعود مع سام ليعيشا مع زاك مرة أخرى.

www.elromancia.com

قالت وقد انهارت معنوياتها بقدر انهيار مركبها: «أولاً، من المفترض أن يُرفع المركب. ربما لن يكون بالإمكان إصلاحه، ولا أدري كيف سأتمكن من دفع نفقات ذلك على أي حال».

- نعم من المفترض أن يُرفع، فأنا لن أبقيه هنا. سأريك ما صممته لهذا الغرض.

وببرودة، وبوجه متجهم، أشار إلى الأوراق على المائدة وهو يقول: «أنا ذاهب لأغتسل وأرتدي ملابسي، وربما تحضرين لنا فطوراً. سنكون بحاجة إلى فطور دسم».

أومأت كاترين بكآبة. إنه يبذل جهده ليجعلها تبتعد عن أي تفسير خاطىء للمساعدة التي يقدمها إليها. كل كلمة أو تعليق أو إشارة بدت مدروسة لتبعدها عنه، في وقت هي في أمس الحاجة إلى أن يحتضنها ويقول لها بصوته الدافىء إن كل شيء سيكون على ما يرام.

أرادت أن تبكي. لم تشعر قط في حياتها بمثل هذه العزلة والوحدة. ثم تذكرت شيئاً، فرفعت رأسها إليه قبل أن يغادر المطبخ لتقول: «زاك، إنها العطلة الأسبوعية!».

- وماذا في ذلك؟

فترددت وقد ساءها أن رفع مركبها سيتأجل لأن لديه ما هو أولى باهتمامه، سام وكيت.

- سترغب في أن تمضيها مع سام...

- إنه متوعك صحياً... لديه التهاب في أمعائه.

- يا للطفل المسكين! أنت.. أنت لست مضطراً إلى مساعدتي.

قالت هذا متجاهلة احتياجاتها. ذلك أن سام مريض، وهو سيطلب رؤية أبيه، وتابعت: «ابنك سام أهم من...».

- أعلم أنه كذلك، لكن سكرتيرتي حامل، وأنا لا أريد أن أحمل الجرثومة إليها، الأفضل أن أبقى بعيداً، وعلى كل حال، هو ينام معظم الوقت.

نظرت إلى وجهه الجامد وتمنت لو أنها تعرف ما في ذهنه... وأخيراً، لم

تستطع أن تمنع نفسها من القول: «إنك لن ترى كيت...».

- لا.

قال هذا مقطباً، ثم استدار على عقبيه وغادر المطبخ.

غصت كاترين بريقها، وتمالكت نفسها بجهد بالغ، وابتدأت بإعداد الفطور. سيعملان بجانب بعضهما البعض طوال الساعات التالية. إذا شاءت أن تعيش دون الشعور بوخزات الألم في كل مرة يقترب فيها منها، عليها أن تتعوّد على فكرة أن زاك سيعود إلى زوجته السابقة.

سيكون حسناً، بالنسبة إلى سام، أن يكون أبواه مع بعضهما البعض. أخذت تعزي نفسها بذلك، ولكن رغم محاولاتها، لم تستطع أن تتقبل فكرة أن ذلك سيكون حسناً بالنسبة إلى زاك. وأحنت رأسها. هذا تفكير أناني منها، ومن الغطرسة أن تظن أنها وحدها من يستطيع أن يجعله سعيداً.

أوشكت دموعها على الانهمار على البيض الذي تقليه، فمسحته بالمنديل بعنف. وأقسمت أن تقسي قلبها من الآن فصاعداً. عليها الآن أن تجدد مركبها، وأن تبدأ حياتها من جديد. وبدا لها المستقبل مثبطاً للهمة وغير مشجّع...

ليس هناك مكان للمشاعر.. وخنقت آهة في صدرها، لا مكان على الإطلاق...

١٢ - بين الجحيم والفردوس

عندما عاد زاك إلى المطبخ، بدت كاترين هادئة، حازمة. وبسرعة، سحبت الإفطار من الفرن وأعادته إلى المائدة.

قالت وهي تبدأ بالأكل: «حسناً، حدثني بما قررت. من الواضح أنك أمضيت نصف الليلة في الاتصال بالناس. ألم يكونوا جميعاً في أسرتهم؟».

- بل اتصلت بزملاء لي في نيويورك، وهم بدورهم وصلوني بخبراء شرحوا لي ما عليّ أن أفعل. إننا بحاجة إلى ثلاث مضخات صناعية ورافعة، إذا شئنا أن نرفع المركب من ضفة النهر، لأن الأوحال ستكون طرية، وستكون مقدمة المركب قد رسخت فيه الآن تماماً. وعلى القمرة أن تكون مسدودة بإحكام إذا شئنا أن يكون الضخ كافياً. يمكننا أن نقوم بهذا اليوم، لكنني أشك في أن نحصل على المضخات قبل الغد على الأقل. سأشرع أنا في سدّ المركب بينما تقومين أنت بالاتصالات الهاتفية.

- لكنني أريد أن أساعدك.. أن أكون هناك. لا يمكن أن تعمل وحدك هناك، قد يحدث أي شيء».

فكر لحظة في ما تقوله وعيناه تخترقان عينيها، ثم قال: «الحق معك، خذي هاتفي تحسباً للطوارىء وأبقيني تحت النظر».

وعندما شرح لها ما ينوي أن يفعل، لم تستطع أن تمنع إعجابها من الظهور في عينيها. نظم زاك الأمور بهدوء وكفاءة، وعلمت هي أنه سينجح، لأن لديه ثقة بالغة بالنفس، ولم تكن هذه الثقة في غير موضعها. وعندما أصغت إلى خطته الشاملة المختصرة، ابتدأت تدرك أنه مزيج غير عادي من الذكاء والواقعية.

أخذت عيناها تتسعان أكثر فأكثر، ونضحتا بحبها الخفيّ له. ولا بد أن

مشاعرها وصلت إليه، لأنه توقف في منتصف جملة وقد بدا عليه الاضطراب، وكأنه فقد الموضوع الذي كان يتحدث عنه.

همست كاترين وقد تملكتها الحرارة بسبب التوتر العنيف الذي ساد الغرفة: «آسفة، استمر».

تنحنح قليلاً، أما هي، فكل ما استطاعت عمله هو التحديق إليه وقد أضعفها الحب. لكنه ربّت على يدها و وقف قائلاً: «سيكون ا لأمر على ما يرام. ثقي بي، فأنا أعرف بالضبط ما أقوم به».

وتمنت لو تعلم هي ما تقوم به. مهما يكن ما يخبرها به المنطق، يبدو أن قلبها وروحها يتآمران للثورة، إنها تريد أن تبقى مع زاك حتى نهاية حياتها. جاهدت لكبح عواطفها، إذ مهما كانت تصرفاته سيئة، فإن للرجل أولوياته. إذا كان يحب كيت، فعليها أن تقبل هذا الأمر. عليها أن تبتهج لإصلاح زواج محطم، واستعادة صبي صغير والديه مرة أخرى.

بعد أن وضعت الأواني في غسالة الصحون، أخذت تبحث في دليل الهاتف عن الأرقام التي تريدها. وبعد ذلك خرجت لتقوم بالاتصالات من عند ضفة النهر حسب تعليمات زاك.

عادا ذلك المساء إلى المنزل مرهقين، إذ لم يمنع زاك من الاستمرار في العمل سوى الظلام. أسندت جسمه المتعثر المرهق متعجبة من إرادته العنيدة. وتمتمت بحب بالغ: «أنت بحاجة إلى حمام».

عند أعلى السلم أوشك أن يزحف. أخذت تملأ حوض الحمام، ثم نظرت إليه وهو يهبط فجأة على مقعد صغير منخفض، وشعره يقطر ماء. لقد اضطر إلى الغوص في النهر مرة بعد مرة لكي ينشر المشمع الواقي حول المركب.

تملكها الذعر عندما قال لها إنها الطريقة الوحيدة لإقفال الأنابيب المختلفة المفتوحة. وعندما توارى تحت المركب لكي يشدّ المشمع الواقي إلى الجانب الآخر، وقفت تنتظره بقلق، وفكرت أنها، إذا لم يخرج من تحت الماء، ستقفز خلفه وتخرجه، أو تموت في المحاولة.

أفزعها مبلغ حبها له. إنها على استعداد لأن تموت لأجله لو اقتضاها

الأمر، فهل تفعل كيت هذا؟

عنفت نفسها لهذا السؤال، ثم أخذت تخلع عنه ملابسه، لكنه دفعها عنه وهو يقول بخشونة، رافعاً نفسه عن المقعد، إن بإمكانه أن يفعل هذا بنفسه.

فقالت كاترين برقة، متجاهلة طبعه السيء: «سأحضر إليك ما تأكله».

فقال ببطء وهو يخلع قميصه المبلل: «لا بد أنك متعبة أنت أيضاً».

حركاته البطيئة الثقيلة جلبت الحنان إلى عينيها: «لم أقم بنصف ما قمت به أنت من عمل. لم ألصق ألواحاً خشبية على نوافذ وأبواب محطمة، كما لم أقضِ نصف النهار تحت الماء، ولم أخرج أشياء من المركب أيضاً. أنت لم تدعني أفعل هذه الأشياء».

فشخر زاك قائلاً: «كل شيء كان مغموراً بالماء، وما كنت لتملكين القوة لذلك. أنا فقط أخرجت الكراسي وبقية الأشياء الضخمة لأنني فكرت في أنها ستعيقنا في طريقنا غداً».

فتمتمت وهي تمرّ بيدها على جبينه لتزيل تقطيبه: «أعلم هذا يا زاك».

بدا وكأنه أجفل، ثم أدار رأسه عنها بما يشبه الاشمئزاز: «لا أستطيع الكلام لشدة التعب».

- أردت فقط أن أشكرك، مهما كانت أسبابك، فقد كنت رائعاً. أنا أعني هذا، يا زاك. من أعماق قلبي أقول لك شكراً.

نزلت إلى المطبخ لتسخن علبة حساء والألم يعتصر قلبها، علبة حساء هي كل ما استطاعت أن تحضر.

صعدت بها إلى غرفته والإنهاك يتملكها. وحالما أنهاها استغرق في النوم، فأخذت تلامس جبينه، مدركة أن هذه قد تكون آخر مرة تقف فيها قريبة منه إلى هذا الحد.

ارتعشت أهدابه الكثيفة قليلاً، فجمدت أصابعها لكنه تمتم: «لا تتوقفي عن هذا».

فقالت، شاعرة بضعف يوتر الأعصاب: «عليّ أن أذهب».

فتح عينيه ببطء: «أنت تترنحين على قدميك كما أنك ترتجفين».

- أظن أن الصدمة ابتدأت تؤثر عليّ.

قالت هذا هامسة، وانثنت ساقاها فاستندت بيدها إلى السرير. فقال بصوت منخفض: «كنت أنا قاسياً عليك».

فأجفلت: «أنت... عملت لأجلي أكثر من أي شخص آخر كنت سأطلب منه العون».

لم تستطع أن تحوّل عينيها بعيداً. ثم وجدت نفسها تهتز إلى حد لم تستطع معه أن تسحب يدها حين وضع يده عليها، ووجهه مليء بالقلق.

لا بد أنه قلق من أن تصبح عبئاً عليه، كما أخذت تفكر بحزن. فإنها قد تبقى هنا تشكو الفقر واليأس، وربما تفسد خطته مع كيت. وأفلتت آهة من بين شفتيها المرتجفتين.

فقال بخشونة: «هيا، استلقي هنا قليلاً. تكادين تموتين لشدة التعب».

ترنحت مكافحة شوقها إلى الموافقة: «أنا لا... لا أستطيع».

- لا تخدعي نفسك، أنا لا أضمر لك شيئاً. لكنني متعب لا أستطيع أن أحملك إلى الغرفة الأخرى. وأنت في حالتك الفظيعة هذه، لا يمكنك الذهاب بنفسك، استلقي قليلاً على السرير.

أبعد أغطية السرير وابتعد هو إلى نهايته: «المكان فسيح. استلقي ودعينا نرتاح نحن الاثنين. لا أريد أن أمضي الليل في الجدل، لقد نلت ما فيه الكفاية».

ويبدو أنها لم تكن قادرة هي أيضاً، على الجدل، وهكذا جلست على السرير وهي ترتجف من الإرهاق والصدمة والتعاسة.

وبعد لحظة، سمعت صوت تنفسه المنتظم فابتهجت لحصوله على بعض الراحة، إذ ستكون الأمور شاقة في الصباح. شاقة بالنسبة للعمل الذي ينتظره، وشاقة بالنسبة إليها لأنها ستصحو في الصباح، عالمة بأن كيت ستكون في هذا السرير قريباً، لتتمتع بحب زاك وحنانه.

رغم صمتها، أيقظه شيء ما فاستدار نحوها وأخذت يداه تبحثان عن وجهها في الظلام، وعندما انزلقت أصابعه على دموعها هتف بعطف: «كاترين، لا تبكي، كل شيء سيكون على ما يرام. أعدك بذلك».

علمت أنه ظنها تبكي لأجل مركبها وتشردها، فلم تصحح له ظنه. أخذ يمسح دموعها بلطف فلم تستطع احتمال ذلك.

اندلعت النار في عروقها، وتحوّل تعبها إلى شعور بأن بإمكانها أن تغزو العالم عندما ضمها إلى صدره مواسياً. لكنه، فجأة، دفعها بعيداً عنه، وكأنه أدرك لتوه ما يفعل.

وتمتم: «نحن بحاجة إلى النوم».

– نعم، فأنا مرهقة. سوف أذهب إلى الغرفة الأخرى لأنام.

وصلت المضخات في السادسة صباحاً كما اكتشفت كاترين في ما بعد. كان زاك قد استيقظ وخرج من المنزل قبل أن تستيقظ. سرها ذلك إذ سمح لها هذا أن تتمالك نفسها قبل أن تواجهه.

كان زاك مرتدياً «بذلة النجاة» التي كانت كاترين طلبتها له، وكان يثبت خرطوم المضخة اللين داخل إحدى النوافذ الصغيرة لمقدمة المركب، وهي الجزء الوحيد الذي بقي فوق الماء.

إنها تعلم ما عليها أن تقوم به، فقد أوضحه لها في اليوم السابق. بعد أن فرغت من إطعام الدجاج، أخذها زاك في زورق خفيف إلى المركب.

تسلقت إلى سطح القمرة بصعوبة وانتظرت قرب المضخات، بينما توارى هو داخل القمرة الغارقة. ثم، استجابة لصياحه، فتحت المضخات للعمل، فاندفع الماء بشكل أقواس من الداخل إلى النهر.

مضى وقت طويل دون أن يبدو أن شيئاً سيحدث. ومن وقت لآخر، وعندما يصبح مجرى الماء خفيفاً، كانت تضرب بيدها، حسب التعليمات، على مجال التصريف في المضخة وذلك لكي يقوى الامتصاص مرة أخرى. وبعد ساعتين مجهدتين، أدركت أن بإمكانها أن ترى المزيد من السطح. وشعرت بارتياح بالغ.. لا بد أن المركب يعلو.

عندما ظهر زاك ليتفحص تقدم العملية، زحفت إلى حافة السطح بحماسة ونظرت إلى وجهه المبتهج. وصرخت بفرحة عامرة: «نجح الأمر».

فصرخ بسعادة: «نعم. استمري بالعمل، فذلك جيد».

وإذا بها تصيح بدهشة: «أواه، يا زاك. انظر، إنه مركب توم. لقد عاد».

توتر فمه وهو يرى المركب الكبير متوجهاً نحوهما، وقد بدا الفزع على وجه توم الذي كان ينظر من خلال كوّة القمرة. فقال زاك: «التابع العمل».

ثم توارى في الداخل.

سرورها لرؤية توم ذكره بحقيقة وضعه تماماً. جذب نفساً عميقاً ثم غاص تحت الماء في القمرة حيث أخذ ينتزع بأصابعه الدامية الملاعق والورق والقصب وكثيراً من الأسلاك المعدنية التي كانت تسدّ فوهة المنفاخ الذي يضخ الماء.

ركّز اهتمامه على ذلك مرحّباً، تقريباً، بالألم، لكن البرودة سرت في عظامه رغم بذلة النجاة. كان على وشك الخروج من باب القمرة الخلفي عندما اصطدم بتوم وهو يعلن ببشاشة أن القهوة جاهزة وكذلك الكعك المحلي المقلي:

«يبدو عليك الإرهاق. خذ فترة استراحة».

أوشك أن يرفض العرض عندما أدرك أنه سيكون غبياً لو فعل. مقدار حسن من الكافين سيكون مفيداً للغاية، حتى لو كان عليه أن يشربه أمام أعين توم وكاترين المشتبكة ببعضها البعض.

شكره زاك وهو يلحق به إلى حيث جلسا على مركب توم، بينما أخذت كاترين تصف له ما حدث. وشعر زاك بالارتياح لأن كاترين لم تندس بحبيبها.

وفي الواقع، يمكن لأي شخص أن يكون له عذره إذا ظن أن كل اهتمام كاترين كان ينصبّ على زاك نفسه عندما صرخت جزعاً وهي ترى أصابعه الدامية. قالت باكية وهي تمسك بيده المصابة بذعر: «لو كانت معداتي هنا لعالجتها».

فقال بجفاء: «الأفضل أن أحصل على كنزة دافئة لأنني متجمد من البرد».

فقالت وهي تتجه إلى باب القمرة: «سأحضر له كنزة، هل في ذلك بأس يا توم؟».

فقال لها بلطف: «أنت تعرفين مكان الملابس، ثم هل لك أن تحضري السكر؟ سنضع الكثير منه في قهوتنا».

قطّب زاك جبينه غاضباً، وهو يفكر كم تراها تعرف من خزانات ملابس

الرجال!

تلقى منها الكنزة متمتماً بالشكر، ثم فتح «بذلة النجاة» وارتدى الكنزة تحتها، ثم عاد يقفلها. وبعد أن أنهى القهوة وقف قائلاً إنه عائد إلى العمل. وقبل أن يضيف شيئاً آخر، كان قد غاص في الماء ومضى يتفحص ألواح المركب.

أثناء الساعات القليلة التالية، تراجعت المياه ببطء في القمرة، حتى أصبحت بعلو ركبتيه فقط تاركة أثراً فظيعاً من الخراب. كانت الوحول في كل مكان من السقف حتى الأرض، وفي كل ركن وشقّ. نظر إلى دفاتر كاترين الثمينة وتملكه اليأس. تحت المياه المظلمة استطاع أن يرى المجلدات الضخمة التي تضم ملفات مرضاها قد انزلقت إلى الأرض مثقلة بالأوحال ومشبعة تماماً بالماء.

أشياء مثل صحون وأدوات الطعام كان من الممكن تنظيفها، أما فرش السرير من حشيات وأغطية ووسائد فهي للرمي. لكن ثمة أشياء لا يمكن تعويضها أو استبدالها، فهل سيكون مصير صورها وكتبها ومستنداتها أن تلقى في النفايات؟

تمنى أن يكون هو الذي يواسيها عندما ترى هذا الخراب. لكنه فكر أن توم هو من سيقوم بذلك، طبعاً. توم سيعانقها ويهمس لها بأشياء حلوة..

- مرحباً.

التفت نحو الصوت بعنف وردّ قائلاً: «مرحباً يا توم».

- أصرّت عليّ كاترين أن آتي لأساعدك. وإلا فإن أصابعك ستتأذى حتى العظم.

- شكراً.

شعر بالاشمئزاز من نفسه. كان يتصوّر توم عدوّاً له، لكن المنطق أخبره بأن هذا الفتى الذي يلبس الجزمة المطاطية والمعطف المشمع والذي ينظف فتحات خراطيم المياه بنشاط، شاب لطيف رقيق، وإلا لما أحبته كاترين.

صاح توم ليعلو صوته على صوت محركات المضخات: «ستيف ونيك

يعملان على المضخات، وددلي يطهو لنا الطعام، أما كاترين فعادت إلى عملها.»

نظر زاك إلى وجه توم اللطيف الصريح، وتملكه الندم لغيرته منه. بالعكس من اعتقاده السابق، بدا توم عاملاً مجتهداً، وهما معاً يؤلفان فريقاً جيداً. وهكذا، أومأ مبتسماً ثم عاد إلى العمل حتى لم يبقَ سوى مستنقعات ضحلة من الماء هنا وهناك. بعد قليل قال توم بهدوء: «يا له من كابوس! هذا سيدمّرها».

وأخذ ينظر حوله إلى كل هذه الفوضى، فخطا زاك خطوة شعر أثناءها بصوت الخوض في الماء والوحل بين أخشاب الأرضية.

- على هذا أن يُرفع، وكذلك الألواح الخشبية في الجوانب. لا أظنها تقبل مساعدة مالية.

قال زاك هذا بقلب مثقل، فأجاب توم بقلق: «لا. ولسوء الحظ، سنذهب غداً جميعاً مرة أخرى».

أجفل زاك، ثم قال وقد تصلب ظهره: «إنها ستحتاج إليك، ألا يمكنك أن تبقى؟».

فقال توم ضاحكاً: «ليس هذه المرة، فأنا سأتزوج».

- تتزوج؟

وشعر بالسخط لأجل كاترين، وسأله: «وهل تعلم كاترين هذا؟».

فأجاب توم بشكل عادي: «آه، نعم. أخبرتها منذ فترة. كانت ستحضر العرس، ولكن من الواضح أنها لن تتمكن الآن من ذلك. سيكون عليك أنت أن تساعدها. اهتم بها لأجلنا».

وضرب زاك على كتفه: «أنا أعرف أن بإمكاننا الاعتماد عليك».

أذهلته السهولة التي يتعامل بها توم وكاترين بالنسبة إلى علاقتهما العاطفية، وقال: «طبعاً يمكنك ذلك. أظننا مرهقين تماماً».

قال هذا بنشاط، فمع أن المهمة كانت مفزعة، لكنه كفؤ لها. وشعر بنوع غريب من الحماسة لم يتوقعه.

وتابع يقول: «الخطوة التالية هي نزع الألواح الخشبية التي ألصقتها من قبل

على النوافذ، ثم يمكنك أن تساعدني على نزع القماش المشمع».

وأخيراً، فرغ المركب من الماء. نزع هو وتوم، الألواح الخشبية والقماش المشمع، وقذفوا بها إلى الضفة، ثم طلب تثبيت الرافعة، وأسندها إلى شجرة قوية، ثم جذف في الزورق الصغير حتى وصل إلى مقدمة مركب كاترين فربطه بالحبال الغليظة.

كافح ستيف ونيك، إنشاً بعد إنش ليحركا الرافعة لسحب المركب الذي يبلغ وزنه عشرين طناً من الضفة. حيث كان وزنه قد أغرقه وحاصره في الأوحال.

وقف زاك على الضفة مبهور الأنفاس، وبجانبه كاترين مشبكة يديها بقلق. ثم هتفت وهي تقفز صعوداً وهبوطاً: «أوشك أن يصل».

وفكر بزهوٍ أن ذلك استغرق تسع ساعات، وأنه هو الذي قام بذلك، وعندما استقر المركب أخيراً على الماء، أخذ يلكم الهواء بقبضته.

سمع هتافات الشابين بصورة مشوشة، وبشكل أوضح، شعر بذراعي كاترين حوله تعانقانه، وصوتها المغتبط، فتمنى لو أنه يستطيع أن يعيش هذه اللحظة مرة بعد مرة.

وتنهدت قائلة: «أنت رائع».

فتمتم بصوت أبح: «هيه، لا أريد دموعاً. لقد مضى وقت الغداء منذ ساعات. أين أصبح ذلك الطعام؟».

فركت عينيها وضحكت. لا بد أن مخيلته صورت له أن عودتها إلى التفكير استغرقت وقتاً طويلاً. وما لبثت أن قالت: «سأذهب، أيها السيد».

صاحت بذلك ثم ركضت ليمسك بها الشابان، يحتضنانها ثم يطلقانها.

وأدرك زاك أن كل شيء من الآن فصاعداً، سيصبح تافهاً لا أهمية له.

بعد أن أصرّ عليهم بأن يوقدوا موقد كاترين لكي ينشف المركب، جلس الجميع في مركب توم يلتهمون كميات ضخمة من الطعام الساخن، وينهونه بكعك أعده دحلي.

بعد ذلك صافحوه جميعاً ولكموه على ظهره، وابتسم هو شاكراً ثناءهم

الودود. وفجأة، شعر زاك بالإلفة وكأنه في بيته. وقال بهدوء: «شكراً لعونكم، من دونكم كان هذا العمل سيستغرق اليوم كله».

فقال توم وهو يقف وينهي قوته: «بإمكاننا الآن أن نفرغ حمولتنا قبل حلول الظلام. هل أنتم جاهزون».

وقفت كاترين، وقد منعها التعب من الكلام، تشمل بنظراتها محتويات مركبها التي نُقلت بعربة يد إلى شرفات المنزل الأرضية. أفزعتها القذارة.. لم تكن أشياؤها ملطخة فقط بالطين وقطع من النبات، لكن طبقة من زيت الديزل غطت كل شيء. ولكن لم يكن هناك وقت للحزن، فقد كان زاك الآن ينقل على العربة الأوراق وسجلات الزبائن إلى المطبخ. وعندما دخلت تحمل البومات الصور، قال مازحاً: «أنت تغسلين وأنا أجفف».

سألته وهي ترتعش: «لماذا تفعل هذا كله لأجلي؟ لقد تم انتشال المركب وما عليك أن تفعل أكثر من ذلك».

نظر إليها لحظة بارتباك، ثم قال: «لا أطيق مثل هذه الفوضى. علينا أن نفرز أشياءك وكلما استعجلنا في ذلك كلما تخلصت أنا منك بسرعة».

أومأت، شاعرة بالتعاسة، ثم اتسعت عيناها عندما ألقى بكتبها في حوض الغسيل. قالت له باحتجاج: «هل أنت واثق من صواب ما تفعل؟».

– تماماً. فقد قمت بالاستعلام عن هذا الأمر. لا يمكننا أن ننقذ ما أتلفه الطوفان، إذا لم تكن لدينا المعدات اللازمة. الشيء الذي يليه في الأفضلية، كما يبدو، هو أن نزيل عنه الأقذار بتغطيسه بالماء، ثم نضع بين كل ورقتين ورقة نشّاف، ثم ننشفها ببطء. ستتجعد الأوراق قليلاً، لأن علينا أن ننهي عملنا بسرعة. ومع ذلك، ستكونين قادرة على قراءة أوراقك، وهذا هو الشيء الأساسي. يمكننا أن نجفف بعض الأوراق مباشرة على الموقد. في الواقع، الأمر هو قضية تنسيق وتنظيم.

لم تستطع إلا أن تبتسم لكفاءته قبل أن تقول: «سيستغرق هذا العمل أياماً».

– لدينا الأيام. خصوصاً إذا استعملت أنت حوض الغرفة الإضافية

للمطبخ وباشرت العمل بالصور.

- لا بأس.

انتقلت كاترين إلى هناك وفتحت صنبور المياه فوق الحوض، ثم سألته: «وماذا بالنسبة إلى عملك؟».

- لقد أوقفته، ثم إني لا أشتغل كثيراً في العطلات الأسبوعية على كل حال.

- آه، لقد نسيت!

غمرت محفظة أوراق بالماء، وهي تشعر بالتوتر. ثم أقفلت الصنبور وقالت: «تأخر بنا الوقت. عليك أن تتصل بسام، ستتساءل كيت عما حدث لك. إنني واثقة من أنها تريدك أن تتصل بها».

قالت هذا بصوت مرتفع، محاولة أن تشعر بأنها كريمة النفس، لكنها فشلت بكل شيء.

إنها تريد هذا الرجل الرائع. تريد أن تشعر بذراعيه حولها، أن تشاركه حياته... تمتم زاك بشيء فسارت إلى الباب تسأله: «ماذا قلت؟».

- قلت إنني أحاول تجنب الحديث إلى كيت.

حبست أنفاسها وأرهفت أذنيها وهي تسأله: «لماذا؟».

فجأة، بدا مشغولاً جداً بالدفتر الملطخ بالوحل. وأجاب: «عندما تطلقنا اتفقنا على أن نتعامل معاً كأصدقاء مهذبين، فلا يتجنب أحدنا الآخر، بل نبدو أمام الآخرين متعاطفين، وذلك من أجل سام. ويبدو أن كيت بالغت في ذلك. وما يزعجني هو أن يظن سام أننا سنعود إلى بعضنا البعض».

- وأنت؟ ألا تريد ذلك؟

- ولا بعد مليون سنة.

اندفع الأمل إلى نفسها يملؤها بفرح لا يوصف. وابتلعت ريقها ثم قالت: «ظننت... ظننت أنكما عدتما إلى بعضكما البعض».

فقال عابساً: «وما الذي أعطاك هذه الفكرة؟».

- لقد أمضت الليل عندك.

نظر إليها غاضباً وقد توترت شفتاه، ثم قال: «كاترين، عليك أن تخرجي

من ذهنك أنني يمكن أن أحمل إلى سريري امرأة مرّت في حياتي وانتهت».

- حسناً، ولماذا مكثت الليل إذن؟

- لأننا تحدثنا طويلاً عن أشياء مختلفة، فشعرت بأنها متعبة جداً بحيث لا تستطيع أن توقظ سام ثم تقود السيارة عائدة إلى لندن. ولهذا أمضت الليل في غرفة الضيوف.

ونظر إليها غاضباً وقال بحدة: «كنت أتودّد إليك، فهل تظنين أنني من نوع الرجال الذين يحوّلون مشاعرهم من امرأة لأخرى بهذه السهولة والسرعة؟».

ومع كل كلمة نطق بها كان عبوسه يزداد وشفتاه تتوتران، ثم تابع يقول: «أنا لست متقلباً، لا أرضى بعلاقات سريعة عادية. كما أنني لست مزاجياً أشتهي أية امرأة تعبر طريقي».

فقالت وعيناها تشعان سعادة: «لا، أنت لست كذلك طبعاً. ظننت ذلك فقط.. لأن كيت كانت زوجتك...».

- أنا اقترفت غلطة بالنسبة إليها. ظننتنا متشابهين في أمور كثيرة. ربما كنا كذلك ذات يوم، لكنني أعلم الآن أننا لسنا كذلك. وباستثناء سام، لا يربط بيننا أي شيء، فأنا لم أعد أريد ما تريده. إننا الآن نبعد عن بعضنا من ناحية التوافق والانسجام، سنوات ضوئية.

- هكذا إذن؟ وما الذي تريده أنت يا زاك؟

جمدت يداه في الماء الموحل وأخذ يحدق من النافذة إلى الحديقة المظلمة، ثم قال بهدوء: «أريد أن أعيش هنا، أن يكون في حياتي وقت ومجال لابني... ولي أنا أيضاً. أن أستمتع بالأشياء الصغيرة التي تجعل الحياة هنا مشبعة وتستحق أن تُعاش. أن أرى تفتح براعم الأزهار، وأفراخ البط، وأن أجني الخضار التي زرعتها بنفسي. أنت التي فتحت عينيّ على تلك الأشياء كلها ولهذا سأكون شاكراً لك مدى الحياة».

أشرق وجهها وتندت عيناها بالدموع. وفجأة، بدا لها المستقبل أكثر إشراقاً. وقالت ببساطة: «لا شيء يسعدني أكثر من هذا».

ثم عادت إلى عملها في تنظيف الطين عن الصور قبل أن تنشرها لتنشف.

فكرت مبتهجة في أنه لا يحب كيت. ولكن لماذا يتصرّف معها على هذا النحو؟ تنهدت وهي تتمنى لو أنهما يمضيان بقية حياتهما معاً.

وبسرور بالغ، مدت حبلاً بين المطبخ وغرفة الطعام، ثم أخذت تعلّق عليه الصور المغسولة.

لم تعد مثبطة الهمة بالنسبة إلى المهام التي تنتظرها من تنظيف وغسل وتنشيف. ذلك أنها واثقة الآن من أن زاك سيساعدها.

اشتغلت معه حتى دار رأسها إرهاقاً بسبب روائح الصمغ وتعليق الأوراق المبتلة وجفافها، حتى لم تعد تستطيع القيام بشيء.

قالت له ويدها على ذراعه: «يكفي عملاً لهذا النهار. لنخلد إلى النوم».

ابتلع زاك ريقه وقال بصوت أبح: «في ما بعد، يا كاترين».

أدارت إليها جسمه، دون مقاومة منه، ثم وضعت ذراعيها حول عنقه، ورفعت بصرها إليه بحب بالغ: «بل الآن. لقد فعلت الكثير من أجلي، وأريدك الآن أن ترتاح».

تردد عدة ثوانٍ، وشعرت بتوتر عضلاته فأخذت تدعك رقبته، وعيناها لا تفارقان عينيه. ورأت فيهما نوعاً من الصراع يدور في ذهنه. فسألته: «أنت ترغب بمعانقتي، فما الذي يمنعك؟».

صدرت عنه ضحكة غريبة، وشعرت بأن في عينيه مرارة في الوقت الذي تلاقت نظراتهما من جديد.

وقال بنبرة غامضة: «لِمَ لا؟ أنت على حق».

أخذت وجهه بين يديها كأنها تريد إشباع عينيها من النظر إليه وقالت: «سنحتاج إلى حمام».

تأوه وقد اشتعلت عيناه. وبدتا للحظة غاضبتين بشكل مخيف، ولكن لا بد أنها كانت مخطئة لأنه أحنى رأسه وعاد يعانقها برق.

أشعل عناقه النار في كيانها. وتمتم: «منذ فترة طويلة وأنا أتحرق لمعانقتك. أردت أن أشعر بك مرة أخرى، فأتنشق عطر شعرك وأحس بنعومة بشرتك...».

بادلته كاترين عناقه بحب مطلق دون حدود، وكأنها أصبحت جزءاً منه.

راح رأسها يدور. كل ما كانت تعرفه هو أنها تحب هذا الرجل وتريد أن تمضي بقية حياتها معه.

- كاترين!

كان صوته يرتجف وكأنه يتعذب.

تأمل وجهها المتألق، ولم يستطع أن يمنع نفسه من معانقتها مرة أخرى. ثم ازدادت حدة مشاعره، فدفن وجهه في شعرها كي لا ترى الألم في قسماته.

ذلك أنه يعلم أن هذا كل شيء بالنسبة إليها، مجرد لهو وعناق دون شعور آخر، ذلك هو وحده هدفها.

كان عليه أن يواجه حقيقة أن علاقتهما قد تكون قصيرة. وأن كاترين ستطير ذات يوم كعصفور... كطيور السنونو التي تهجر دوماً مسقط رأسها.

لكنها، حالياً راضية بالبقاء معه. فقد وجد توم فتاة أخرى... بينما هي، بمشاعرها المحمومة هذه، هي دوماً بحاجة إلى رجل تشعر باهتمامه بها.

وأخذ يترنح بين الغضب والتفهم العاجز، لأن دوره هذا معها ليس له معنى حقيقي لديها.

شعر بجسدها يسترخي ناعساً. فحملها بلطف وأخذها إلى سريرها حيث انتشر شعرها الرائع على الوسادة وكأنه يطالب بمكانه هذا حقاً أبدياً. بدت أهدابها سوداء جامدة وعلى وجهها ابتسامة حلوة.

وانقبض قلبه.. إذا كان هذا كل ما بإمكانه أن يحصل عليه، عليه إذن أن يكتفي به، لأنه لن يستطيع الابتعاد عنها. إنه يريد أن يلمسها، يعانقها، ويهتم بها... أظلم وجهه. وأدرك بثقة جعلت قشعريرة كالثلج تكتسحه، بأنها ذات يوم، ستلقي به إلى جهنم.

١٣ - أهي النهاية؟

- ها قد انتهى كل شيء.

قالت كاترين هذا بسرعة، بعد عشرة أيام من تلك الأحداث، وعيناها على الساعة فوق رف المدفأة. لقد تأخرت، فتجاوزت الوقت المحدد مرة أخرى. قطبت جبينها ضيقاً، وقالت للمريضة: «عودي في الأسبوع القادم».

جلست المريضة وقالت بحيرة: «الكنك... لم تدلكي موضع الروماتيزم؟ أنت دوماً...».

فقاطعتها كاترين وهي تنظر في دفتر التسجيل: «آسفة، ليس هناك وقت، هل يناسبك الجمعة الساعة الثانية؟».

- نعم، أظن ذلك.

فقالت كاترين فيما المرأة ترتدي ثيابها: «هذا حسن. هل لك أن تخرجي؟ وقتي ضيق».

- نعم، لا بأس. وداعاً.

لكن كاترين هي من سارعت بالخروج فعلاً. كان عليها أن تعمل لساعات إضافية الآن، لتكسب ما يكفي من المال لإصلاح مركبها. وحالما تنهي ذلك، عليها أن ترحل.

ربما يرغب زاك في معانقتها مرة بعد أخرى، لكنه عدا ذلك، بارد جاف، وموجز جداً في كلامه معها. إنها تدرك الآن مكانتها عنده. فهو يستغلها فقط لكي تسليه، ولكن لا مستقبل لها هنا.

لكي تنقذ كرامتها وتستعيد احترامها لنفسها، عليها أن تبتعد عن هذا المكان بأسرع ما تستطيع. فهو يدمّرها شيئاً فشيئاً.

وجد زاك المريضة في الردهة، تحدّق بجمود في الممر المؤدي إلى الباب فابتسم لها بأسى. منذ استعملت كاترين غرفة المكتب كغرفة لمعاينة مرضاها، أنقذ عدداً عن المرضى من الارتباك والخطأ في تمييز باب الخروج بين ممرات المنزل المتعددة. سألها بأدب: «يبدو أنك ضللت الطريق؟».

- لا، فأنا أعرف طريقي... إنما الأمر هو كاترين.

- هل حدث شيء؟

- لا أدري، فقط هي مختلفة الآن، في الحقيقة، عدة مرضى منا لاحظوا أنها أصبحت أقل اهتماماً منذ غرق مركبها. إنها تبدو مشغولة الفكر. ألا تلاحظ أنها دوماً مقطبة الجبين؟ أظن أن هذا هو المتوقع بعد ذلك الضغط النفسي الذي تحملته. لأنها عادة، لطيفة للغاية. لا نستطيع أن نجزم شيئاً بالنسبة إليها، لكننا لسنا سعداء. إننا ندفع لها أجراً، ونتوقع أن نحصل على مقابلة.

فقال عابساً: «الحق معك، سأتحدث إليها».

ودّع المرأة حتى الباب وفمه متوتر غضباً. ثم أسرع إلى المركب حيث سيراها حتماً. لقد حان الوقت لتصفية الحساب. فقد أصبحت كاترين مؤخراً امرأة لا تطاق.

صعد إلى المركب فوجدها تخرج بقايا ما كان يوماً ألواح خشب مصقولة رائعة تبطن جوانب المركب.

قال باختصار: «هل لي بكلمة؟».

فقالت وهي ترفع لوحاً خشبياً متنفخاً عن الأرض: «أنا مشغولة جداً».

- ليس بالنسبة إلى ما سأقوله، وهو أنك أصبحت فظة مع مرضاك. بإمكانك أن تفعلي بي ما تشائين، ولكن ليس لديك الحق في أن تجعلي مرضاك متنفساً لمشاعرك.

اهتزت يداها، لكنها ضمت شفتيها وتابعت محاولة رفع ألواح الخشب. وتمتمت: «أنا مهذبة تماماً معهم».

- لكنهم اعتادوا على أكثر من التهذيب.

استدارت إليه وعيناها تلمعان، وصرخت: «حسناً، فليكن! لم يبق لدي

طاقة للعمل أكثر من هذا، فأنا أعمل حتى أسقط تعباً! فأنا أشتغل طوال النهار ستة أيام في الأسبوع، ثم أشتغل في المركب في اليوم السابع. أنا لست امرأة غير عادية ليمكنني البقاء حلوة لطيفة رقيقة مرحة مع ذلك العمل كله!».

– لماذا تقومين بذلك إذن؟ لماذا هذا الاندفاع المجنون في العمل؟

– لأنني لا أريد أن أبقى مدة أطول مما عليّ أن أبقى.

– فهمت.

لقد أدرك الحقيقة الآن، إنها تريد الرحيل في أسرع وقت ممكن. قال ببرودة: «لا أظن فقدانك لمرضاك هو من شأني، عيشي حياتك كما تريدينها يا كاترين...».

– سأفعل!

قالت هذا صارخة، وهي تنتزع قطعة خشبية فتدمي يدها أثناء ذلك: «دعني أستمر في حياتي الخاصة، يا زاك. ألصق أنت ذلك الهاتف على أذنك بالغراء، بينما أستمر أنا في إصلاح مركبي...».

فقال بغطرسة: «لو كنت تهتمين لأمري للاحظت أنني أوقفت نشاطاتي المالية. فأنا لا أملك الآن سوى عدداً من الزبائن المفضلين لديّ، واستماراتي الخاصة للبقاء قادراً على الوفاء بالتزاماتي. ذلك أنني أحاول أن أستمتع بجمال هذه الحياة...».

فقالت بشراسة: «كان عليّ أن أكون محظوظة مثلك...».

متى ستستمتع مرة أخرى بوقت فراغ؟ لقد فقدت لحظات سكينتها النفسية، ولم تعد تراها هذه الأيام. إنها تشعر بطبعها يسوء ويسوء مع مرور الأيام. والتفتت لتلقي بكلمة لاذعة لذلك المحظوظ زاك، وإذا به قد ذهب.

وهكذا، ألقت بقطعة الخشب على الأرض، وضربت الأرض بقدمها كطفلة حمقاء محبطة. ثم، ولأنه لم يكن لديها خيار، عادت إلى العمل عابسة، واجمة، حتى شعرت بصداع.

جرّت نفسها عائدة إلى البيت، وحاولت أن تحسب كم ستبقى معتمدة عليه كي يأويها في منزله!

أولاً، عليها أن تسوّي أرض المركب. ولهذا عليها أن تضخ المياه الآسنة إلى الخارج، وترفع الأوراق الممزقة، ثم تركب له أجهزة جديدة، بعد أن تمدّ أرضاً جديدة.

أدركت عابسة، أن عليها أن تأخذ مزيداً من المرضى على قائمة الانتظار، وربما تشتغل في الليالي أيضاً. إنها الطريقة الوحيدة لدفع نفقات هذا كله. عليها أن تمضي أيام الآحاد كلها على المركب، من الفجر حتى منتصف الليل. ربما بعد ذلك. سيكون بإمكانها أن تعيش على سطح المركب بعد عدة أسابيع.

يا لها من مدة طويلة! لا بد أن هناك طريقة أخرى. ورفعت رأسها، ربما هناك فعلاً. إنها تفضل القيام بأي شيء على أن ترى كم يكرهها زاك.

– أيعقل أنها ما زالت تعمل؟

– إنها كذلك، مع الأسف يا سام.

– لكنها تعلم أنني هنا! إنها دوماً تدع العطلات الأسبوعية دون عمل...

– اختلف الأمر الآن، يا سام.

أخذ زاك يلامس وجه ابنه الحبيب، مسروراً هو يرى صحته جيدة. ثم قال: «على كاترين أن تكسب مالاً لتنفق على إصلاح مركبها، وثمن الخشب، والأجهزة الجديدة، وسرير جديد، وأغطية...».

– هل هذا أهمّ منا؟

قال سام هذا بصوت خافت محبط.

– إنها أولوياتها حالياً.

لم يشأ أن يؤلم سام لكنه شعر بالغضب من كاترين. إنها تعلم كم يستمتع سام بوجوده معها، ألا يمكنها أن توفر له نصف ساعة أثناء الغداء؟ بدلاً من أن تهرع إلى المصرف في المدينة؟

وقال له ببشاشة: «هيا بنا، سنصنع سلم الحبال ذاك لأجل «بيت الشجرة»».

كانا ينهيان ذلك العمل عندما أطلّت كاترين أخيراً.

هتف سام مبتهجاً، وهرع لملاقاتها، بينما بقي زاك مكانه والسخرية على

www.elromenca.com

وجهه.

هتف بها سام وهو يجرها من ذراعها: «تعالي وانظري، عليك أن تجربي هذا...».

فقالت بنكد: «لا أستطيع، لدي كثير من العمل. آسفة يا سام، دع هذا ليوم آخر».

سارت خطوتين قبل أن يكف سام عن التحديق فيها بحيرة، ثم يعود فيركض إليها: «هذا لن يأخذ منك سوى لحظة».

- كاترين!

التفتت بالرغم منها لسماعها صوت زاك الآمر، وأجابت «نعم؟».

قالت ذلك وكل خلية في جسدها تنضح تمرداً. فقال لها: «أبدي إعجابك فقط، هل لك بذلك؟».

لم تكن نظرتها أكثر من لمحة عاجلة. لم تكن شيئاً سوى طرفة من عينيها لجزء من الثانية: «رائع!».

قالت هذا وهي تهتز، وارتجف فمها وهي تلمس كتف سام بخفة: «والآن... آه، كم أنا آسفة يا حبيبي، ولكن عليّ أن أذهب».

- بابا!

صرف زاك بأسنانه إزاء صرخة ابنه الحزينة وارتجاف شفتيه. ولكي يعوضه عن ذلك، أصبح بالغ الحماسة في اللعب معه. وبعد وقت قصير، كان سام يصرخ ضاحكاً بسرور، وهما يلعبان لعبة قرصانين متنافسين يغزوان سفن بعضهما البعض.

في كل ثانية ضيّعها لكي يصرف ذهن ابنه عن تلك القاسية ذات الأنف الأفطس، كان غضبه يزداد أكثر فأكثر. إذا عادت كاترين إلى البيت سيخبرها برأيه فيها وفي تصرفاتها ويخبرها بأن تذهب إلى جهنم.

أمضت كاترين طوال الوقت في تقشير أرض غرفتها الرائعة الجمال، وهي تبكي. ليس فقط لأنها أمضت الساعات في تسوية أرض مركبها هذه وتلميعها، قبل ستة أشهر من غرقه، ولكن لأن ليس لديها وقت تنفقه على حبيبها سام.

كانت من توتر الأعصاب بحيث لم تستطع أن تفكر بشكل مستقيم. هناك آلاف الأشياء عليها أن تفعلها وتتذكرها. تملكها التعب، ومع ذلك عليها أن تستمر في العمل. لم تعرف في حياتها قط مثل هذه التعاسة.

وأخيراً، لم تعد تستطيع العمل فعادت إلى البيت حيث فتحت الباب الخلفي باكتئاب، ووقفت في المطبخ لا تستطيع أن تخطو خطوة أخرى.

وزمجر صوت مألوف: «كيف تجرؤين...؟».

أغمضت عينيها.. ليس الآن، فهي على وشك الانهيار. ليس لديها صبر ولا طاقة للجدل. قالت وهي تتوجه إلى الردهة: «دعني وشأني، أنا متعبة».

- عليك أن تصغي إليّ؟

شعرت به يجرّها ثم يلقي بها دون اهتمام على كرسي بذراعين. حسناً، سوف تنام هنا..

- اصغي إليّ.

تذمرت وقد زاد توتر أعصابها: «لا تهزني كفى!».

فتحت عينيها، فرأت عينين سوداوين مليئتين بالكراهية تحملقان فيها، وخنقتها الغصة.. هذا هو الرجل الذي أحبته مرة. كيف استطاعت أن تقترف مثل هذه الغلطة؟

زمجر زاك قائلاً وهو ما زال يهزها: «أريدك أن تنتبهي لما أقول».

- نعم، نعم، فقط دعني وشأني، لا أريدك أن تلمسني!

ابتعد عنها والاحتقار بادٍ على وجهه: «لا أراك تظنين أنني سألوّث يدي بك؟ أنا أفعل هذا لأجل سام وليس لأي غرض آخر. أريدك أن تعلمي أنك أحزنته هذا النهار، وأنا لا أريدك أن تنبذيه مرة أخرى. هل تفهمين؟».

وضعت وجهها بين كفيها: «أنا أعرف ما فعلته. وأنا آسفة».

ورفعت وجهها وتابعت تقول: «أخبر سام بأنني لم أقصد إيلامه، وأنني... أنني أحبه كثيراً. زاك... عليك أن تشرح له ذلك».

فسألها ببرودة: «أشرح له ماذا؟».

فقالت بتعاسة: «أن صبري قد نفد، وأنني لا أفعل شيئاً سوى العمل

www.elromancia.com

والذهاب إلى السرير، وأنني طوال حياتي لم أتعب بهذا الشكل. أنا أعلم أنني الآن عديمة الصبر، نزقة. ولكن كل ما أفكر فيه هو أن يصبح لدي ما أنفقه على المركب فأتمكن من الرحيل...».

فقال بخشونة: «أنت تغيرت يا كاترين. كنت ذات يوم رقيقة، حلوة، حساسة، وكان لديك وقت وعطف لكل إنسان...».

- حينذاك كان لدي الوقت، أما الآن فلا. يمكنك أن ترى كيف أصبح أمري الآن! لا أراك تظنني أحب ما عليّ أن أقوم به. يمكنني أن أرى اختلاف معاملة الناس لي. لقد أصبح مرضاي متحفظين معي الآن، لأن الجوّ بيننا قد تغيّر. بالإضافة إلى أنني لا أحصل على النتيجة التي اعتدتها، وأنا أكره ذلك! ولكن أخبرني ما الذي أستطيعه غير هذا؟ عليّ أن أعمل ساعات النهار كلها لأحصل على ما يكفي وإلا سأبقى متشردة طوال حياتي. أنا بحاجة إلى وقت أعمل فيه على المركب. إنني أكاد أجن وأنا أحاول التوفيق بين أموري.

وشهقت باكية، فقال بفظاظة: «يمكنني أن أمنحك قرضاً».

فهتفت: «لا! أنت آخر شخص أقبل منه عوناً».

فقال بحدة غاضباً: «ولكن ألا ترين أنك تفقدين صداقة كل شخص تحتاجينه؟ سواء في ذلك المرضى والأصدقاء؟ أنت تقترفين الغلطة نفسها التي اقترفتها أنا. أنت تعملين على حساب إنسانيتك. لقد تبادلنا الأدوار، يا كاترين. ومهما كان رأيي في أخلاقك، عليّ أن أعترف بأنك كنت ذات يوم فتاةً حلوةً يسرّ المرء التعرّف إليها، لكن الأمر لم يعد كذلك».

فتمتمت: «ليس عليك أن تقلق من هذا لفترة طويلة، لقد ذهبت إلى المصرف اليوم وأخذت قرضاً. إنني راحلة غداً، لآخذ المركب إلى حوض سفن لإصلاحه».

صاح زاك بها غاضباً: «يا له من عمل غبيّ. كان بإمكانك أن تأخذي النقود مني دون فائدة على الإطلاق، بينما عليك الآن أن تمضي سنوات في تسديد الدين».

فقالت كاترين بنبرة هستيرية: «هذا لا يهم. على الأقل سأكون مستقلة

عنك».

لم تستطع أن ترى غضبه واحتقاره أكثر من ذلك، فركضت خارجة وهي تتعثر، إلى غرفة نومها حيث أخذت تستعد للنوم بشكل آلي، ومن ثم استسلمت إلى نوبة من البكاء.

حدثت نفسها بأنها غداً، ستكون رحلت. لكن هذا لم يفعل سوى أن زاد في شهقاتها. كان أمامها احتمال العمل من الثامنة صباحاً حتى السادسة مساءً أو ربما أكثر، وذلك لتجمع أقساط دينها المخيفة. كما أن حب حياتها اشمأز منها، وربما سأم أيضاً، ولا يمكنها أن تلومه...

لم تستطع أن تطيق ذلك. شعرت أنها ستجن. إنها تحب زاك إلى أقصى حد، ما من رجل في العالم مثله بالنسبة إليها.

وجاءها صوته الرزين: «كاترين، هل أنت بخير؟».

- لا!

دست وجهها في الوسادة وهي تشهق باكية. قلبتها يداه على ظهرها فلفح الهواء البارد وجهها الحار الباكي. وما لبث أن تنهد، ثم أدهشها وهو يأخذها بين ذراعيه قائلاً: «أريدك أن تصغي إليّ».

فقالت باكية: «ابتعد عني».

تجاهلها، وأخذ يسوّي شعرها، ويضع خصلاته المبتلة خلف أذنيها، بينما دسّت وجهها في كتفه وهي تشهق بالبكاء.

قال بلطف: «خذي عطلة لعدة أيام. أنا أعلم ما تحاولين القيام به، وأنا معجب بك، ولكن ليس بالطريقة التي تنفّذين بها ذلك. أنت تقتلين نفسك، جسداً، وعقلاً، ومشاعر. لقد نقص وزنك الذي كان قليلاً منذ البداية، وأصبحت سيئة المزاج سليطة اللسان، وهذه ليست شخصيتك... ليست كاترين التي... أريد أن... أن أتذكرها».

فقالت بشراسة: «اذهب إلى عملك».

- ساعة هنا لن تشكّل أي فرق، لكنها ستنعش نفسيتك. وأنت تعلمين هذا أكثر من أي شخص آخر. لماذا عليّ أن أخبرك بهذا؟ الأمر كله مسألة توازن كما

أخبرتني أنت.
- الفرق بيننا هو أنك لست بحاجة إلى العمل الشاق. لأن لديك ما يكفي من المال، على العكس مني أنا.
- أنا أعلم أن ظروفك حالياً، غير عادية.
أدهشها حين ضمها إليه بحنان قائلاً: «لكنك لن تحتملي فترة طويلة إذا بقيت على ما أنت عليه. دعيني أخبرك بشيء، هيا... اقتربي مني...».
فسألته وهي متلهفة لذلك: «لماذا؟».
سوّى الوسائد وأسندها إليها، ثم خلع حذاءه وتكوّم بجانبها، وأحاطها بذراعيه. بدا لها هذا بهيجاً، ومؤلماً في الوقت نفسه. مدّت يدها تلمس صدره، سيكون هذا لآخر مرة، كما أخذت تفكر بحزن.
قال بصوت أبح: «أريد أن أمنحك نصيحة لحياتك. مهما أردت أن تفعلي، أريدك أن تعودي تلك الفتاة الرقيقة، الحلوة، المحبة التي كنتها مرة. كان والداي مدمني عمل. ويا ليتني كنت أعلم، حينذاك، ما أعلمه الآن، إذن لكانا ما يزالان حيين الآن».
فسألته بحيرة: «وكيف؟».
- كان أبي يملك مركباً كبيراً يعبر به بالركاب نهر التايمز. فكان يضاعف الرحلات، فيما تقوم أمي بدور المضيفة، كما كانت تقوم بالتنظيف أيضاً. وكنت نادراً ما أراهما. ليس لأنهما لم يحباني، بل لأنهما كانا يحبانني كثيراً. كانا يريدانني أن أحصل على الحياة التي لم يستطيعا الحصول عليها. وفرا ما يكفي من المال لكي يرسلاني إلى مدرسة داخلية خاصة، ولكن ما زال على الأجرة أن تُدفع. وازداد عمل والديّ ومشقته. لم يستمتعا قط بالأشياء الصغيرة في الحياة، وأنا واثق من أنهما أرهقا حياتهما حتى الموت.
«عندما توفيا، شعرت بأنني مدين لهما بأن أكدح في الحياة، أنا أيضاً، لكي أصبح ناجحاً، وإلا ذهبت تضحيتهما سدى. لكنني كنت مخطئاً في ظني أن النجاح المادي هو الذي يحكم على مبلغ نجاح الناس. كاترين، المهم هو أيّ نوع من الناس أنت؟ كيف تعاملين الناس؟ ما مقدار الوقت الذي تخصصينه

للآخرين ولمشكلاتهم؟ أنت علمتني هذا، وأنا لن أنسى قط ما فعلته لي ولسام. إياك أن تسقطي في الشرك الذي سقطت أنا فيه. ليس أنت من يفعل ذلك، لأنك امرأة غير عادية.
قال الجملة الأخيرة برقة بالغة، فهمست كاترين: «ظننتك تكرهني؟».
فتنهد: «بل كنت غاضباً منك».
- لماذا؟
- إننا من عالمين مختلفين، يا كاترين. فأنا لا أوافقك على بعض مبادئك.
- آه...
من عالمين مختلفين؟ ليس ثمة رجاء قط لهما.
قال بابتسامة أسى: «عديني بألا تكوني مهملة، نكدة، سيئة الخلق كما كنت أنا، وإلا ستظهر التجاعيد على جبهتك الرائعة الجمال إذا بقيت بهذا الشكل».
استطاعت أن ترد له ابتسامته بابتسامة مرتجفة لكنها لم تستمر طويلاً. وكل ما استطاعت أن تقوله بصوت متهدج هو: «لا بأس».
- سأذهب الآن وأدعك لتنامي قليلاً.
فصرخت به فجأة: «أخبر سام بأنني أحبه».
- يمكنك أن تفعلي ذلك بنفسك صباحاً، خصصي وقتاً له.
فقالت بصوت مختنق: «عليّ... عليّ أن أرحل باكراً».
فقال زاك بصوت أجش: «سننهض إذن باكراً لنودعك».
وأخيراً غادر الغرفة. شعر بقلبه يخفق بعنف، لكنه كان يعلم أن عليه أن يتركها ترحل، رغم أنه كان يريد أن يتوسل إليها لتبقى. إنها بحاجة لأن تبقى حرة، أن تمنح حياتها إلى الشخص الذي تحبه من الرجال.
لن تكون سعيدة قط بالارتباط ببيت ورجل واحد، وبالرغم من رغبته فيها، كان يفضّل أن ترحل بدلاً من أن يرى مودتهما تتحول ببطء إلى كراهية.
توقف على فسحة السلم، شاعراً بالكآبة والبرودة في داخله.
وقال بوداع صامت: وداعاً يا كاترين. وداعاً.

www.elromancia.com

١٤- البحث عن بارديتا!

- وهكذا يا سام، كنت أريد أن ألعب معك اليوم أكثر من أي شيء آخر، لنكمل لعبة القراصنة. لكنني مضطرة أن أصلح مركبي. أنت تفهم هذا، أليس كذلك؟

طوّق خصرها بذراعيه بشدة، وقال بحزن: «نعم، أفهم. وأنت ستعودين، أليس كذلك؟».

- سمح لي أبوك بأن أترك حاجياتي هنا، وسأعود لآخذها.

- وبعد ذلك؟

حدّق إليها رافعاً وجهه الصغير بالسؤال، فأصبح أشبه بأبيه. والتوى قلبها.. أجابت بصوت متهدج: «لا أدري ما سأفعل».

فقال زاك بهدوء: «كاترين لم تخطط بعد لحياتها».

- ماما قالت إنك من نوع الأشخاص الذين يكونون هنا اليوم، ويرحلون غداً.

عضت شفتها قائلة: «حسناً، أنا هنا اليوم وسأرحل غداً. أمك على صواب».

- أمي قالت...

- سام...

وركع زاك قرب ابنه القلق المظهر، وراح يدعك ظهره الصغير برقة: «ماما لا تعرف كاترين جيداً، عليك أن تكوّن فكرتك عن كاترين بنفسك».

- أنا أحبها يا بابا!

فقالت كاترين وهي تحتضنه: «وأنا أحبك أيضاً».

لقد حانت لحظة الوداع، عليها أن تسلخ نفسها عنهما بأي شكل. قالت وهي تغالب دموعها: «عليّ أن أذهب، أنت ستعتني بأبيك، أليس كذلك؟».

فقال سام وشفته السفلى ترتجف: «أنت لا تريدين الرحيل».

فقالت بصدق رافضة أن تكذب على الصبي: «لا، لا أريد الرحيل».

فقال بصراحة مدمّرة: «هل ذلك لأنك تحبينني أنا وأبي؟».

أرغمت نفسها على ابتسامة زائفة: «طبعاً!».

ونظرت إلى زاك تتوسل إليه أن يساعدها على الهرب: «زاك».

فتنحنح زاك قائلاً: «هذا صحيح، سنلوّح لها كثيراً ونحن نودعها من ضفة النهر. هل أخذت كل شيء؟».

- ليس هناك الكثير. هل أنت واثق من أنك ستعتني بالدجاجات؟

قالت هذا وهم يسيرون نحو المركب، فقال: «بالتأكيد».

- وإذا لم تستطع العمل في حديقة الخضراوات؟

- بل سأفعل.

- ها قد وصلنا إذن.

أعلنت ذلك وقد أفزعتها الغصة التي شعرت بها في حلقها: «وداعاً يا سام. سوف نلتقي أحياناً».

عانقها الصبي بصمت ثم لاذ بأبيه.

- وداعاً يا زاك.

هتفت بذلك بصوت خافت، فأومأ زاك وهو يلوّح بيده. وهكذا أدارت لهما ظهرها ثم انطلقت. أدارت المحرك، وتملكها شعور غامر بالأسف لأنه لم يتعطل ويقف على الفور. لم يكن هناك ما يمنع رحيلها.

كان تلويحها بيدها موجهاً إلى زاك وسام على الضفة. لكنها لم تجرؤ على النظر إليهما. وعندما ابتعدت عن الجزيرة شعرت بقلبها ينشق إلى نصفين.

حتى إن مراكب الفتيان لم تكن موجودة، فهم لم يعودوا بعد من عرس توم، ومسحت دموعها.. ستكتب إليهم لتشرح كل شيء.

وهمست: «وداعاً للجزيرة ولك يا سام، وللحبيب زاك».

www.elromancie.com

وصرفت بأسنانها وقسّت قلبها ضد الفراغ الموحش في قلبها، والحياة الموحشة أمامها.

* * *

- أو بإمكاننا أن نحضر بيتزا أو شريط فيديو . . .

- لا، شكراً يا بابا.

نظر زاك إلى ابنه الحزين بعجز. إنه لا يلومه، فهو يشعر بالحزن نفسه. لقد رحلت كاترين من حياتهما تاركة فراغاً كبيراً. حاولا أن يسلّيا بعضهما البعض طوال النهار، لكنهما فشلا وانتهى بهما الأمر إلى التجوال في الحديقة متظاهرين بالقيام بأشياء غير ضرورية.

قال لابنه بلطف: «تعال أعانقك».

فألقى سام بنفسه بين ذراعيه وتمتم: «أشعر بتعاسة».

فضمّ ابنه إليه: «نعم، أعلم هذا يا بنيّ».

- أنت تحبها، أليس كذلك؟ قالت ماما إنك لا تحبها. لكنها، بعد أن عقدت صداقة مع ذلك الرجل، زميلها في العمل، وأخذت تغني في المنزل، قالت فجأة إنني على صواب وإنك تحب كاترين.

أخذ زاك يربت بإصبعه على ذقن سام، وابتسم للوجه الصغير الرزين وهو يعجب لقوة الملاحظة عند الأولاد.

وقال: «هل تعرفت أمك إلى أحدهم؟ أنا مسرور لأجلها. من المهم أن يجد الإنسان شريك روحه».

- هل كاترين شريكة روحك؟

فهز رأسه: «كلا، لسوء الحظ. أنا أحبها لكنها لن تكون سعيدة معي».

- بل ستكون! إنها تنظر إليك حالمة كما في الأفلام.

فأخذ يشعث شعر ابنه بعطف: «أنت تتمنى أن يكون ذلك صحيحاً. كاترين لا تريد أن ترتبط بأي شخص أو أي شيء».

فقال بثقة الأطفال: «ماما قالت إن كاترين تحبك».

فابتسم زاك: «ذلك حب مودّة وهو ليس الحب نفسه».

ورفع رأسه وهو يسمع جرس الباب: «من الطارق في هذا الوقت من الليل؟».

فهتف سام وهو يقفز من قبضته: «إنها كاترين».

أخذ قلبه يخفق وهو يركض خلف ابنه الذي راح يرقص صعوداً وهبوطاً أمام الباب يطلب فتحه الآن.

لكن زاك يعلم أنها ما كانت لتأتي إلى الباب الأمامي، وهكذا أبطأ خفقات قلبه عندما فتح الباب.

- مرحباً.

قال توم هذا باسماً، بينما انفجر سام باكياً وخبأ وجهه بجانب أبيه. قال توم مذعوراً: «هل قلت أنا شيئاً ما؟».

- لا، تفضل. أية خدمة تريدها مني؟

فقال توم باسماً: «لن أدخل وحذائي موحل، أريد أن أدعوكما إلى حفلة غداً الساعة السابعة. وعجبت أين يمكن أن تكون كاترين. أريدها أن تتعرف إلى سوسي زوجتي».

فقال زاك بابتسامة مقتضبة: «شكراً، سيسرني ذلك. لكن كاترين . . . ليست هنا، لقد أخذت مركبها إلى حوض السفن لإصلاحه. وعلى كل حال، أتظنها كانت سترغب في لقاء زوجتك في هذه الظروف؟».

- لا أفهم!

قال توم هذا بعينين متسعتين، وكأنما لم يخطر بباله أن العشيقات السابقات قد يجدن مقابلة العروس شيئاً محرجاً.

ألقى زاك على ابنه نظرة ذات معنى: «أنت وكاترين كنتما . . . صديقين».

- وما زلنا كذلك. . آه، أنت تعني . . .

وأطلق توم ضحكة قبل أن يتابع: «أبداً، إنها تحتاج إلى أكثر من مجرد صداقة لكي . . . . تنشىء علاقة ذات معنى . . .».

فقال زاك مصرّاً بضيق: «لم يبدُ لي الأمر كذلك».

هل ظن توم أنه أعمى؟ أقل ما عليه هو أن يعترف بالحقيقة. وتابع قائلاً:

«أنت وهي، بدا أنكما أكثر من مجرد صديقين، عندما رأيتكما مرة معاً. كنتما قريبين جداً من بعضكما البعض.. أنت تعرف ما أعني».

حكّ توم رأسه وقال: «لا أستطيع أن أتذكر متى...».

وسكت وكأنما خطر له شيء، ثم ضحك: «زاك، بالنسبة إلى رجل ذكي، أنت أحمق! كان ذلك بعد أن أمضت زوجتك السابقة الليلة معك، أليس كذلك؟».

- نعم.

لم يعجبه موقف توم، إلا أن هذا الأخير قال بهدوء: «كانت كاترين متكدرة. لقد تصورت... كل أنواع الأشياء، فبكت على كتفي، فأخذتها إلى الداخل لأهدّئها. كانت متكدرة أيها الغبي، لأنها تحبك».

قال زاك متوتراً: «لا أظن هذا».

فسأله توم: «ما الذي يجعلها تفرغ قلبها بالنحيب، إلا لأنها ظنتك تخونها؟ لقد بقيت دهوراً مجنونة بك، كلنا كنا نرى ذلك، وكلنا كنا نعلّق على الأمر».

فقال بصوت أجش: «لا يمكن ذلك، فهي تكره الارتباط».

- هل قالت هذا بنفسها؟

شعر بنبضه يقفز، وكافح للسيطرة على هدوئه: «لا، لكنني أعلم أن...».

فقال توم وقد بدا الغضب عليه: «اسمع يا زاك، ليس هناك امرأة أكثر استقامة وأقوم أخلاقاً من كاترين. طوال السنوات التي عرفتها فيها لم تخرج يوماً عن الطريق المستقيم. وأعني بالنسبة إلى كل جوانب الحياة، إذا كنت تدرك ما أعني».

وألقى نظرة سريعة على الصبي المفتون.

- ولكن... ولكن...

لم يستطع زاك أن يتكلم. هل أخطأ في فهمها إلى هذا الحد؟ أراد أن يلقي أسئلة، لكن حلقه غصّ بالمشاعر إلى حد أن كل ما استطاعه هو أن ينظر إلى توم متوسلاً، فهز هذا رأسه غير مصدق غباء زاك، وراح يقول: «إنها تحبك. أنت

الوحيد الذي لم يدرك ذلك. اذهب وابحث عن «بارديتا»، تحدث إليها، اسألها بصراحة، فهي لن تنكر هذا».

فقال بحيرة: «أبحث... عن من؟».

- عن بارديتا، هذا اسم مركبها.

مسح شعره بارتباك وسأله: «لا أصدق ذلك... لقد نسيت كلياً...».

أديث... أيها العجوز الداهية! سمّر نظراته على توم، وصرخ بلهفة: «عليّ أن أجد كاترين، يمكنني أن أجعل حياتها أيسر بكثير. لكنني لا أعلم أين هي!».

فقال توم ضاحكاً: «عليك أن تبحث إذن، ألن تفعل ذلك؟ إنسَ دعوتي لك، لأن عليك أن تقوم ببعض الصيد. وبما أنني أعلم إصرارك، أظنك ستنجح. وداعاً يا سام، سأراك في ما بعد».

- بابا؟

نظر إلى ابنه من خلال عينين مغرورقتين بالدموع.

- دليل الهاتف!

قال هذا بسرعة فقفزا معاً إليه.

التفكير في أن يراها مرة أخرى أنعشه وأثار أعصابه معاً. ولكن عليه أن ينفذ وصية أديث العجوز، فهذا يجعل حياتها مختلفة. عليه أن يدفع ديونها، يؤمن لها مستقبلها. سيبقى دمثاً مهذباً تماماً. إنه، وكاترين، سيتبادلان التحيات والمجاملات، ومن ثم يذهب كل في طريقه المختلفة.

ابتدأ النجارون يجهزون داخل المركب بعد تركها الجزيرة. هذا إلى أنها استأجرت غرفة في عيادة صحية في «بيشوب ستورتفورد» بأجرٍ باهظ، ثم أخذت تزاول عملها.

متذكرة كلمات زاك، كانت تنتهي في الخامسة بعد الظهر، ثم تمضي الوقت في دهن المركب من الخارج لتوفر النقود. كان الدين لا يفارق ذهنها، وفي كل مرة كانت تفكر فيه كانت تشعر ببرودة في قلبها.

كانت قد ابتدأت بوضع الزخارف والأحرف التقليدية على جانب

www.elromancia.com

المركب، عندما سمعت صوتاً تعرفه جيداً . . .

وقعت الفرشاة من يدها، وتلطخ حرف التاء، فبقيت لحظة تصلحه وتضيف اللون الأخضر القاتم تحت الظل، قبل أن تلتفت.

- مرحباً يا سام.

حاولت أن تبدو بشوشاً، لكن صوتها كان متوتراً.

- كنت أبحث عنك في كل مكان، وقد وجدتك الآن مع «بارديتا»، أهذا اسم مركبك؟

تمتم زاك بذلك بلهجة الرضى عن النفس.

- نعم، لماذا؟

- حصلنا على بعض المال لك.

قال سام هذا بزهو، فأجابت: «هذا حسن، امنحه للصدقات بدلاً مني».

شعرت بضيق بالغ وأدركت أنها لن تستطيع البقاء لا مبالية وقتاً طويلاً. بدا زاك وسيماً بشكل ساحق في بنطلونه الجينز وقميصه الأخضر الرياضي. شعرت بركبتيها تضعفان لمجرد رؤيته، وراح قلبها يترنح بين أضلعها.

ناولها زاك مغلفاً سميكاً: «هذا من أديث تركته لك أو بالأحرى، لبارديتا، في وصيتها. كنت أريد أن أسألك منذ وقت طويل عمن تكون بارديتا. ولا أدري لماذا لم أرَ اسم مركبك عليه من قبل. . .».

- هذا سهل، الأجمة الكثيفة على الضفة تخفيه عن الأنظار، والآن فركت اللوحة توطئة لإعادة دهنها.

- فهمت. آسف لنسياني، كنت ستصبحين ميسورة تماماً لو أنني تذكرت هذا الأمر.

نظرت إليه وإلى المغلف بشك: «قلت إن هذا من أديث؟».

- بالتأكيد. ثمة نسخة من وصيتها في الداخل، سترين البند في الصفحة الثالثة.

فتحت المغلف بصمت، ثم فتحت الوصية، متجاهلة الرزمة الضخمة من النقود معها.

قال زاك بهدوء: «أظنها كانت تعلم أنك لن تقبلي مالاً لنفسك، ولكن هذا المبلغ للمركب. خمسة عشر ألف جنيهاً، بارديتا بحاجة إليها. أنت ستستعملينه، أليس كذلك؟».

فتأوهت: «أوه، يا أديث! هذا مبلغ كبير. ولكن كيف أرفض وصية صديقة متوفية؟ أشكر لك إحضاره لي يا زاك. هذا يعني أن بإمكاني أن أسدّد ديني وأبدأ بتكوين نفسي مرة أخرى، وأنني خالية من الأعباء».

تململ زاك بارتباك: «حسناً، انتهى الأمر إذن، وسنذهب».

فهتف سام باحتجاج: «لا، لن نذهب».

فقال زاك برزانة: «كاترين مشغولة».

- لكنك لم تسألها.

فسألته وهي تضع الوصية في المغلف: «يسألني ماذا؟».

- لا شيء. سام، لا يمكنك أن تحرج . . .

فصرخ سام بصراحة: «أنت تحبين بابا، أليس كذلك؟».

وعندها اتسعت حدقتاها بذعر، فقال زاك يعنفه: «سام!».

فأصر سام: «أريد أن أعرف».

وضع زاك يده على كتف ابنه بعطف: «أنت وضعت كاترين في موقف صعب. . .».

فقال سام شاكياً: «الراشدون معقدون حقاً!».

وجدت عينيها مشتبكتين بعيني زاك، وابتدأ نبضها يتسارع. كان في وجهه عذاب كثير تجاوب مع الألم البالغ في داخلها.

فقالت برقة: «ليس الراشدون كذلك حقاً، يا سام. إنهم فقط أكثر غباء من الأولاد».

وجذبت نفساً عميقاً لتقول: «إنه على صواب. . . أنا أحبك».

قالت هذا وهي ترتعش، ثم عادت إلى رسم حرف الألف.

فقال سام بانتصار: «لقد أخبرتك!».

فهمس زاك له بصوت أجش: «هل لك أن تذهب إلى ذلك الحانوت هناك

وتشتري لي بعض الحلوى، يا سام؟».

– لكنك لا تأكل الحلوى يا بابا؟

فقال الأب: «أنت ستأكلها».

سمعت صوت شجار خلفها، تلته ضحكة سام وسمعته يقول: «آه، أمسكت بك».

ثم همس لأبيه: «سأمكث قليلاً، وداعاً الآن».

بعدئذٍ، ساد صمت طويل، حتى شعرت بحرارة نظرات زاك تخترق ظهرها، ولم تعد تستطيع أن ترى ما تفعله.

وسألها زاك: «ما القضية يا كاترين؟ هل أنت خائفة من الالتزام؟».

– لا!

أخذت تتابع عملها، محاولة التركيز والانتقال إلى الزخرفة حول اسم المركب.

– لماذا إذن نحن لسنا معاً، نتحدث عن مستقبلنا؟

قال هذا برقة فائقة، فاستدارت إليه وعلبة الدهان في يدها. شعرت بالارتباك، فانسكبت محتوياتها على ثيابها، وفقدت توازنها، ثم سقطت بقوة على رصيف الميناء الحجري.

أخذت تصيح متألمة: «آه، ظهري».

– هاك، لدي بعض الحبوب المسكنة للألم.

وأخذ يبحث في جيبه، فاتسعت عيناها: «أحقاً؟».

أخذت منه الزجاجة الصغيرة فأفرغت منها حبة، بينما هو يقول: «احمليها معك على الدوام، واقرأي ما كتب عليها. إنني أحمل معي دوماً أشياء للطوارىء لأجل سام».

– هذا حسن.

وارتجف صوتها عندما حملها لتقف، وهو يتمتم: «والآن، هل أنت خائفة من أن تكون الحياة معي مقيّدة؟».

فهزت رأسها بصمت.

– هل فقدت صوتك؟

فأومأت.

– أتظنين أنني أقيّد حريتك؟

فهزت رأسها مرة أخرى.

– أتفضلين أن نبقى معاً دون زواج، حتى يمكنك الرحيل كلما شعرت برغبة في ذلك؟

ابتلعت ريقها وهزت رأسها: «أنت... أنت لم تكن تريدني. كل شيء كان رائعاً، ثم أصبحت جافاً بارداً...».

أمسك بكتفيها بحنان، وقال: «هذا بسبب كيت. تلك الليلة التي مكثت فيها في المنزل. هل تذكرين؟ أخبرتها بشعوري نحوك، وأنني وقعت في غرامك حتى أذني، فتملكها الذعر. أخذت تدريجياً تستغل شكوكي، وتقنعني بأنك روح حرة ولست من نوع النساء اللواتي ينشدن الاستقرار. حتى إنني شعرت بالذنب».

فاتسعت عيناها: «لماذا يا زاك؟».

– طوال الوقت كنت أريد أن أبقى معك، وأخذك لنفسي. ومع ذلك كان يبدو عليك أنك لا تريدين علاقة ثابتة مستقرة. ظننت أنني سأكون كمن يحبس طائراً متوحشاً في قفص. قالت كيت إنني لم أكن منصفاً معك، وإن عليّ أن أفهم أنك لا تريدين سوى علاقة عابرة. ثم رأيتك مع توم في الصباح التالي، عندما كنت أودع كيت. كنت بين ذراعيه...

قالت كاترين بصوت أبح: «كنت أبكي بسببك، لأنني أحببتك حقاً، وإذا بكيت تمكث الليلة معك...».

– أنا أعلم هذا الآن. ولكن عندما رأيتكما، أنت وتوم، تدخلان قمرته... حسناً، لقد أثبت لي هذا كل ما قالته كيت. ظننتك تعيشين حياة طيش ومرح، وأنني لست إلا واحداً في سلسلة عشاقك، وهذا ما سيزداد على مرّ السنوات. لم أستطع أن أواجه ذلك، يا كاترين، ولهذا قسوت عليك.

فقالت بصوت خافت: «لم أعرف سوى صديق واحد قبلك، كنت جادة

جداً حينذاك. أنت تعرف كيف يكون الأمر بالنسبة إلى الحب الأول، لكنني كنت في السابعة عشرة، وسرعان ما أدركت أنني إنما وقعت في حب فكرة الزواج وإنشاء أسرة، وهكذا افترقنا. وبعد ذلك لم أقع في حب رجل قط قبلك».

أمسك بيديها وركع على الأرض، غافلاً عن الأحجار والدهان والتراب: «سأعيش حيث تريدين أن تعيشي، وسأكون كما تريدينني أن أكون. كل ما أريده هو أن تتزوجيني. أنا أحبك أكثر مما أستطيع التعبير عنه، فأنا أفكر فيك وأحلم بك طوال الوقت وأتخيّل مشاهد لنا ونحن عجوزان نحيي أحفادنا. لا أريد شيئاً في هذا العالم أكثر من أن أكون زوجك، أحبك وأكرمك، وأجعلك سعيدة في حياتك، تزوجيني يا كاترين».

فقالت بابتسامة واسعة: «يمكننا أن نعيش في بيت الجزيرة الفخم، وسنجعله دوماً مريحاً حيث لا يشعر فيه أصدقاؤنا بالرهبة. الفتيان يحترمونك بشكل هائل. إياك أن تكون شخصاً آخر غير نفسك! أريدك أن تحلم بي دوماً وتتخيل أحفادنا، لأنني سأفعل الأمر نفسه. أنا أحبك من كل قلبي، وعندما نكون معاً أشعر وكأنني جئت إلى بيتي».

- و... ماذا عن بارديتا؟

فابتسمت: «يمكنها أن تبقى كبيت آخر لنا، نمضي فيها العطلات والرحلات النهرية، لأجل متعة سام وأولادنا الآخرين».

فكرر وهو يرتعش: «أولادنا الآخرين...؟».

- آه، نعم يا زاك. لا أريد شيئاً أكثر من أن أكون زوجتك، وأن تكون أنت أب أولادي. أنا أعلم أننا سنكون سعيدين، لأنني أشعر معك دوماً بفرح غامر، حتى لو كنا نقوم بشيء عادي كإطعام الدجاج. الجواب هو نعم يا زاك، نعم».

همست بذلك والدموع تنهمر من عينيها.

تأوه زاك، ثم وقف وأخذها بين ذراعيه، وخيّل إليها أنها تسمع هتافاً من بعيد، فنظرا، هي وزاك، إلى بعضهما البعض مجفلين. ثم التفتا، فإذا بسام قادم

من بعيد، وهو يقفز بفرح، وقد جاء معه مدير حوض السفن وصاحب الدكان وعدد من أصحاب المراكب الذين كانوا قد أصبحوا أصدقاءها.

قالت كاترين وهي تضحك بصوت خافت: «أتراه سيخبر كل شخص يقابله عن أمورنا الشخصية؟».

فأجاب زاك ضاحكاً: «ربما. لقد قابلته أديث مرة، فوصف لها نوع...».

وسكت فسألته مستغربة قطعه لجملته: «وصف ماذا؟».

ضحك زاك وراح يهز رأسه قائلاً: «عدّد سام لها الميزات التي يريدها في زوجة أبيه. وأظن أن أديث وضعت خطتها استناداً إلى ذلك، فنموذج المرأة الذي وصفه ينطبق عليك. لطالما كانت أديث تلاحقني كي أتوقف عن العمل إلى ذلك الحد من الإجهاد...».

فقالت ضاحكة: «وكانت تلاحقني أنا أيضاً، لكي أبحث عن شاب حسن...».

- تلك العجوز الماكرة..! كانت تعرفنا إلى حد أدركت معه أننا مناسبان لبعضنا البعض. لقد دفعتنا إلى أن نتعارف راجية أن يفعل الوقت والجوار فعلهما. حتى إنها ضمنت ألاّ ألقي نظرة على الجزيرة، ثم أذهب شاغاً.

- ماذا تعني بذلك؟

- هناك فقرة في الوصية تقول إنني إذا لم أمكث في الجزيرة لمدة سنة، إذن تتحوّل الجزيرة والمنزل إلى أول شخص أقابله هناك. كانت تعلم أن هناك احتمال كبير بأن يكون ذلك الشخص أنت.

نظرت إليه بعجب بالغ وقالت: «كانت تحبنا، نحن الإثنين، كانت تعلم أن الجزيرة ستكون في يد أمينة إذا هي تركتها لك، وأننا سنحب بعضنا البعض. حسناً، هذا يحسم الأمر. لا يمكننا أن نخيّب أملها، أليس كذلك؟».

وتنهدت وهي تحيط عنق زاك بذراعيها.

- طبعاً لا، يا حبيبتي.

ثم عانقها طويلاً.

وسأل صوت صبي صغير بجانبهما: «هل اقترب وقت الغداء؟».
ضحكا وابتعدا عن بعضهما البعض. وقالت كاترين بسعادة: «نعم، يا سام! فلنذهب ونحتفل».
- لقد أصبحنا أسرة واحدة الآن، أنت وأمك وزوجها القادم، وأنت وأنا وعروسي القادمة كاترين.
وضمهما زاك معاً إليه.
تبادلت ابتسامة حب مع زاك.. شعرت أخيراً بالتحرر من مخاوفها، فقد حصلت على كل ما تريده من الحياة، زاك وسام. وربما أولادهما فيما بعد. لن تهتم لأي شيء بعد الآن.
الحب فقط؛ حب خالص بسيط يجمعهما.

www.riromancia.com مرمورية